الوردة العنبرية

في سيرة حضرة خير البرية

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

منظومة مع شرحها

ألفها خادم العلم والدين

عبد الكريم محمد المدرس

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

منظومتي الفية عرفية
يجلب حب المصطفى حرية
واسمها الوردة العنبرية
وشرحها سعادة البرية
يا رب وفق كل من يحفظها
لنصر دين سيد البرية
يشرح اخلاق الرسول المصطفى
اخلاقه العظيمة الزكية
وأهله واله وصحبه
والباقي من امته النجيه
صلى عليه وعليهم ربنا
في بكرة الأيام والعشية
واغفر لنا يا ربنا
وكل من يبقى على آدابه المرضية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي العقل ... وباعث الرسل بالارشاد

ثم الصلاة على المختار في ... بالعقل، بالعلم، بالأخلاق

محمد سيد الأشراف منقبة ... الشافع العام يوم الحشر

والآل والصحب والاتباع ... أهل الهدى والتقى والقدر

ما هبت الريح في الدنيا على ... وجاء روح الى قلب أولي

وبعد: فالخير كل الخير في ... والحب للمصطفى المختار

ونشر أقواله، وذكر أعماله ... وبحث أحواله بالقدر والقيم

وهذه نبذة، منها مهذبة ... تفيد طلاب علم من أولي

نظمتها لهذي الأجيال مقتديا ... بصاحب البردة المعروف

قلادة من جياد الدر منتظما ... على الصدور شعار الحب

فالدر يزداد حسنا وهو ... وليس ينقص قدرا غير

اهديتها للوفا بخدمة ... رجاء نيل الصفا من سيد

وقلت يا شافعي بالكرم ... من ربنا الرافع الوهاب

أنت الذي اختاره الله ... بعثكم رحمة لكافة الأمم

قد كنت أنت نبيا عاليا شرفا ... ونوع الانسان تحت ساتر

قد كنت بالروح أصل الأنبياء ... قد جاء من جابر عن سيد

وكنت انت نبيا مصطفى ... اذ كان آدم طينا غير

فصرت في عالم الأجساد   ابنا شريفا رفيع القدر
فأنت اصل ونسل والد ولد   وأنت جامع وصف البدء
متمم لرسالات الهدى   وللمكارم من أخلاق كلهم
الصبر والصدق في القول   والاستقامة في السراء
نظافة القلب عن حقد وعن   شرافة الطبع في جود وفي
حضور قلب مع الله العليم   والبعد عن غفلة للسقم
ومعجزاتك في الايام باهرة   آيات ربي لك البرهان
اخرجت الإنسان من ظلمات   بنور علم وبالتحرير بالقلم
بنور الإيمان قد نورت أهل   ارشدتهم للهدى بالعلم
أتم نورك في الاكوان قاطبة   قد عم فيضك في العرب
هيّا لك الامة العلياء مرتبة   وصافها عن ضلال كان
من اولياء اولى روح ومنقبة   وعالمين علّوا علما على
صلى عليك إله العالمين   وقد امرنا في كلام طيّب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين واتباعه باحسان الى يوم الدين.

وبعد: فهذا كتاب جليل القدر، جميل الأثر، أوضحت فيه مافي منظومتي (الوردة العنبرية في مديحة خير البرية) وسميته ب (سعادة البرية في شرح الوردة العنبرية) وأرجو من الله تعالى النفع بهما لي ولهم في الدارين إنه هو السميع القريب المجيب، وهو ارحم الراحمين.

قولي: (أنت الذي اختاره الله برحمته) أقول: والدليل عليه ما رواه الشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصغير أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى خَلَقَ الخَلق وخَيّر الفرقتين فجعلني في خير فرقهم[1]، ثم تخير القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم تخيّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتا))، رواه الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب والحديث صحيح.

قولى: (بعثكم رحمة لكافة الأمم) والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ((أنا الرحمة المُهداة)) وأهل العلم قالوا: العالمون شبه جمع وليس جمعاً، إذ لو كان جمعاً لزم أن يكون المفرد أكثر من الجمع فإن العالم جميع ما سوى الله تعالى من العقلاء وغيرهم، والعالمون بمعنى جميع العقلاء. ويظهر منه أن الله تعالى بعثه رحمة للعقلاء، أي ليستفيدوا منه بالإيمان والأعمال الصالحة، فمن أطاعه فقد فاز بالرحمة وربح، ومن عصاه صار محروماً وخسر. والعياذ بالله تعالى.

[1] في المخطوط في خير فرقهم، وخير الفرقتين

قولي: (قد كنت انت نبيا عاليا شرفا) بيانه أنه روي عن أبي نجيح عرباض ابن سارية السَّلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدمَ لمنجدل في طينه[2]. أي طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه. انتهى.

ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان موصوفاً بصفة كونه نبيا خاتما للانبياء قبل نفخ الروح في جسد سيدنا آدم عليه السلام وظاهر انه ابو البشر وأبو الأنبياء الكرام عليهم السلام.

وعن ميسرة الضبي قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: ((وآدم بين الروح والجسد))

تدل هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها الكثيرة على ان الحقيقة المحمدية اشرف الحقائق واكرم الخلائق عنده، وكان موصوفا روحا بصفة النبوة والرسالة، وانه خاتم الأنبياء والمرسلين قبل ظهورهم في عالم الأعيان.

قولي: (وكنت بالروح أصل الأنبياء) والدليل عليه ما رواه سهيل بن صالح الهمْداني، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم اولَ من قال (بلى) ولذلك صار يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

وعن الشعبي: قال رجل: يا رسول الله متى استُنبئت؟ قال: ((وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً)).

وقولي: (قد جاء من جابر) بيانه انه روى عبدالرحمن بسنده عن جابر بن عبدالله قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اخبرني عن اول

[2] في المخطوط طينته

شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: يا جابر إن الله تعـالى خلق قبل الأشياء نور نبيك، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنــة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شـمس ولا قمـر ولا ولا جنِّي ولا انسي، فلما اراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلـك النور اربعـة اجـزاء، فخلـق من الجـزء الاول القلم، ومن الثـاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجــزاء؛ فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسـي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجــزاء فخلــق من الاول السماوات، ومن الثاني الارضـين، ومن الثـالث الجنـة والنار، ثم قسم القسم الرابع اربعة اجزاء، فخلق من الأول نور ابصار المؤمنين، ومن الثاني نـور قلـوبهم، وهي المعرفـة باللـه تعالى، ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد (لا إله الا الله محمد رسول الله).

قولى: (فصرت في عالم الأجسام ابنا له) بيان المقـام انـه لمـا ثبت من ظواهر الروايات العديـدة ان اللـه تعـالى خلـق الأرواح قبـل الأجسـاد وثبت أن روح حضـرة الرسـول الخـاتم أول من وصف بالنبوة قبل خلق العالم وخلق الإنسان، وثبت على رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خلق من نـور محمـد صـلى الله عليه وسلم العوالم وعالم الانسان.. ثبت أن سيدنا محمــدا صلى الله عليه وسلم اصل ووالد للإنسان والأنبياء والمرسـلين، وإن كان في عالم ظهور الأجسام البشـرية ابنـا وفرعـاً وفصـلاً منفصلاً من الأصـل، فلـذلك هـو صـلى اللـه عليـه وسـلم أصـل وفصل ووالد وولد.

وِلدت من والدين ماجدين	من سلف سابق في الفضل
عدنان قيدار اسماعيل والده	ابوَ النبيين ابراهيم ذو الهمم

مولده كان (كوفي) عند ... (شرقات) او (شوش) عند
اكرم بهم من رجال بارزين ... اهل الهدى من اولى الاقدار
ليلة الأثنين قرب الصبح ثاني ... ربيع الأول في مكة بالكرم
من عام فيل اتى في جيش ... مكدّر الوجه بالعُبس وبالنَّقم
فأرسل الله جيشاَ من جنود ... طيراً أبابيل ردتهم الى
وكانَ في الأمر إعزاز ... بشارة بظهور النور والكرم
ليلةَ عشَرين من نيسان رومٍ ... وقتُ ربيعٍ أتى بالورد
عام ثلاثٍ وخمسين ... تأريخ ميلاد عيسى صاحب

قولى: (ولدت من والدين الى آخره) بيانه: أنـك ولـدت من آبـاء كـرام ووالـدين عظـام، فإنـك ابن عبدالله بن عبـدالمطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصـي بن كلاب بن مـرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن كنانـة بن خزيمـة بن مدركـة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان. وتوقف الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم على عـدنان، وقـال: كـذب النسـابون. والمشهور أن عدنان من سلالة قيدار بن إسـماعيل بن إبـراهيم الخليل عليهم السلام.

كما أن المعروف هو أن سيدنا إبراهيم بن آزر (وقيل: إن آزار كان عمه) وذكر باسم الأب على المعتاد عند الناس إذ ذاك. والمشهور أن إبراهيم ولد في (كوفي) محل قرب محافظة بابل المعروف اليوم باسم (حِلّة) بكسر الحاء وفتح اللام المشددة وتاء التأنيث، أو ولد في (شرقات) أو في قرية (شوش) قرية قرب قضاء (عقرة) التابعة لمحافظة الموصل. وسيدنا ابراهيم كان في زمن الملك نمرود وكانت عاصمته (بلدة أور) غربي البصرة، ولما أمر بإلقائه في النار ونجى سالماً خاف من بقائه في العراق، وبعّده إلى (كنعان) من بلاد الشام، فاتصل إبراهيم بملك الأقباط وأكرمه بجارية (هاجر) فولدت له إسماعيل، ثم أسكنهما في مكة المكرمة. وحكايته مشهورة وتزوج سيدنا اسماعيل امرأة من قبيلة (جرهم) العربية القحطانية فولدت له زوجته اثنى عشر ولدا أكبرهم (قيدار) جد عدنان والله أعلم.

كما أن الثابت نقلاً متواتراً أن عبد الله أحد الأولاد العشرة لعبدالمطلب تزوج من (أمنة) بنت وَهب بن زهرة القرشي، وانتقل من مكة إلى المدينة، وبقوا مع الأوس والخزرج هناك.

ولما تزوج بها وحملت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم توفي قبل ولادة سيدنا محمد، ولما ولد بقي مع أمه في بيت جده عبد المطلب، ولما قربت وفاته وصى ابنه أبا طالب أن ينقل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويربيه ويخدمه الى بلوغه وقد حقق ما وصاه به.

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول المصادف لليلة العشرين من شهر نيسان الرومي الشرقي، الموافق لموسم الربيع وقت الأوراد والأزهار، وكان التأريخ الميلادي خمسمائة وثلاث وسبعين، والعام عام الفيل، أي العام الذي جاء فيه أبرهة الحبشي ملك يمن بالجنود معهم فيل لتخريب بيت الكعبة الشريفة. ولما وصلوا الوادي المُحسَّر المجاور لأرض (منى)، أرسل الله تعالى عليهم فوجاً من

طـير أبابيـل فرمـوهم بحجـارة صـغار فصـارت على أجسـادهم كمواد نارية، وأهلك الله الجيش، وماتوا خـائبين خاسـرين. ومن هنا نقول: إن الاحتفال بذكرى مولـد الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم ليس من البدع المستحدثة كما زعم بعض من لانظـر لـه في الأدلة الشرعية وإنما هو مستحب ومطلوب في الـدين. أمـا إنـه ليس من البـدع فلأن البدعـة في الشـريعة عبـارة عن أمـر مسـتحدث خـارج عن دلالـة الكتـاب والسـنة والإجمـاع واجتهـاد المجتهدين، وذلـك الاحتفـال تؤيـده الأدلـة الأربعـة، أمـا الكتـاب فلأن في القرآن الكريم آيات تدل على الاهتمام بـذكره: قـدره، ومقداره، ونصرة دينه.

منهـا قولـه تعـالى في سـورة الأعـراف: ﴿وعـزروه ونصـروه﴾ والتعزير بمعنى التعظيم. والنصر عبارة عن تأييـده في رسـالته ونشر محاسنه وسيرته الشريفة واخلاقه العظيمة.

ومنها قوله تعـالى ﴿يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَـلْنَاكَ شَـاهِدًا وَمُبَشِّـرًا وَنَـذِيرًا (45) وَدَاعِيًـا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِـهِ وَسِـرَاجًا مُنِـيرًا﴾ والسـراج المنير لمجالس الأنس ولمحافـل القـدس وجـالب الإنسـان الى حظيرة الحق، هو ذكره وذكر أنسابه وأحسابه، ومعرفـة مقامـه من الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: (ورفعنـا لـك ذكـرك) والـذكر المرفـوع، وإن كان هو ذكره في كلمتي الشهادة وذكره في الصلوات الخمس، لكنه يصدق بذكره في المجتمـع الإسـلامي حـتى يعرفـه الجيـل لاسـيما الصـبيان والغلمـان الـذين يبعـدون عن المجـالس والمحافـل. وأمـا السـنة فمنهـا قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حـتى أكـون أحب إليـه من نفسـه وولـده ووالديـه والنـاس أجمعين)) او كمـا قـال. وذكـره ومدحه ونشر أخلاقـه جـالب لهـذه المحبـة المعتـبرة في كمـال الإيمان، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((نحن أولى بموسى منكم)) في مقابـل اليهـود الـذين يحتفلـون بصـوم عاشـوراء لـذكرى انتصـار سـيدنا موسـى ونجـاة بـني إسـرائيل من ظلم فرعون. ويستفاد

منه جواز الاحتفال والاهتمـام بـذكرى المبشـرات، لاسـيما ممن لهم مقدار عند اللـه تعـالى، فإنـه قـال صـلى اللـه تعـالى عليـه وسلم: ((نحن أحق وأولى بموسى منكم))، أي أنسب بالاحتفـال بمقامه وبذكرى خلاصه، لأنه كـان من الرسـل أولي العـزم وأنـا منهم، والرسل أبناء مبدأ مقـدس واحـد، ولمـا كـان ذلـك جـائزا ومناسبا للرسول صلى الله عليه وسلم فيكون مناسبا لنـا أيضـا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ومنها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: ((من سنَّ سنة حسـنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة)) والسنة الحسنة مالم يخرج عن دلالة الادلة الأربعة الدينية.

وأما الإجماع فلأن الائمة الكبار الإسلامية اتفقوا على اسـتحباب ما أتى به الملك الصالح مظفـر الـدين الأربيلي رحمـه اللـه من الاحتفال بالمولد الشريف وصرف الأموال فيـه، وأولئـك الأئمـة كان لهم مقام الاجتهاد في هذه القضية الخاصة، لأنهم كانوا من أجلـة العلمـاء وفي درجـة الاجتهـاد المقيـد، وإن لم يكونـوا في درجة الاجتهاد المطلـق، ويجـوز تجـزي الاجتهـاد كمـا صـرح بـه الإمـــام أبـــو حامـــد الغـــزالي في بحث القيـــاس في كتابـــه (المستصـفي) ولم ينكـر ذلـك العمـل عـالم جليـل يعتمـد عليـه وعلى نقده وقبوله ورده. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مـا رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)) لاسـيما وقـد مضـى على إجماعهم القرون فنقد الأجزاء لا يضر إجماعهم.

وأما الدليل من المجتهدين فبعد ثبـوت درجـة الاجتهـاد والعمـل بآرائهم ندري ونعلم أن أفراد العلماء الأجلة كـانوا راضـين بهـذا الاحتفال. وأما الذين يقولون إن هذا الاحتفال لم يكن في عصر الرسول فتكون إقامتـه غـير مشـروعة فقـولهم مـردود عليهم، لأنه بعد ما ثبت استحبابه فلا يقدح فيـه تـرك السـلف لـه، حيث أنهم كانوا مشتغلين بـأمور هي أهم من الاحتفـالات، وذلـك هـو الإرشاد والجهاد، ألا يعلمون أن الرسول صلى الله تعـالى عليـه وسلم

في مدة تسع سنين بعد الهجرة حارب المشركين في ثلاث وستين حرباً، وحضر بنفسه الشريفة في ست وعشرين، فمع هذه المهمات كيف يبقى المجال للأمور الأخرى؟ علاوة على ذلك أن آداب الدين منها فروض العين وفروض الكفاية ومنها السنن المؤكدة، ومنها المستحبات، فالمسلمون لم يتركوا ما هو من فروض العين او الكفاية أو المؤكدات، ولا يجب عليهم تطبيق التطوعات فكونوا على شعور بدينكم.

ثم لو كان عدم الوجود في عهده صلى الله عليه وسلم دليلا على الفساد والبدعة الشرعية لزم أن يكون وجود المحاريب في المساجد والجوامع، وبناء المنائر عندها، وبناء دار الإفتاء ودار القضاء والمدارس الدينية وبيوت المسافرين، وتربية اليتامى... من البدع المذمومة، لأنها لم تكن في عهده صلى الله عليه وسلم وكذلك تأليف الكتب العلمية، وكل ذلك من المهمات الإسلامية واجبة او مستحبة. فظهر مما ذكرنا أن كل ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم فهو من البدع بالمعنى اللغوي، أي لم يكن سابقا وحدث بعده فإن كان من مقتضيات دين الإسلام فهو إما واجب او مندوب، وإن كان من مخالفاته فهو حرام أو مكروه، وإلا بقي على الإباحة. وأما البدعة بالمعنى الشرعي أعني ما خالف الأدلة الأربعة السابقة فهو ضلالة وفساد فاعلموا ذلك وانتبهوا له.

واعلموا أن دين الاسلام دين خالد الى الابد ولا دين بعده، فيحتاج الى أمور كثيرة من المخترعات والأشياء الحادثة، ولا يجوز للمسلم العاقل ان ينسب كل ما لم يكن سابقاً الى البدعة الشرعية والضلال. وعلى ما ذكرنا فكل احتفال مربوط بذكرى أحوال وأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم كبحث إسرائه ومعراجه، وهجرته الى المدينة المنورة، وحروبه المهمة، كحرب بدر وأحد وخيبر وحنين وما شاكل ذلك... مادام ينور الأمة الإسلامية فمستحب بشرط رعاية أدب الشرع فيها والله أعلم.

ومن المهم أن تعلموا أن آباء الرسول صلى الله عليه وسلم الأقربين كانوا في الزمن الأخير من زمان ما بين إبراهيم وإسماعيل والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن ذلك الزمان كان زائدا على مقدار ألفي سنة وذلك الزمان مقسوم بثلاثة أقسام:

القسم الأول: كان منوراً بنور الرسالة والناس عالمون بأحكام الدين ومكلفون بالأحكام.

والقسم الثاني: كان مما اختلط فيه العلم بالجهل.

وأما القسم الثالث الذي يقع بعد الإتيان بالصنم إلى الكعبة الشريفة بيد عمرو بن لحي الخزاعي الذي قال في حقه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((رأيت عمرو بن لحي يجر أمعاءه في نار جهنم)) فهم كانوا في ضلالٍ من العلم وانقطاع من الوحي وفترة وانقطاع كامل عن الرسل[3] وأحكام الدين وصاروا غافلين جداً.

وأما أن أهل الفترة غير مكلفين فلقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فعلى ذلك يجب أن نعتقد أن الآباء الأقربين، وبالخاصة ابويه الماجدين، كانوا في عهد الفترة وغير مكلفين وغير معذبين في الآخرة قطعا.

وكل ما يروى على خلاف ذلك مما لا يعتمد ولا يجوز الاعتماد عليه لمخالفته لظاهر النصوص، أو يحمل على نوع من العذاب على المعاصي لا على الكفر، لأن أهل الدين والإيمان السليم قد يعذبون على الذنوب وقد يعفو الله تعالى عنهم بفضله ورحمته.

علاوة على ذلك قد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى أن يحيي والديه فأحياهما وآمنا به، وهذا الإيمان يعتبر إيمان التشريف لا ايمان التكليف؛ لأنهما كانا في عهد الفترة وما كانا مكلفين.

[3] في المخطوط الوحي

وأما ما قاله بعض الناس من أن الإيمان بعد الموت على الكفر لا ينفع. فمردود هنا من جهتين الأولى: أنهما لم يكونا مكلفين، فلم يكونا في عرف الشرع كافرين.

الثانية: أن هذه القضية كانت خارقة للعادة وكرامة لحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مانع من أن يختصه الله تعالى بفضيلة أو فضائل من هذا القبيل أو فوقه، أو دونه، فاعلموا ذلك واعتقدوه تنتفعوا.

وعندها ظَهَرت بشارة للورى   على الظهور لنور الحق

وازدَهَرَت مكة من يُمن   فكادَ أن ينطق البكم مع

تحولت سنة الجَدب الى   وزاد فيها كثير المال والنعم

غاصت بحيرة ساوة عند   حُكما على انتكاس الروم

واهملت نار دين الفرس اذ   مَعَ وجُود جماعاتٍ من

وشُقَ أيوان كسرى للدليل   كسر لشوكته في أمة

وقد رأى نفسه الركبان مِن   قد عبرت دجلة لجانب

وكم رأت أمُّه، أمَّ الهدى،   وكم بدت عندها الأنوار في

وابتسمت شفة الدنيا لمولده   والعرش والفرش واللوح

وكان درّاً يتيما في المحيط   ولد فردا يتيما في كسا

قولي: (وعندها ظهرت الى آخره) بيان لظهور أمور كثيرة شهدت بتبدل الدنيا وتحول العالم المظلم الى عالم منور بوجود حضرة صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من كل وجوه الخير والبركة.

أما من باب الخير فالمنقول أن العرب في مكة كانوا في جدب وقحط شديد، ولما اقبلت سنة ولادته صلى الله عليه وسلم تحولت الى مطر، وخصب، وورود خيرات كثيرة من الخارج الى مكة بحيث شعر الناس برفاه واسع. وأما من جهة دفع الشر فقد ثبت أنه أتى أبرهة الحبشي المستولى على اليمن بجيش الى مكة لهدم الكعبة، فلما وصلوا وادي (المحسّر) قرب المني أرسل الله عليهم طيرا أبابيل فرموهم بحجارة من سجيل بحيث ابتلوا بمرض شديد، ولم ينج منهم الا القليل. وأما من باب العلائم والإشارات فثبت أنه غاضت بحيرة طبرية المعروفة بساوة قرب ولادته صلى الله عليه وسلم إشارة الى انتكاس أعلام الروم في البلاد. وأتت زلزلة على أيوان كسرى ملك العجم فانشقت اربع عشرة غرفة منها. ونفسه رأى بالرؤيا أن قوما من العرب الركبان جاؤا وعبروا نهر دجلة ودخلوا في المدائن دخول القوة والمنعة. كما أنه خمدت نار فارس المعبودة لهم، وكان عليها مئات من الحراس لحفظ اشتعالها اشارة الى نهاية عبادة النار. وهذه الأمور تدل دلالة على أن الزمان دار من الخوف الى الأمان، ومن الجهل إلى العلم والعرفان، ومن الشقاء إلى السعادة والرحمة، ومن الكفر إلى الإيمان. وهكذا شأن طوالع الرحمة قبل طلوعها تنور الأفق وبعده تنور الآفاق،، ولذلك قال الباري سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

ولِدتَ بالعز عند عبد مطلب   مطالباً لنظام الحق للأمم
أسماك جدك اسما جامعاً   محمدا في جمال اللفظ
حيث رأى في المنام انه   في صدره شجر عَلَت على
فقد ترجّى لكم حمدا كثيراً   وجه يفوق نطاق الحصر
فحقق الله للجد الرجاء وقد   حمدك الناس من عرب
وجاءك اللطف والتوفيق   وصرت مبدأ كل الخير
طهرت أم القرى وعالمَا   من دنس الشرك بالنار
فصارت الأرض غير الأرض   من أهل الاشراك والفحشاء
نصرتَ مولوده المَحمودَ   محمداً أحمد[4] بالعلمِ

قولي: (ولدت بالعز الى آخر الابيات) بيانه: أنه توفي أبوه صلى الله عليه وسلم وكان في بطن أمه، ولما جاء أوان طلوع شمس حقيقته من أفق العالم ولدته أمه في رعاية الجد عبد المطلب، وقد سماه محمدا، فسألوه لم سميت وَلدَكَ محمدا وليس هذا الاسم في آبائك الكرام؟ قال: رَجَوت أن يحمد في أهل الأرضين لأني رأيت في رؤياي أنه نبتت شجرة على صدري فنمت

4) في المخطوط احمدا

وترفعت *واسترفعت* وتـرقت الى عنـان السـماء، وعلت على الجبــال، وتفــرقت أغصــانها الى الغــرب والشــرق والجنــوب والشمال وقد حقق الله تعالى رجاءه فصار بحيث تربى احســن تربية ونشأ أحسن نشأة الى أن بلغ الأربعين، فأرسل اللــه إليــه الملك وأنزل عليه الوحي، ودعا الأنـام الى توحيـد الملـك العلام وترك السجود للحيوانات والنار والأصنام، ووفقه وفتح لـه الفتح المبين، وطهر أمّ القرى وما حولهـا من الجهـات من الظلمـات، ونورها بالآيات البينات؛ فهو الولد البار، المحمـود في المنـاقب، ومحمد في المناصب وأحمد كثير الحمد لله تعالى.

شربُه للبان الأم وحَليبها وحليب غيرها

لبان أمك قد وافاك مبتدأً	فصار فيك غذاء الأمن
ثويبة أرضعتك من حليب وفا	نصرت أهل الثواب من
رضعت من داية حليمة العَلم	سعدية النسب للسعد
ونسبة السعد فيها بشرتك	يبقى لك السعد دوماً في
وأمّ أيمن قد دارتك حاضنة	أي انت ايمنُهم في الجود
أمن ثواب ويمنُ للحلمِ جاءك	وافَتك داياتك الآيات للنعم

تفاءل الناس بالأسماء إذ ... من السماء على الإحسان

فقد توالى السعود في ... وأهل سعد عيون الفضل

قولي: (لبان أمك الى آخر الابيات) يعني أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد ليلة الاثنين قبل الصبح أعطته أمه آمنة بنت وهب رضي الله عنها الحليب البدائي المشهور باللبان لتقويم أعضاء الولد، وأرضعته بعدها ثويبة جارية أبي لهب ودارته كمرضع، وثويبة هذه لما بشرت أبا لهب بولادته اعتقها فرحاً بقدومه.

وقد رؤي أبو لهب بعد موته في المنام، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني في كل ليلة إثنين، وأمصّ من بين اصبعيّ هاتين ماء، وأشار برأس أصبعيه، وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وإرضاعها له. وقال: ابن الجزري فإن كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد الذي يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم؟ ولعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم.

ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

ومما جرّب من خواصه انه أمان. قالت حليمة ما حاصله: أتينا مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء. وقد رأين الرسول – صلى

الله عليه وسلم وما أخذته واحدة منهن بحجة أنه يتيم لا أب له، وكلهن أخذن الرضيع، وبقيت بلا رضـيع، فأتيتـه، فـإذا بـه مـدرج في ثـوب صـوف أبيض من اللبن، تفـوح منـه رائحـة المسـك، فوضعت يدي على صدره فتبسم ينظر اليّ، فقبلتـه بين عينيـه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بمـا شـاء من لبن، ثم حولتـه الى ثديي الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعدُ. فأخذته، فها هو إلا أن جئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء اللــه من لبن، فشـرب حـتي رَوِي وشـرب اخـوه حـتي رويَ. وزادت نعمتنـا وحسنت معيشتنا، وقالت: لما وصل الى منتهى الرضاعة رجعته الى أمّه في مكة، وترجيت منها أن تخليه معي، لأنا وجدنا بركتنا من وجوده، وأذِنت لي، فرجعت به إلينا كما كان. قالت حليمـة: وَبَعَدَ مَقدمنا بشهرين او ثلاث كان مع أخيه من الرضـاعة خلـف مُتسع لبيوتنا جاء أخوه يشتدّ، فقال: ذاك أخي قـد جـاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، قالت حليمة: فخـرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعاً لونـه. فاعتنقـه أبـوه، فقال له: أي بُني ما شـأنك؟ قـال: جـاءني رجلان عليهمـا ثيـاب بيض، فاضـجعاني، فشـقا بطـني، ثم اسـتخرجا منـه شـيئا، فطرحاه، ثم رداه كما كان. فرجعناه معنا فقال أبوه: يـا حليمـة قد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده الى أهلـه قبل أن يظهر عليه ما نخاف. فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمـه، فقـالت: مـا ردكمـا بـه فقـد كنتمـا حريصـين عليـه؟ قلنـا: نخشى عليه الإتلاف والأحداث. فقالت: ماذاك بكمـا فاصـدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناهـا خـبره، قـالت: أخشـيتما عليـه الشيطان، كلا والله مـا للشـيطان عليـه من سـبيل. إنـه لكـائن لابني هذا شأن فدَعَاهُ عنكما.

وفي الأنـوار المحمديـة: وقـد وقـع شـق صـدره الشـريف مـرة اخـرى عنـد مجيء جبريـل عليـه السـلام اليـه بـالوحي في غـار حراء، ومرة أخرى عند الإسراء.. انتهى.

والحكمة تنظيف صدره الشريف وقلبه اللطيف عن حقوق النفس وملؤه بالأنوار المقوية له ولجانبه الروحي صلى الله عليه وسلم وقلت في شرح الأبيات: إن المشهور هو أن الاسماء تنزل من السماء، وأن الأسماء المبشرة. يُتبرك بها ويستفاد من أسماء أمه صلى الله عليه وسلم وداياتهِ ثويبة وحليمة السعدية، وخدمة أمّ ايمَنَ له صلى الله عليه وسلم أنه أودع الله في قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم الأمان والثواب والحلم والسعادة واليمن والبركة الوافرة.

السعد الأول

وأول السعد شق الصدر في — لدى حليمة للتطهير عن

من كل أدرانِ نفس في — وملئه بهُدى الأسرار والحِكم

وملئه بالمزايا من مواهبه — كما يليق بختم الرسل للأمم

خافت حليمة أن الجن قارنه — فأرجعته الى الأم مع الألم

بقيت حتى توفت عند رجعتها — في سفرة الزّورة لصاحبي

ثم انتقلت إلى الجد الجليل — إلى وفاته بالإعزاز من هرم

وقبل موته وصّى العم فيك — نزلت في بيته المعمور

فيه نشأت على وجه برام — كما قد ينشأ البان في

ومعه سافرتَ للشام، واذ — بُصرى تراجع خوف البؤس

ومع زبير كذا سافرت لليمن — بعادة لقريش بين ذي الأمم

ما افتتحت عين دنياكم   بكسب عيش شريف يأتي

وعشت في علية القوم   وكنت مختارهم في كل

في سبق عقل وصدق القول   والحلم والصبر عن كره

ومن أمانتكم في القوم   صار الأمين كاسم لك من

وقولي: (وأول السعد الى آخر الأبيات) بيانه: أنه وإن كان التفؤل من أسماء داياته صلى الله عليه وسلم ببشارات وإشارات الى سعده وسعوده صلى الله عليه وسلم وصعوده في مدارج الكرامة، لكنه لما اختاره الله من خلقه شرّفه قبل النبوة بإرهاصات وأمور خارقة كانت تبشر بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وأول السعد هو أنه عندما كان عند حليمة السعدية، وتجاوز عن وقت الرضاعة أرسل الله تعالى إليه الملك، فشق صدره الشريف، وطرح منه موجبات الأذى وملاه من الحكمة كما ذكرنا. ويأتيه سعدات أخرى كما نذكرها إن شاء الله تعالى.

ولما أرجعته حليمة الى أمه وجده خوفاً عليه صلى الله عليه وسلم بقي عند أمه إلى السنة السادسة من عمره، فسافرت أمه إلى زيارة إخوتها في المدينة المنورة، ومعها الرسول صلى الله عليه وسلم ولما رجعت إلى مكة ووصلت (الأبواء) تمرضت، وتوفيت الى رحمة الله، ورجعت به حاضنته أم أيمن الى جده في مكة المكرمة، ولما تمرض مرض الوفاة وصى ابنه أبا طالب بالتزامه صلى الله عليه وسلم فالتزمه وخدمه وأكرمه، وكانت زوجته كخادمة له صلى الله عليه وسلم تخدمه خدمة الأم الحنون لولدها، ولذلك دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها،

ودخل في قبرها، وتمدد في لحدها ثم خرج وقال: (اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة امي). يريد صلى الله عليه وسلم أمه في الإكرام والرعاية لا في الحضانة والرضاعة. ولما وصل عمره نحو اثنتي عشرة سنة أخذه عمه أبو طالب في سفر قريش إلى الشام، وكان أبو بكر رضي الله عنه في القافلة. ويذكر في الأنوار المحمدية: أنها لما وصلت مدينة بصري ذهب أبو طالب وأبو بكر وجماعة إلى محل رأوا فيه بحيرا الراهب؛ فسألهم عن أساميهم ومواطنهم ثم سألهم: هل معكم ولد كذا وكذا؟ قالوا: نعم. فقال: إني رأيت غمامة محاذي رأسه تظلله، وهو المنعوت في كتابنا، والمبشر برسالته في الوقت المحدد، وأخاف عليه من أضرار يهود به، فلما سمع أبو طالب ذلك قطع سفره[5] ورجع به صلى الله تعالى عليه وسلم الى مكة المكرمة، وفي عمر نحو ثماني عشرة سنة سافر مع عمه الزبير الى اليمن لتجارة معتادة لقريش، ورأى البلاد، وفتح عينيه[6] لامور مكاسب المعتادة ورجعا إلى مكة بسلامة.

---

[5] في المخطوط تندم عن إتمام سفره

[6] في المخطوط العينين

السعد الثاني

وسعدك الثاني قد وافاك من أ ... خديجة بنت آباء ذوي كرم

صاهرت على علو من الق ... غال عن النصب والغدر

القى بها عمكم في عزة بليغة ... بلغت اعلى رُقي

فصرت في راحة من عين كَا ... كالطير في روضة ملأى من

فأنجبت لك نسلا جاها شرفا ... من والدين على اعلى من

قاسم، زينب، عبد الله، رقية، ... ام كلثوم، على نِعَمِ

ولما تبصـر في أمـور المعـايش والمكاسـب، ورأى خديجـة بنت خويلد الاسدي امرأة صالحة الأخلاق، حسنة السيرة، ولها ثـروة لا بأس بها، وهي ترغب في التجارة منها مقداراً من مالها يتاجر به ويؤتيها حصتها من الأرباح، ومعه في اسفاره غلامها ميسـرة، وكان في معاملته صلى الله عليه وسلم اربـاح مناسـبة.. رغبت في التزوج به، حيث أنه شاب شريف ومن سـلالة شـريفة، بـل أشرف من غيرها، وعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الامر على[7] عمه ابي طالب فرضي بذلك، وخطبها له وقـد ألقي في خطبتها خطبة ذكر

[7] في المخطوط الى

فيها شرف قريش وشرف بني هاشم، وشرافة الحبيب[8] صلى الله عليه وسلم وكرامته ونزاهته، وتم الأمر، فعقد عليها، فتحول الرسول صلى الله عليه وسلم من الانفراد والوحدة الى الاجتماع وإدارة العائلة المحترمة، وفي كل وقت يزداد له ما يزيد على قدره ومقداره الذاتي أصولاً وافعالاً حسنة[9] تميز بها في المجتمع، فصار فرداً قريباً بينهم، أما نسباً فمن النسب العالي، وأما حسباً فمن اهل الحسب المتعالي، وأما حالاً ومالاً فكان إنساناً معتدلا بارزاً ممتازاً، وكان يلقب بالأمين لأمانته ونزاهته ومنفعته للمجتمع كما يقال.

(ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)، وقد أنجبت خديجة بنين وبنات أهل الكرم والمكرمات وحسن نبات الأرض من كرم البذر: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وعبد الله، وقاسم. وقد توفيا في مكة المكرمة، وبقيت البنات الى ما بعد الهجرة وتوفين في المدينة المنورة، زادها الله شرفاً وزادهن رحمة ورضوانا.

والحاصل آن ايام عمره صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج بنت خويلد الاسدي مضت عليه براحة نفسية ورحمة قدسية، وذلك لعفتها وأمانتها وشعورها الجميل مع الرسول الجليل، لا تريد إلا ما يريده ولا تعارض إرادته وعنايته فعاشا معاً، وعاشت العائلة بدون غائلة عيشة مرضية هنيئة مباركة.

وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بما يقوم به الرجال في كافة الأحوال، وهو مستمر في تخلقه بالأخلاق العالية بين الأمثال والأقران، ويتحمل ما يتحمله الإنسان الكامل من الصدق والصبر والامانة، فاشتهر بالأمانة، ولقب بالأمين عندهم، وعند الناس اجمعين.

---

[8] في المخطوط الحبيب محمد

[9] في المخطوط حسنة جميلة

السعد الثالث

وسعدك الثالث التفكير في … لذلك العالمِ الآتي من العدم

وعندما اقتربت ايام موهبة … قد زادك الله نورَ العلمِ

حتى تأملت في الدنيا … في البر والبحر والأنوار

في خلق الأفلاك في علو بلا … في الشمس في القمر

ومن محرك تلك الكائنات … على المحامد دون الوقف

ويضبط السير فيها حسب … على الدوام على المنهاج

وهل يحركها مالا شعور له … او عالم قادر ذو القدر

والناس في سجدة العجلان … والذئب يأكلها في الحل

والبعض في سجدة النيران … والنار قد تنطفيء برشقة

والعرب في سجدة الأوثان … بلا شعورٍ ولا علمٍ ولا حكم

وكيف تعبد عجلاً أنت تذبحه؟ وقد تخور من الجوع ومن
وكيف تعبد ناراً انت تشعلها؟ وتنطفئ بقوى الأمطار من
وكيف نعبد أصناماً مجمّدة؟ أجزاؤها تخضع الإنسان بالقدم
ما ذلك البشر الحيران دون ودون فكرته في سيرة
ضلت طريق الهدى للخالق الواحد الفرد ذو القدر وذو
وكيف يقبل عقل المرء ذا أن ينسب الخلق للمعروض
أو للمواد التي تفنى بعارضة مثل العجاجيل والأوثان
وإنما الخلق والايجاد والأثر لواجبٍ موجدٍ للشيء من
وقد ترقيت في الافكار الى اليقين بذات الله ذي
والخلق لا يصلح إلا بالنظام وجه متين وفاق الرشد
لا يصلح الناس إلا بالسلوك تقوى من الله في سر وفي
بالعقل بالعلم بالأخلاق من خالص القلب دون

فأشرق النور واستحليت غار في كل عام بشهر عشت

ودمت في فكرك المبروك أن جاء الوحي من مولاك

قولي: (وعندما اقتربت أيام موهبة الى آخر الأبيات) بيان هذا المقام هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض بحكمته، وأودع في الانسان القوة النطقية والقوة الشهوية للجذب والدفع، ولما كان الانسان مدنياً لا يعيش وحده ويختلط بالاضطرار بأمثاله من بني الإنسان، وفي كل فرد القوة النطقية الإدراكية والقوة الشهوية، ويحصل بينهم التنافس والتعارض في الجذب والدفع.. زود بني الإنسان برجالٍ أخيار أولي كرامة ورشد كامل وأوحي إليهم الكتاب كنظامٍ جامع لسعادة الجميع في الدارين. وبما أن الإنسان في الأغلب يحتوي أخلاقاً فاسدة لا ينصاع الى الحق، وقد وقع منذ فجر الخليقة تصادم وتعارض بين الشريعة والأهواء، أي بين الهدى والهوى، وبعبارة أخرى بين الحق والضلال، والمجتمع الإنساني وإن لم يخل عن رسل الله تعالى لقوله الكريم ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ لكنه قد وقعت فترات في الزمان صارت الغلبة لأهل الأهواء، وأمحوا شعار الرسل الكرام من توحيد رب العالمين وبدلوه بعبادة الحيوانات كالعجاجيل والأوثان والأصنام. ألا ترى أن سيدنا إبراهيم عليه وعلى سيدنا الصلاة والسلام بعد قبول أنواع الأذى والأتعاب، والإلقاء في النار والتهجير الى الديار، وفقه الله تعالى على نشر دين التوحيد في ربوع جزيرة العرب، وبنى كعبة الله تعالى، وأذّن بأمر الله تعالى في الناس للحج، وجعله شعار المسلمين الموحدين وبقي دينه بسلامة في زمن ابنه إسماعيل وأولاده مدة ألف سنة. وبعد ذلك[10] أخذ في الانحطاط والاختلاط بالأهواء والأباطيل.. ومرت ايام حتى أخذ عمرو بن لحي الخزاعي الفرصة وأتى بالصنم من الشام الى بيت كعبة الشريفة، وأخذوا في دعايات فارغة حتى نشروا عبادة الأصنام في جزيرة العرب. ويقول في شأنه حضرة

[10] في المخطوط وبعدها

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما رواه صاحب صحيح البخاري ((رأيت عمرو بن لحي يجر أمعاءه في النار..))

وعلى اتباع الأهواء اتخذ الأقباط العجل إلها وعبدوه طيلة قرون، وجعلت أمة العجم ومن والاها النار معبودة لهم وعبدوها.

وكما أن الله تعالى لما أراد نشر التوحيد في العالم حرك قلب عبده الجليل إبراهيم الخليل كما يفيده قوله الكريم ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ كذلك حرك قلب عبده المختار الممجد سيدنا محمد للتفكر في الدنيا جميعها علويها وسفليها، وأخذ يتفكر ويتصور العالم واحتياجه الى نظام حق عادل معتدل في إدارة رب حي عليم قدير واجب الوجود متصف بالكمال ومنزه عن النقص. فجعل يترقى في مستويات أفكاره السائحة الصالحة، حتى أيقن أن جميع ما عليه العباد في عصره من الإشراك وعبادة غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، كله هواء باطل عاطل وأن الحق هو اللجوء الى الله تعالى وحده لا شريك له فقرر لتصفية أفكاره أن يختلي شهراً من كل سنة للابتعاد عن الناس ورعاية فراغ الروح والتفكر في الباري تعالي، حتى ان وصل الى أمنيته بنزول أمين الوحي الجليل جبرائيل عليه السلام عليه وهذا هو سعده الرابع في حياته.

وقد قسم العلماء الزمان الذي وقع بين وفاة سيدنا إسماعيل وبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى أقسام ثلاثة:

فالقسم الأول منها كانت احكام الدين فيه دائرة مشهورة معروفة بين الناس، ويعتبر الناس المنكرون للدين فيه كافرين بلا شبهة.

والقسم الثاني منها: كان الدين فيه في ضعف واندراس فمن بلغته الدعوة الدينية كان من المكلفين، والمخالف فيه أعتبر كافراً والموافق المعترف به كان مؤمناً.

وأما القسم الثالث: فكان زمان الفترة واندراس الوحي، لأنه لم يبق الناس على بصيرة في الدين، ولم يبق مبلغ قوى العلم والإرشاد، فلم يعتبر

المخالف للدين فيه كـافراً، لأن النـاس البسـطاء الـذين لم يكن لهم راع وداع وساع في تربيتهم يبقون غافلين جاهلين بالقواعد والأحكام، والغافل لا يكلف فأهل هذا القسم الثالث لا يعتــبرون مكلفين بأحكام الدين. حتى يعتبر المخـالف لـه كـافراً، والـدليل على ذلك آيـات كثـيرة من القـرآن الكـريم منهـا: قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾

ومنهــا قولــه تعــالى: ﴿لِئَلَّا يَكُــونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْــدَ الرُّسُلِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُــولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْـرَةٍ مِّنَ الرُّسُـلِ﴾ ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿لِتُنْـذِرَ قَوْمًـا مَـا أُنْـذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، وعليه يعتبر النـاس الواقعـون قـرب بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الفـترة وانقطـاع الوحي فلم يبقوا مكلفين ولا يحكم بكفرهم ولا بكونهم من أهل العذاب، فما قيل أو يقال في الحكم عليهم بالكفر غـير صـحيح. وما يروى من الأحاديث التي تدل على خلاف ذلك لا حجـة فيهـا لرجحــان النصــوص القرآنيــة الدالــة على خلاف ذلــك فآبــاؤه الأقربون من بعثه صلى الله عليه وسلم آمنون من العذاب مثل بـاقي أهـل الفـترة، ممن لم تبلغهم الـدعوة، وبالخاصـة والـداه صلى الله عليه وسـلم علاوة على أنهمـا ماتـا في الشـباب ولم يســافرا إلى ســائر الأمــاكن والبلاد حــتى يتصــلا بأهــل العلم، ويسمعا دعوة دين سيدنا إسماعيل على تقدير بقائه هناك.

وهناك حجة أخرى على أنهما من أهل الجنـة والرحمـة مـا روي من أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله تعـالى لإحيائهمـا للإيمـان به صـلى اللـه عليـه وسـلم فأحياهمـا وآمنـا بـه. وهـذه القضـية لتشريف الرسول بتشريف أبويـه وفوزهمـا بالجنـة الناشـئ عن الإيمـان، وليسـت قضـية تكليفيـة لأنهمـا ماتـا في عهـد الفـترة، وانقطاع الوحي ولم يكونـا من المكلفين فخـذوا هـذه المسـألة واطمأنوا بها قلبا.

وذلك شأن كل أمة لم تبلغه *تبلغ* الدعوة الدينية كأهل الجــزر في البحــار والوديــان وقمم الجبــال في الــديار البعيــدة عن المعمورة لا سيما في زمان لم تكن فيه المواصلات.

السعد الرابع له صلى الله عليه وسلم

وِ الوحيُ رابعُ سعدٍ طالع	تاجُ الرسالة فوق الرأس
مَنه انبثاق لنور القلب متسعا	ومنه شرح الصدر واسع
أحسِن بتاج من الغيب	من مالك الملك منشئ
وحامل الوحي جبريل امين	تنزيله دون تغيير على رقم
آتاه ربّه بالإلقاء دون جفا	تعليم آدم للأسماء والكلم
من سورة العلق كالنور	للعقل والعلم والتعليم
فصرت حقاً رسول الله	ورحمةً لعبادِ اللهِ كلهم
وبعد أخذه تاج العز والشرف	قد عاد للبيت مع شيء من
فأخبر الزوجة العصماء حالته	فاستحمدت ربها بالفضل
وبشرته بعليا رتبة سمحت	له، على ما جرى في اللوح

وذهبت به نحو ابن عم لها ورقة، عارفا بالرسل والأمم

لما حكى حاله بشر أن جاءه مأمورِ وحي من الرحمن

جبريل من جاء بالإنجيل لابن مَريم عيسى صاحب

وبعد ذا وقف الوحي الى عن الرسول وبعد عاد

وقولي: (والوحي رابع سعد..) بيان المَقام: أنه لمـا بلـغ عمـره صـلى اللـه عليـه وسـلم أربعين سـنة بعثـه اللـه تعـالى رحمـة للعالمين ورسولاً الى كافة الخلق، وكان ذلك يوم الاثـنين لسـبع عشـرة خلت من رمضـان. روى البخـاري في التعبـير حـديث عائشـة أم المؤمـنين رضـي اللـه تعـالى عنهـا أول مـا بـدي بـه رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم الرؤيـا الصـادقة في النـوم فكـان لا يـرى رؤيـا إلا جـاءت مثـل فلـق الصـبح. ثم حبب إليـه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبـد- الليـالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويـتزود لـذلك، ثم يرجـع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجـاءه الملك[11] فقـال: اقـرأ: قـال[12]: مـا أنـا بقـارئ. قـال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهـد ثم أرسـلني فقـال: اقـرأ! قلت[13]: ما أنا بقارئ، فأخـذني فغطـني الثانيـة حـتى بلـغ مـني الجهد ثم أرسلني فقال: اقـرأ! فقلت: مـا أنـا بقـارئ. فأخـذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني[14] فقال: ﴿اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَـقَ (1) خَلَـقَ الْإِنْسَـانَ مِنْ عَلَـقٍ (2) اقْـرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْـرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِـالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَـانَ مَـا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخـل على خديجـة، فقـال: زملـوني! زملـوني! فزملـوه حـتى ذهب منـه الـروع، فقـال: يـا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر. وقـال: قـد خشـيت على نفسـي. فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتَصِل

[11] في المخطوط الملك فيه
[12] في المخطوط قال فقلت
[13] في المخطوط فقلت
[14] في المخطوط فأرسلني

الرحِمَ، وتصدُقُ الحديث وتحمل الكَلَّ، وتَقري الضيفَ، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عبد العُزى، ابن قصي، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية. فقالت له خديجة أي ابن عمي اسمع من ابن أخيك. فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني كنت حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله: أو مخرجيَّ هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قطّ بما جئت به إلا عودي. ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم (في ما بلغنا) حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال، فيتمثل له جبريل ويقول له: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك قلبه.

فراح نَحوَ حِراء حَسبَ عادتهِ   وعندما عاد للأهل وللحرم

رأى الرسول علي الجوِّ   بهيبة أدهشت ناسا أولي

فصار في قلبه رعب وإذ[15]   للبيت دثره الخدام بالحشم

فنزلت سورة المدثر بصفَا   آمرةً سعيه في النصح للأمم

فراح يدعو الأنام تحو طاعته   مبشراَ منذراَ لصاحبي الهمم

فآمن الناس من صنفي   بربهم دون ما بؤس ولا نقم

خديجة من نساء البيت آمنةً   أسماء بنت أبي بكر على

[15] في المخطوط وصلا

فاطمة بنت خطاب أبي　　　وزوجة العم عباس على

ومن صغارٍ كبير القدر سيدنا　　　علي الحيدر الصمصام ذو

منهم أبو بكر الصديق　　　عثمان أهل الحيا والجود

سعد سعيد ابن زيد وأبو　　　وعبد الرحمن ابن العوف ذو

أبو عبيدة أهل الزهد　　　وطلحة وزبير من اولي

وابن مظعون عثمان　　　مع أخوين له في ذروة

وغيرهُم من اناس أهل　　　من سابقين إلى الإحسان

وكنت تدعو أولي العرفان　　　ودين توحيد رب الخلق

قولي: (فراح نحو حراء.. إلى آخره) بيانه: أنه صلى الله عليه وسلم بعد لقاء جبريل في المرة الأولى ورجوعه من الغار الى الدار وعرض حاله على خديجة ثم على ورقة بن نوفل.. توقف عنه الوحي مدة فصار متأثراً جداً، حتى في بعض الأوقات يريد أن يذهب الى شاهق ويلقي نفسه لكنه عند ذلك ينادَى غياباً: يا محمد إنك لرسول الله حقا.. فتهدأ حالته، وبعد مدة رجع الى غار حراء حسب عادته السابقة، وبقي شهرا يتحنث فيه، وبعد ذلك رجع الى داره كالمعتاد، وبينما هو في الطريق نودي من أطرافه، ولما

التفت يمنة أو يسرة لم ير شيئاً فنظر الى السماء فـرأى شـيئاً مدهشاً فلم يسكن بقلبه عند رؤيته وأخذه الـرعب واسـتمر في الرجوع حتى وصل داره. فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى زال عنه الرّوع ونزلت عليه ﴿يا أَيُّهَـا الْمُـدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْـذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْـزَ فَـاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْـتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْـبِرْ (7)﴾ فقـام من الـدثار، وأخـذ في التبليـغ والبشـارة وأول من آمن بـه من النسـاء زوجتـه خديجـة رضي الله عنها ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصغار علي ابن أبي طـالب كـرم اللـه وجهـه وعمـره عشـر سـنين، ومن الموالي زيـد بن حارثـة، ومن العبيـد بلال، ثم أسـلم عثمـان بن عفان، والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبدالله بـدعاء أبي بكـر الصـديق، فجـاء بهم الى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حين اسـتجابوا لـه فأسلموا، ثم أسلم أبو عبيـدة عـامر بن عبيـد اللـه بن الجـراح، وأبـــو ســـلمة بعـــد تســـعة أنفُسٍ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وأخواه قدامـة وعبـد اللـه، وعبيـدةُ بن الحـارث بن عبـد المطلب، وسـعيد بن زيـد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب.

وأول امـرأة أسـلمت بعـد خديجـة أم الفضـل زوج العبـاس، واسـماء بنت أبي بكـر، ودخـل النـاس في الإسـلام أرسـالاً من الرجال والنسـاء واسـتمر صـلى اللـه عليـه وسـلم في الـدعوة مستخفيا مدة ثلاث سنين من النبوة كما في المـواهب اللدنيـة، حتى دخل في السنة الرابعـة فـنزل قولـه تعـالى ﴿فَاصْـدَعْ بِمَـا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْـرِكِينَ﴾ فجهـر صـلى اللـه عليـه وسـلم بالـدعوة ومعارضـة المشـركين، فـأجمعوا على خلافـه إلا من عصمه الله بالإسلام، وحَدبَ عليه عمه أبـو طـالب وقـام دونـه، واشتد الأمـر وتضـارب القـوم وتـآمرت قـريش على من أسـلم منهم، ومنع الله رسـوله منهم بعمـه أبي طـالب، وببـني هاشـم غـير أبي لهب وبـني مطلب. وعن أبي ذر الغفـاري رضـي اللـه عنه: اول من اظهر الاسلام سبعة، رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم وأبو بكر وعمار، وأمّه، سُميّة، وصهيب، وبلال، والمقـداد. فأما رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون يعذبونهم، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، وأن بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، احد، ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة الى الحبشة، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة، فهاجر إليها ناس ذووا سعة وعدد. منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلا واربع نسوة، وأميرهم عثمان بن مظعون. وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عليه خبرهما فقدمت امرأة فقالت: رأيتهما وقد حمل عثمان أمراته على حمار. فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط)). فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم. أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي، وأسمه أصحَمَة. وكان معهما عمارة بن الوليد ليردّوهم الى قومهم. فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما. وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة رضي الله عنهما وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد هجرة حبشة بسنة، بثلاثة أيام بعد إسلام حمزة، فيما قاله أبو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم أعزّ الإسلام بعمر ابن هشام أو بعمر بن الخطاب، وكان المسلمون آنذاك بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: (استبشر أهل السماء بإسلام عمر). ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وانتشار الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، وأجابه حتى كفارهم. فعلوا ذلك حميّة. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم على: أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل. وكتبوه في صحيفة بخط بغيض بن عامِرٍ فشُلّت يدهُ. وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة. فانحاز بنو هاشم وبنو مطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، إلا أبا لهب فكانوا مع قريش. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جُهِدوا، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سِرا.

وروى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون. ولما سمع بذلك من في الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم نفر منهم لظنّهم أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد أمِنَ المسلمون بمكة. فأقبلوا سِراعاً من الحبشة.

ثم هاجر المسلمون الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً وثماني عشرة امرأة، وكان معهم عُبَيْدُ الله بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصّر هناك، ومات على دين النصرانية. وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان، سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة. ثم قام رجال في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أنّ الأرضة أكَلَت جميع ما فيها من القطيعة والظلم، فلم تَدَع إلا أسماء الله تعالى فقط. فلَّما أنزِلَت لتمزقُ وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم، وذلك في السنة العاشرة التي اتت عليه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة.

تدعو لتوحيد رب العالمين، لترك الإعزاز والاقبال

وكنت تدعو إلى الإدراك   للعقل، للعلم، للإعلاء
وكنت تنشر فوحات العطور   أدمغة الناس في الحل وفي
وكنت ترجم بالآيات كالشهب   فوج الشياطين ممن يأتي
فثارت ثائرة الكفار عن   وحقد نفس لسوء الفعل
وعذبوا أهل دين الحق من   بكلّ ما ليس يرجي من
بالهتك والفتك والتعذيب دون   ولا رعاية رحم فيه أو رحِمِ
كضرب عمار، أو قتل   أمرِ أبي جهل المشهور
ومثل تحقير بلال دون داعية   سوى أحَد أحد في موطن
حتى تعدوا على شخص   يخالف العرف والآداب في
وكل ذلك للإشراك بالصنم   وللضلال الذي قد شاع في
من شر إشراك عمرو بن   بالصنم من بلاد الشام
وبعد وضعه في البيت   بالجهل والكفر والإشراك

فاستصوب السيد العالي هجرة من أسلموا لخارج

فهاجر المسلمون نحو أرض مخافة الظلم والتعذيب

وبينهم ابن عفان تصاحبه رقية بنت مولى كل ذي

قد استقروا ونال الناس من فضل أصحمة

وأوفد المشركون نحوه لرجعة القوم للإشراك

وردهم خائبين صاحب وأكرم المسلمين من هدي

وقد علا نور توحيد الإله الى علا السماوات نحو اللوح

وأنت في روح روح القدس لا بأبي لهب، ولا أبي الحكم

هذاك يصلى لهيب النار وذاك يقتل في بدر على

واشتد غضبة أهل الشرك لقتله فحماه العم بالهمم

بقومه من بني هاشم سوى أبي لهب الملهوف[16]

أتى به ثم آواه بشعبه إذ كانوا حماة له بالعهد والذمم

---

[16] في المخطوط الملفوف

فكتب المشركون رقعة   حصار من نزلوا بالشعب
سعاتها سبعة نالوا عقابهم   شلت يد الكاتب المشئوم
وكم رأوا خارقات منه معجبة   وكم راوا بارقات منه
كسجدة الشجر تأييد رُتبته   والشق للقمر أعجب ندا
لاسيما بارق القرآن إذ نزلا   بنور الإرشاد والايقاظ للهمم
ونشر الأحكام علما كانت او   وعبرة الناس بالإهلاك للأمم
و نصر توحيد رب العالمين   بما أفاد من البرهان بالحكم
ومدح أعمال قوم قد مضوا   في نصرة الحق والأخلاق
وذكر الإيمان بالله وبالملك   والكتب والرسل أهل
وبالقضاء من الله وبالقدر   واليوم الآخر بعد البعث
وبحث نار جحيم ذات ملهبة   وذكر فوز نعيم الخلد والنعم
والوعد باللذة العظمى لأهل   مع الوعيد لأهل الكفر

وبحث أوضاع هذا الكون   على نظام دقيق جامع

وفعل ما ناسب الإنسان من   وفعل ما زانه كالوصل

فأمن السعداء أهل منقبة   وزاد للأشقياء الخوض في

حتى تمزق رق الهجر اذ   ديدان سوس سوى اسم

وقد سعت عصبة في عود   فعاد كل الى مأوى الهدى

لنرجعن نحو أهل الهجرة   الساكنين ديار الغرب بالألم

قد سمعوا أن أهل الشرك   سجدوا مع الرسول لذي

ظنوا أمانا وإيمانا ومكرمة   لذلك قد رجعوا لموطن

لكنهم إذ أتوا قد أيقنوا أنهم   باقون في حالهم من شدة

فرجعوا ثانيا بالغم والأسف   من حال أصحاب سوء

بقوا هناك الى سير الرسول   مدينة طيبة[17] بالعز

وقد بقي حضرة المولى   أعلى بمكة بالعلو وبالشمم

17) في المخطوط الطيبة

لكن ترى عادت الهيفا
صاروا أشد من الماضي

والمسلمون بصبر حول
كأنجم جاليات في عُلا

سبحان من خلق الأشخاص
في الخلق والخلق والأعمال

والكافرون كأنعام بلا نظر
إلى خوارق تبدو في دجى

وبينما هو في أيام دعوته
قد فاجأته وفاتان مع الألم:

وفاة عم عزيز كامل شرفا
في الذود عن نفس عين

وفوت عائلة في الخير عاملة
من أهلَ نائلةٍ للجود بالنعم

فصار عامك عام الحزن
الله يحفظكم من صدمة

وزادَ في الحزن طغيان
بكل ما عندهم من موجب

وعند ذلكَ سافرتم لنشر
للطائف العاكف في موجة

بقيت شهراً لديهم ما أجاب
ولا رأى وجهكم بالبشر

آذوك آذوك حتى صرت
من بين أهل الأذى بالصبر

رجعت بالهم لكن زاد روحك ... أنوار حق أتت للروح بالكرم

وفي طريقك قد وافاك خادم ... له بكم صلة في القرب

عداس جاءك بالأعناب من ... أولئك الأقرباء البعد عن

بسملت لما بدأت بالتناول ... فاكهة وصلت من مخزن

فاستسلم الخادم الجائي ... سمع منك من الألفاظ

صَرَف نحوك من جن نصيبين ... في طريقكم نفراً بالحق

وبعدما استمعوا لقومهم ... وبالهدى نفعوا بهذه الكلم

وصلت أم القرى استجرت ... بمُطعم بن عدي صاحب

أتاك عهدا على عونك في ما ... من كل كارثةٍ تأتي من

بقيت معتمداً في نشر دين ... ولو بدا مابدا من طالبي

قولي: (وكم رأوا خارقات الى آخر الأبيات) إعلام بما وقـع منـه صـلى اللـه عليـه وسـلم من الخـوارق والفضـائل الأخلاقيـة، والصبر، والصدق في دعوته لا سيما بعد وفاة عمـه ابي طـالب في العام العاشر من النبوة، ووفاة زوجته الكريمة خديجـة بنت خويلد الأسدي، بعد وفاة عمه بثلاثة أيام كما

نقل، وتشديد المشركين عليه وعلى أتباعه قبل ذلك في أوائــل الهجـرة الأولى منهم إلى الحبشـة ومـدتها، وعنـد رجـوعهم الى مكة وتكرار الهجرة إليهـا خوفـاً من إيـذاء الكـافرين، بـرغم مـا ظهر من البوارق الدالة على صدقه في دعـوى رسـالته؛ فمنهـا كلام الشجر معه صلى الله عليه وسلم ففي الأنـوار المحمديـة: روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنـا مـع النـبي صلى الله عليه وسلم فأقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريد؟

قال: إلى أهلي. قال: هل لك الى خير؟ قال: ماهو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبـده ورسـوله. قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قـال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة، فدعاها رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تَخُدّ الأرض (تشقها)، فقـامت بين يديـه، فاستشـهدها ثلاثـاً، فشـهدت، ثم رجعت الى منبتها! رواه الحاكم وغيره.

ومنها انشقاق القمر بإشارته صلى الله عليه وسلم إليه.

قال العلامة في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصـحيح عنـدي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ومـروي في الصحيحين وغيرهما. وله طرق شتى بحيث لا يمترى في تواتره (إنتهى).

وفي الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله تعـالى عنهمـا في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر). قال: قد كان ذلـك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقـتين فلقـة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا. وعند الإمـام أحمـد من حـديث جُبـير بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول اللـه فصـار فرقـتين، فرقـة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا سَـحَرنا محمـدٌ. فقالوا: ان كان سحَرَنا فإنه لا يسـتطيع أن يسـحر النـاس. قـال ابن عبد البر، وقد روى

هذا الحديث (اي حديث انشقاق القمر) جمع كثير من الصحابة وروي ذاك عنهم أمثالهم من التابعين.

وقد روى من طرق كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم انشق القمر على عهده صلى الله عليه وسلم، ونص الباري موجود، وهو: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾. ويريد وروده في عهده صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. ولو كان للمشركين تدبر في القرآن الكريم، وفي وعده ووعيده، وبيان توحيده وإخباره عن الماضي، قريبه وبعيده، وبيان الأمور الغريبة التي لم يعلمها أحد، ومغايرة أسلوب القرآن الكريم لأسلوب العرب، لآمنوا بلا توقف بأن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذا القرآن كلام الله تعالى، ولا مجال لإنسان لم يقرأ ولم يدرس ولم يمارس أهل العلم أن يأتي بهذا الكلام، ولكن الله يختص برحمته من يشاء.

ورسالته صلى الله عليه وسلم إلى الخلق، ودعوته لهم الى التوحيد، وصدقه في دعواه الرسالة أظهر من الشمس، ولا يحتاج الى إظهار للمعجزة لمن ينظر بالشعور السليم إلى أخلاقه العظيمة الكريمة، وصبره على ما ابتلي به من المشركين، لاسيما بعد وفاة عمه أبي طالب وفوت عائلته الشريفة، المؤمنة، الآمنة، الخادمة للرسول صلى الله عليه وسلم فطوبى لمن ينظر إلى هذه الأمور بدقة وإنصاف.

ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، كما ذكره صاحب الأنوار المحمدية، مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة في السنة العاشرة من نبوته صلى الله عليه وسلم وقبل هجرته بثلاث سنين، ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن، وكانت مدة إقامتها معه صلى الله عليه وسلم

خمسا وعشرين سنة على الصحيح، وبعد أيام من وفـاة خديجـة رضي الله تعالى عنها تزوج صلى الله عليه وسـلم بسـودةَ بنت زمعة رضي الله عنهـا، ثم خـرج إلى الطـائف لمـا نالـه من أذى قريش، وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهراً، يـدعو أشـراف ثقيف الى الله تعالي فلم يجيبوه، وآذوه، ولمـا انصـرف رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم من الطـائف مـر في طريقـه بعتبـة وشيبة ابني ربيعة، وهما في حائط لهما، فلما رأياه تحـركت لـه رحمهما.

فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب. فلمـا وضـعه بين يديه ووضع صلى الله عليه وسـلم يـده في القطـف. قـال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عـداس الى وجهـه ثم قـال: واللـه إن هذا الكلام ما يقولـه اهـل هـذه البلـدة. فقـال صـلى اللـه عليـه وسلم: من أي البلاد أنت؟ وما دينـك؟. قـال: نصـراني من أهـل نينوى. قال صـلى اللـه عليـه وسـلم: من قريـة الرجـل الصـالح يونس بن متي؟ فقال: وما يـدريك؟ قـال: ذاك أخي، وهـو نـبي مثلي. فأكَبَّ عداس على يديـه ورأسـه ورجليـه يقبلهـا وأسـلَمَ. ولما نزل نَخَلَـة (وهـو موضـع على ليلـة من مكـة) صـرف إليـه سبعة من جن نصيبين. وكان صلى الله عليه وسلم قد قــام في جوف الليل صلى، فاستمعوا له وهـو يقـرأ سـورة الجن والـذي آذنه بهم شجرة، وفي طريقه هذه دعا صـلى اللـه عليـه وسـلم بالدعاء المشهور، اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلـة حيلـتي، وهواني على النـاس يـا أرحم الـراحمين، أنت أرحم الـراحمين، وأنت رب المستضـــعفين، إلى من تكلـــني؟ الى عـــدو بعيـــد يتجهّمني، أم إلى صديق قريب َملكته أمري؟ إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليـه أمـر الـدنيا والآخـرة أن يـنزل بي غضـبك أو يحـل بي سـخطك ولـك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عديّ، وبقي في دعوته الناس إلى الله تعالى وتوحيده.

السعد الخامس

لجبر ما جاء من بلوى ومن ... من ثلة الكفر والإشراك

سلاه مولاه إذ والاه بالكرم ... بموهب الرتبة العظمى لدى

رتبة الاسراء والمعراج ... من الخطاب خطاب الحق

من اللقاء وتقديم التحية في ... حضور مولاه دون كيفه وكمِ

فجاءه الملك جبريل بالأدب ... يدعو الرسول لإسراء بلا

على براق كبرق النور ... في طي أرض بلا تعب ولا

سبحان من خالق اسرى به ... في طرفة العين من حرم

من كعبة الله نحو المسجد ... لوصف الأقصى يراعى عند

واستقبلته النبيون بمكرمة ... فصار في المسجد الأقصى

صلى بهم فيه تشريفا ... كخاصة فيه للرحمن ذي

واستقبلوه بأجسام منورة ... هي المثالية العليا على قمم

كما تمثل جبريل الأمين إذا ... جاء لوحي بشكل دحية

والملكين لدى داود إذ صعدا ... محرابه لخصام كان ذا حكم

وشخص موسى وعيسى عند ... بصورة الشاب من أزد على

رآهما إذ أتى حج الوداع على ... لبيك لبيك للرحمن ذي

فالرسل والأنبياء وكذا[18] ... أجسامهم ذات تمثال مع

وهذه الصورة العليا لهم ... لأهل قدر أتى بالفضل

والروح في برزخ له التشكل ... مثال ما ناسبت للقدر

وبعد ذا صعد الرسول ذو ... على البراق الى ما فوق كل

وقد رأى ما رأى عند العروج ... فوق السماوات من قدر

في سدرة المنتهى مقام ... والبيت ذي الوصف

وبعدما أنتهى العروج ... وقف جبريل وقف العاجز

<49>

---

18) في المخطوط الأوليا

فقال له: لو دنوت قدر أنملة قد احترقت فلا ميدان

ومن هنا قد علا لحيث شاء برفرف الجذب للموصوف

وزج حضرته في نور هيبته مغمورة في تجلي الفيض

حيا الإله حبيب الحي بالأدب وجاوب الحق بالأعلى من

الله اعلم ما قد كان يدركه من فيض أنوار رب وافر

حيّا وسلم مولانا على ادب على الاله بكل الروح

ناجيته ولقد ناجاك بالكرم من دون ريب ولا قدح ولا

لا كيف، لا كم، لا مقدار في لا يدرك العقل ما قد لاح

فقرر الملك القدوس بخلعة التاج والمعراج للأمم

معراجَ الأرواح من أفراد أمته وتاج الافراج منكم يا أبا

صبح وظهر وعصر مغرب وهي المصابيح للأرواح في

وهي المناجاة مع مولىً وهي النجاة عن الأوزار

فرض الرسول وفرض عين	ما دام تبقى على عقل بلا
وعاد للأرض مثل البرق في	من الزمان كلحظ العين او
وبعدما أصبح الصّبح بنور	أعلن ما ناله من نائل النعم
فاز بتصديقه الصديق إذ	وسائر الصحب أهل الفضل
جبريل في ظهره اتى	صلى اماما في بقعة الحرم
والصحب في الاقتدا لحضرة	اكرم باهل الوفاء في الحل
وكرر الأمر يومين على مهل	ليستين[19] براء الوقت مع
كذلك قرر هذا الركن للأبد	أكرم بمن قد وفى بالصدق
وصادفت ليلة الإسراء ذي	السابع التالي للعشرين من

قولي: (لجبر ما جاء... الى آخر الأبيات) بيانه: اولا أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن للعبادة، ولا يمكن العبادة الا بالعلم والمعرفة، وأرسل الرسل الكرام عليهم السلام لنشر معرفة الله تعالى وعبادته، ولما كانتا مخالفتين لهوى النفس، كان الناس أكثرهم يخالفون الرسل ويؤذونهم، وإن افضل الرسل فعلاً وعقلاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أوذي في سبيل نشر دين الإسلام، وتوجيهات الباري ايذاءاً

[19] في المخطوط ليستبين

كثيراً وزاد اسفه يوماً على يوم كما انه زاد أجره آناً فآناً، ولما اشتد عليه الأذى وضاق صدره، سلّاه ربه وفرح قلبه، بأن فتح عينه ليرى ملكوت السموات والأرض، لا بالفكر فقط، كأبيه إبراهيم عليه السلام بل بفكره ونظره معاً، ولذلك منحه رتبة الإسراء والمعراج، اللذين هما من أعظم الخوارق من جهات كثيرة فطي المسافات البعيدة، وعروج المادة الى جهة العلو، ورؤية ما لا يرى عادة.

وبينما هو صلى الله عليه وسلم في بيت عمته أم هانئ في جانب الكعبة الشريفة، نزل عليه جبريل بخرق سقف البيت، وسلم عليه، وأخبره: بأن الله تعالى يدعوه للإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وبالعروج منه الى ما فوق السموات، ومنه الى ما شاء الله من الدرجات العالية.

وكان معه المركوب المشهور باسم البراق، وهو حيوان أصغر من البغلة، فركبه، وكان يتحرك كحركة البرق الخاطف، حتى وصلا الى المسجد الاقصى (بيت المقدس). وأحيا الله تعالى جمعاً من الرسل الكرام، أي جعل منهم[20] صوراً مثالية، وظهروا في صورة المستقبلين له صلى الله عليه وسلم وهناك صلى بهم ركعتين نافلة، كانت للعبادة والتشريف والتحية لله تعالى، لا لأداء العمل المكلف، وبعد ذلك ركب البراق أيضاً بإرشاد جبريل، وعرج به الى السماء الاولى، ثم الثانية الى السماء السابعة. وقد رأى في السماء الاولى سيدنا آدم أبا البشر عليه السلام، وفي السماء الثانية سيدانا يحيى وعيسى، وفي الثالثة سيدنا يوسف، وفي الرابعة سيدنا إدريس، وفي الخامسة سيدنا هارون، وفي السادسة سيدنا موسى، وفي السابعة سيدنا إبراهيم. وتفصيل ما جرى في تلك الدرجات الصعدات مذكور في الصحاح والمسانيد فليراجعها من شاء.

---

20) في المخطوط لهم

ثم صعد به وعرج به جبريل الى المحل الموسوم بسدرة المنتهى، لأنها نهاية مقام يصل إليه الملائكة المأمورون في السموات والأرض، وزار بيت المعمور.

ويشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

وهناك توقف، جبريل عن سيره معه صلى الله عليه وسلم واعتذر بقوله المشهور: لو دنوت قدر أنملة لاحترقت، فجذبه صلى الله عليه وسلم من هناك الجاذب القدسي الغيبي المعروف باسم (رفرف) إلى ما فوق العرش، مما شاء الله تعالى من الدرجات العلى حتى أنه علم لوجدانه أنه وصل الى مقام خطابه مع ربه فحيّاه، وسلم عليه، فجاء الجواب منه تعالى بإكرام بدون أي توهمات، واشتباهات على طريق حصول العلم الضروري للإنسان، وليس هذا الوصول مبنياً على أن لله تعالى مكاناً ومحلاً معيناً لبراءة الباري تعالى عن الاحتياج الى الزمان والمكان، ونسبة جميع العالم إليه على السواء، فكان يمكن أن يتكلم مع رسوله في مكة بدون العروج به الى ما فوق العرش، بل أراد أن يفتح عينيه الباصرتين على ملكوت السموات والأرض، ويعرج به إلى حيث لم يعرج إليه غيره. ثم أن الله تعالى فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وبعد أن رجع الى الارض صادف سيدنا موسى عليه السلام وطلب منه أن يترجي التخفيف في الواجب، فراجع مراراً حتى جعلها خمساً في كل يوم وليلة، ولما وصل عليه السلام الى الأرض وأصبح الصباح أعلن إسراءه ومعراجه، وفرض الصلوات، فآمن به الصديق أبو بكر، وباقي الصحابة، وأنكر عليه المشركون، حتى طلبوا منه صلى الله عليه وسلم وصف قافلتهم التي سارت نحو القدس، ففتح الله تعالى لرسوله[21] ووصف بيت المقدس، وما اقترب

[21] في المخطوط على رسوله

منه، ووصف القافلة ومقدمتها وصفاً كاملاً موافقاً للواقع، ومع ذلك، استمروا على كفرهم وإنكارهم لذلك، والله تعالي غني عن العالمين.

وفي ظهر يوم تلك الليلة نزل جبريل عليه السلام على الرسول، وصلى به الظهر في أول الوقت بعد الزوال والعصر عند مصير ظل الشيء مثله، ثم المغرب بعد الغروب، ثم. العشاء بعد مغيب الشفق، والصبح أول طلوع الفجر الصادق، ثم صلى به في المرة الثانية في أواخر الأوقات وقال له: الوقت ما بين الوقتين. والناس في تلك الصلوات يقتدون بالرسولﷺ ولا يرون جبريل، وإنما الرائي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بالمقتدي كذلك جائز، بل واجب، وهذه نبذة من الإسراء والمعراج والتفصيل في موضعه.

ثم إن الإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثابت، بنص الكتاب وإنكاره كفر، وأما المعراج على ما ذكر فثابت بالحديث، والإيمان به واجب، ولكن إنكاره ليس كفراً، بل هو بدعة. لأن الله تعالى على كل شيء قدير. والكائنات كلها في قبضة قدرته، وليس الصعود والنزول لشخص إنساني نسبته كذرة من الكائنات لشيء يستحيل عقلاً، والمعراج: خرق العادة، والإيمان بخرق العادة عبادة وسعادة.

ومن تفكر في المجموعة الشمسية، ودورانها حول الشمس على أقوال الرياضيين الجدد في كل سنة دورة، أو دور[22] الأرض على مركزها في كل اربع وعشرين ساعة دورة، لم يتفكر في شيء إلا في قدرة الله تعالى، وتصرفه المطلق في الكائنات لأنه بعد أن أنكر نسبة الحركات النظامية الى الطبيعة الجاهلة الموصوفة باللاشعورية، علم أن محركها هو القادر القاهر فوق عباده.

والقادر القاهر له الخلق والأمر، وله التصرف بالإيجاد والإعدام، بمقدار كن فيكون، كما يفيد هذا المقصود العظيم كثير من الآيات البينات مثل قوله

---

[22] في المخطوط دورة

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقوله الكريم: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

وقوله العظيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ومعلوم أنّ معجزة الإسراء والمعراج وبعبارة أخرى، ان هذه الخارقة إنما اعتبرت خارقة بالنسبة الى مجموع الجسد والروح كما ينادي عليه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وكلما ذكر العبد فالمراد به ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

وقوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

والإسراء بالرؤيا والمعراج بالمنام مما لا يتعجب منه للخواص والعوام، وهذه عقيدة المسلمين من السلف الصالحين.

وصادفت ليلة الإسراء السابع والعشرين من رجب، على ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي كما في الأنوار المحمدية.

وسيدي سيد السادات قد ... بالاستقامة في أخلاق كلهم

فان أتت نعمة كافأها بالثنا ... وإن أتى نَقَمٌ عده من نِعم

فكان عبداً بمعنى اللفظ ... لذلك سماه عبداً وهو في

وبعد ما نال من عز ومن ... ازداد في ذكره شكره للنعم

يسعى لدعوته في كل ... يدعو الذين اتوا للطوف

فجاء في موسم الحج من ... جمع شريف عليّ الشأن

وبعد عرضه آيات الهدى وأسلموا دينهم لله ذي

هم ستة كلهم من أهل منقبة نالوا شرافة دين الحق

وزاد من ذاك أهل الشرك وهكذا حال أهل الحقد

وبعد رجعتهم قد زاد طيب من الهوى بيان الخلق

في الموسم الثاني جاء من خمس وسبعون أتوه من

وزاد صيت الهدى في الناس الأوس والخزرج المختار في

في الموسم الثالث جاؤا سبعون شخصا شريف

فازداد نور الهدى من عزم والحق حقا بدا علا على

وهكذا صار فجر الحق منبثقا من ضوئه استرشد الناس

قولي (وسيدي... الخ) بيانه: لما أراد الله تعالى اعزاز دينه جعل في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعـرض نفسـه على القبائل وبينما هو كذلك لقي رهطا من الخـزرج، فعـرض نفسـه عليهم، وقرأ عليهم آيات من القرآن الكريم، فأسلم منهم ستة، وهم أبو أمامة أسعد بن زراره، وعـوف بن الحـارث بن رفاعـة، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالـك بن العجلان، وقطبـة بن عـامر بن حديدة، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب، فقــال لهم

رسول الله: تمنعون ظهري حتى أبلـغ رسـالة ربي؟ فقـالوا: يـا رسول الله إنما كانت بعاث عام اول يوم من أيامنـا اقتتلنـا بـه، فإن تقدم ونحن كذلك، لا يكون لنا عليـك اجتمـاع، فـدعنا حـتى نرجع الى عشائرنا، لعل الله يصلح ذات بيننا، ونـدعوهم إلى مـا دعوتنـا، فعسـى اللـه أن يجمعهم عليـك، فـإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعـوك، فلا أحـد أعـز منـك، وموعـدك الموسـم القابـل وانصرفوا الى المدينة.

ولم يبق دار من دور الأنصـار إلا وفيهـا ذِكـرُ رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم، فلما كان العام المقبـل لقيـه اثنـا عشـر رجلا. وهي العقبة الثانية، فأسلم منهم خمسة من الستة المـذكورين، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رباب. والسبعة تتمة الاثـني عشر هم: معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المــذكور قبلا، وذكــوان بن عبــد قيس الــزّرقي وعُبــادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة البلوي، والعباس بن عبـادة بن فضـلة، وهـؤلاء من الخـزرج، ومن الأوس رجلان أبـو الهيثم بن التيهـان من بني عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة، فأسلموا، وبايعوا على بيعة النساء. أي وفق بيعتهن التي أنزلت بعد ذلك عند فتح مكة. وهي أن لا نشـرك باللـه شـيئاً ولا نسـرق، ولا نـزني، ولا نقتـل أولادنا، ولا نفتري، ولا تأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وارجلنــا، ولا نعصـيه في معـروف، وبالسـمع والطاعـة في العسـر واليسـر، والمنشط والمكره، وأثرته علينـا وأن لا ننـازع الأمـر أهلـه، وأن نقول الحـق حيث كنـا، وأن لا تخـاف في اللـه لومـة لائم، قـال صلى الله عليه وسلم: ((فان وفيتم فلكم الجنة)). ثم انصــرفوا الى المدينة، فأظهر الله الإسلام، وكـان أسـعد بن زرارة يجمـع بالمدينة بمن أسلم، وكتب الأوس والخزرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ابعث لنا من يقرئنا القرآن، فبعث اليهم مصعب بن عمير، فأسلم على يـده خلـق كثـير من الأنصـار منهم سـعد بن معـاذ، وأسـيدُ بن حضـير، وأسـلم بإسـلامهما جميـع بـني عبـد الأشهل في يوم

واحد، الرجال والنساء، حاشا الأصيرم، وهو عمـرو بن ثـابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه الى يوم أحـد فأسـلم، واستشـهد، ولم يسجد لله سجدة واحدة، وأخبر صلى الله عليه وسـلم بأنـه من أهل الجنة، ولم يكن في بني عبـد الأشـهل منـافق، ولا منافقـة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم أجمعين، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسـلم في العقبـة الثالثـة في العـام المقبل في ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سـبعون رجلاً، وامرأتان.

وقال الحاكم: خمسة وتسعون نفسا، فكان أول من ضرب على يده صلى الله عليه وسـلم للمبايعـة الـبراء بن معـرور، ويقـال: أسعد بن زرارة على أنهم يمنعونه ممـا يمنعـون منـه نسـاءهم، وابناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود، فنقب عليهم اثنى عشر نقيباً، ومكث صلى الله عليهم وسـلم عشـر سـنين يتبـع النـاس في منازلهم في المواسم، بمـنى وغيرهـا، يقـول: من يؤويـني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة؟ حتى بعث الله لـه الأنصار رضي الله عنهم

وبعد ما تمت البيعة ثالثة ... وانتشرت دعوة الإسلام في
قد زاد في المشركين ثورة ... في دار ندوتهم بسفلة
قد قرروا قتل خير الناس ... بالليل في غسق، وشدة
وجاء جبريل ينهاه عن ... في بيته حذراً من طالبي
وبلغَ الأمر بالهجرة عن ... إلى مدينته العلياء في

فخرج المصطفي عن بيته   عليّاً عن أمره في البدء

راح إلى دار صديق على ثقة   وخرجا نحو غار الثور بالقدم

وتابع المشركون السير   ووصلوا الغار بالحقد

لكن صيانة ذات الحق   بالنسج والهدر للحمامة

بعد ثلاث ليال خرجا بالهدى   وسافرا باعتماد الله ذي

مع اختيار طريق الساحل   لبعده عن نفوذ الكفر

ونزلا خيمةً لأم معبد عن   راحة نفس من الأتعاب

وبعدما خرجا سارا على مهل   للاعتصام على الرحمن ذي

وفي الطريق رأوا سراقة   جاء لأخذهما في الحل

وعن عناية رب العالمين   عن كيده بأمان الله ذي

خوارق الهجرة المبروكة   زادت على الضبط والتحرير

منها عمى المشركين   في باب داره دون العمى

منها حمامة باب الغار إذ يعني فلو كان ناس فيه لم

والنسج للعنكبوت طبق بابه شهدت بأن ليس فيه موضع

سراقة قد أتى معقبا بجفا بمبلغ إبل دينار أو درهم

لما رآه الرسول صار مقتربا رمي إليه سهام القلب

فقاد مركوبه في الأرض من فآل معتذراً بالتوب والندم

وعند ذا وعد المولى بان له سوار تاج لكسرى صاحب

واذكر كرامته في خيمة لام معبدٍ المسعودة الشيم

كانت لها الغنم العجماء دون آلت إلى نعجة في الجود

وهذه قطرة من بحر همته والبحر قد يرتجي منه مع

فوصلا بالصفا إلى ديار الوفا قوم بني عوف المعروف

ولما تمت هذه البيعة، أمر رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا. وأقـام صـلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج.

ثم اجتمعت قريش في دار الندوة يتشاورون فيما يصـنعون في أمره صلى الله عليه وسلم فـأجمع أمـرهم على قتلـه وتفرقـوا على ذلك. فأتى

جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك. فلما كان الليل اجتمعوا على بابه، يرصدونه حتى ينام، فيثبوا عليه، فأمر صلى الله عليه وسلم عليا، فنام مكانه، وغطى ببردٍ أخضر، فكان أول من شرى نفسه في الله. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس.. ﴾ إلى قوله ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم حيث أراد.

فاتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمدا. قال: قد خيبكم الله، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب، فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً، وفي هذه نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية. ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة الى المدينة ليتشرف به المكان، كما تشرف به الزمان، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إليها شرفت به حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلى الله عليه وسلم.

وخرج من مكة هلال ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه. وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه.

وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس، وأتى دار أبي بكر مستخفيا، فاستصحبه، وسأله أن يأخذ إحدى راحلتيه، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا بالثمن ليستكمل فضل الهجرة. قالت عائشة: وجهزناهما أحبّ الجهاز، ثم لحق صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور (وهو جبل بأسفل مكة) ونظر صلى الله عليه وسلم حين خروجه الى البيت فقال: والله

انك لأحب أرض الله إليّ، وانك لأحب أرض الله الى الله، ولـولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. ولما فقدت قـريش رسـول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسـفلها، وبعثـوا القافـة أثـره في كـل وجهـة وجعلـوا مائـة ناقـة لمن رده، فلم يظفروا به، وأنبت الله على باب الغار شـجرة (ام غيلان) وأمـر العنكبوت فنسجت على فم الغار، وأرسل حمـامتين وحشـيتين، فوقفتـا على وجـه الغـار، وحمـام الحـرم من نسـل تينـك الحمامتين.

وأقبل فتيـان قـريش من كـل بطن حـتى وصـل بعضـهم الغـار، وصدهم وجود الحمـامتين، وقـال أحـدهم: ادخلـوا الغـار، فقـال أمية بن خلف: إن فيه لعنكبوتا أقدمُ من ميلاد محمد صلى اللـه عليه وسلم.

وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب، ونسـج العنكبـوت، فقالوا: لو دخلاه لكسر الـبيض، وتفسـخ نسـج العنكبـوت، وهـذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قـال: ((اللهم أعم أبصـارهم))، فعميت عن دخول الغار، وجعلوا يضربون حوله يميناً وشمالاً.

وفي الصحيحين، عن أنس قال أبو بكر: ((يا رسول الله -صـلى الله عليه وسـلم- لـو أن أحـدهم نظـر الى قدميـه لرآنـا، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـا ظنـك بـاثنين اللـه ثالثهما؟)) وروي أن أبا بكر دخل الغار قبل رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه، وإنه رأى جحرا فيه، فألقمه عقبه حتى لا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فـدخل رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ووضـع رأسـه في حجـر أبي بكر، ونام؛ فلـدغ أبـو بكـر ولم يتحـرك، فسـقطت دموعـه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مالك يا أبا بكـر؟ فقال: لُدِغتُ، فداك أبي وأمي، فتفـل عليـه رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده.

وروي: أنه لما رأى القافة اشـتد حزنـه على رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وقـال: إن قُتِلتُ فإنمـا أنـا رجـل واحـد، وإن قتلتَ أنت هلكت الأمة. فعند ذلك قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: ((لا تحزن إن الله معنا)) (يعني بالمعونـة والنصـر) فأنزل الله سكينته (وهي أمنة تسكن عنـدها القلـوب) على أبي بكر رضي الله عنه لانه كان منزعجا، وأيده (يعني رسـول اللـه) بجنود لم تروها، (يعني الملائكة) ليحرسوه في الغار، وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته. ومكث صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ، وكان يـبيت عنـدهما عبـد اللـه بن أبي بكر، وهو غلام، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكـة، فحين يختلط الظلام، يأتيهما بخبر ذلك اليوم. ويروح عليهما بعد العشـاء، عـامر بن فهـيرة، مـولى أبي بكـر: بغنم فيكتفيـان من لبنها، واستأجرا عبدالله بن الأريقط دليلاً، وهـو كـافر لم يعـرف له اسلام، فأتاهما براحلتيهما بعد ثلاث ليال، وانطلق معهما هــو وعامر بن فهـيرة على طريـق السـواحل فمـروا بقديـد على أم معبد (عاتكة بنت خالد الخزاعي) فطلبوا لبناً أو لحمـاً يشـترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى شـاة في كسـر الخيمـة، خلّفهـا الجهـد عن الغنم، فسألها: هل بهـا من لبن؟ فقـالت: هي أجهـد من ذلـك، فقـال: أتـأذنين لي أن أحلبهـا؟ فقـالت: نعم بـأبي أنت وأمي، إن رأيت لها حلباً فاحلبها فدعا بالشاة، فاعتقلها، ومسح ضـرعها، فـدرّت ودعا بإناء يشبع الجماعة، فحلب فيه وسقى القـوم حـتى روَوَا، ثم شرب هو اخرهم، ثم حلب فيه مرة اخرى عللاً بعد نهـل، ثم غادره عندها وذهبوا. فما لبث حتى جاء زوجها أبو معبـدٍ يسـوق عنزاً عجافاً، فلما رأى اللبن عجب، وقال: مـا هـذا يـا أم معبـد؟ قالت: إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، فقـال: صـفيه. فوصفته بأحسن الأوصاف. فقال هذا واللـه صـاحب قـريش لـو رأيته لأتبعته.

وبقيت هذه الشـاة الى خلافـة عمـر بن الخطـاب تحلب صـباحاً ومساءً.

ثم تعرض لهما بُقديد سراقة ابن مالك المُدلجي. فبكى أبو بكــر وقال يا رسول

الله صلى الله عليه وسلم: أُتينا. قال: كلا، ودعا رسول الله بدعوات فساخت قوائم فرسهِ، وطلب الأمان، وقال: أعلم أن قد دعوتما عليّ، فادعُوا لي، ولكما أن أرد الناس عنكما، ولا أضركما، قال: فوقفا لى فركبت فرسي حتى جئتهما، فأخبرتهما خبر ما يريدون.

والناس إذ سمعوا هجرة خير ... من قطر أم القرى منتظرو
ويطلعون من البيت لنيل ... وأخذ نور التقى من معدن
من طول ما لبثوا في طلعة ... باءوا إلى دورهم من لمة
وبينما هم كذا من يأتيهم عن ... نادى الجميع يهودي بملء
هيا بني قيلة ها قد أتى ... من عنده سعدكم بالعهد
فاستقبلته بنو عمرو بن ... محبة ورجاء الفوز بالنعم
وأكرموهم بما يليق في ... أرض قباء مقام الجود
وهاجر الحيدر الكرار بعد ... وصله في بني عوف على
وحقق النووي أن نزول النبي ... لاثني عشر من ربيع أول
بقوا بها أربع عشر يوما كما ... ثبت في المسند الصحيح [23]

[23] في المخطوط لمسلم

وقد بنى مسجد القباء في ... لنشر دين الهدى في سائر

وهو الذي مدح الله القيام به ... المسجد اسس رمز لمفتهم

وكان ذلكم المجد الاثيل ... في نصرة الدين والاحسان

لما رأى اشتياق المدنيين له ... سافر منها الى مدينة الحرم

فأدركته صلاة الجمعة فنزل ... على بني سالم بن العوف

صلى بهم جمعة مع مسلمين ... في بطن وادٍ ب(رأنوناء)

في مسجد بالغُبَيب كان ... ومسجد الجمعة اسمه في

وجاء الأنصار لاستقبال ... على المحبة والإقبال

واستبشر الناس أفرادا ... بوصل مولى الكرام سيد

واهتزت الأرض والوديان من ... لروح ريحان عطر الذات

ارواحهم قبل الأشباح له ... بقت لهم علقة للمشي

والناس فوق السطوح ... قد طلع البدر كالنور على

أي من ثنايا لشرقِ الطيبة ... ايضا ثنايات توديع لمعتزم

فصار يومه يوم الحشر ... ونشره نشر بشراهم على

طوبى لكم يا بني أوس ... ويا بني خزرج للجود والكرم

أخواله من بني النجار ... قرابة العصبات في ندى

هم أكرموه[24] بما في ... من أنفس ومن الأموال

والعصبات قلوه ثم قد ... تعذيبه بجهات السوء والألم

تبا لكم يا أبا جهل ومشأمة ... ويا أبا لهب بالنار والنقم

يختص ربي على ما كان من ... قوما على نقم قوما على

برقم سلفا، قد وصل ... في شهر هجرته لطيبة

والناس قد طلبوا لفضل ... كل نزولا على داره للكرم

وقدر الله أن ينزل بيت أبي ... أيوب المرتضى في القدر

فمن هنا نزلا والرب جلّ علا ... شفى بمقدمه القلوب من

<66>

---

[24] في المخطوط وصل

هو الذي ألف القلوب
هو الذي صنف الناس على

وبدل الله ظلمات بأنواره
وبدل النقم[25] المشئوم بالنعم

وأين ينزل مولى العالمين
فيه تجلى الهدى بالنور

وكيف لا واصطفاك الله من
وأنت رحمته المهداة للأمم

صلى عليك رسول الله ما
شمس السما وخلود الفيض

صلى على صحبك المختار
والآل والتابعين من أولي

ونزلت في ثنيات الوداع
قد طلع البدر من ماش

وزاد طيبة شوقا للقاء بكم
أصحاب نور الهدى للوصل

قولي: (والناس إذ سمعوا...) بيانه: أنه لما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كانوا يغدون كل غداة ينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على مرتفع من مرتفعاتهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي نفسه، فنادى بأعلى صوته: يا بني قيلة (يعني الأوس والخزرج) هذا جدكم (أي حظكم ومطلوبكم) قد أقبل، فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم فتلقوه، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة

[25] في المخطوط الرحم

ليلة خلت من ربيع الأول، على ما حققه الإمام النووي، وأقام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منها ثلاث ليال، ثم أتى إليه، ووصل إليه، يوم الاثنين، سابع يوم وصول الرسول إليها.

وبقي عليه صلى الله عليه وسلم بقبا اربعة عشر يوماً، وبنى في قباء المسجد المعروف بمسجد قباء، الذي مدحه الباري في قوله الكريم ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

ولما علم أن اهل المدينة يشتاقون إليه توجه يوم الجمعة من قباء إليها، فأدركته صلاة الجمعة في محلهم، فصلي الجمعة مع مائة مسلم في مسجدهم المعروف باسم (الغبيب) الواقع في وادي (رانوناء) براء وألف ونونين بينهما واو، على وزن عاشوراء، ولما وصل الى المدينة المنورة ازدحم الناس في استقباله، وفرح الناس كباراً وصغاراً، رجالًا ونساءً، وكان الناس في أعلى درجات محبته، ولذلك كلما مر على دار طلب صاحبها أن ينزل رسول الله عندهم، وهو أرخى عنان إبله وقرر أينما بركت ينزل في ذلك المحل، الى أن قدر الله بروكها عند دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكانت ذوات الخدور والأدب يقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا، ما دعا لله داع، ونشكره على علمنا بذلك.

السعد السابع

بناء المسجد الشريف

لما بقيت زمانا مع أحبتكم من المهاجر والانصار ذي

غيرت أرض الهوى فصار غيرت يثرب لاسم طيبة

وهاجر السابقون نحو للفوز بالفضل والإحسان

آخيت بين رجال الهجرة مع أهل الأنصار أهل العهد

تسعين منهم مع التسعين في المال والحال والإحسان

والاوس مع خزرج في روضة صاروا كأزهار بستان على

إذ أشهر سبعة مضت بدون بنيت مسجد نور ثالث

فصار في الأرض مثل الكعبة هما مع المسجد الأقصى

فلا تشد الرحال للصلاة تلك الثلاث ابتغاء الفضل

وصار مدرسة لنشر دين وقد تخرج فيها صاحب

تخرجت فيه الأصحاب ... مشى على نهجهم في العلم

من الذين على ما كان ... عليه والصحب أهل العهد

من الكتاب ومن مفهوم ... وحكم الإجماع للاعلام

والفرد[26] يجوز الاتباع له ... مع المراعاة للعامي بلا

وذلكم مسلك للمسلمين ... على البصيرة في الدين بلا

ورغم دعوة إبراهيم والده ... ونشر نعته في الماضي من

ورغم ما جاء في التوراة من ... لحضرة المصطفى من

لاسيما سفر شعياء من ... من نعته مع الأصحاب أولي

قد أبرق النور في سينا، ... جبال فاران بالإحسان للأمم

وذكره ثم ذكر الصحب في ... من الجهاد بكل العزم

وحفظهم لكتاب الله بالأدب ... وكبروا كلما وصلوا إلى

ورغم ما جاء في الإنجيل نور ... مبشرا به عيسى ولد مريم

[26] في المخطوط والفرد منهم

عاداه أهل الكتاب والنفاق   مشي على دربهم من

قد كان للمصطفى صدر   قد جاءه من أذى من

وكيف يعلو على البحر   يغير الهادئ المملوء بالكرم

وكيف يستر نور العالمين بما   يغاير النور بالأكدار والظلم

قد استقام وقد قامت   منيرة لقلوب الصدر في

هذا هو الخاتم الباقي   مادام يبقى رشيد من أولي

وأخرج البيهقي عن أنس أنه   يا حبذا محمد من جار

قال الطبري: وتفرق الغلمان، والخدم في الطـرق ينـادون جـاء محمد، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما مضى خمسة أشـهر من الاقامـة، آخى رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار تسـعين رجلاً، من كـل طائفة خمسة وأربعون على الحق والمواساة، والتوارث، وكانوا كذلك، الى ان نـزل بعـد ﴿وَأُولُـو الْأَرْحَـامِ بَعْضُـهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية.

ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف، قـال: يـا بني النجار ثامنوني بحائطكم، قـالوا: لا نطلب ثمنـه إلا من اللـه تعالى.

فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وابتاعه بعشرة دنانير، فأداها من مال أبي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بجميع ماله.

قال أنس: وكان في موضع المسجد نخل وخرب، ومقابر مشركين. فأمر رسول الله بالقبور فنبشت، والخرب فسويت، والنخيل فقطعت، ثم أمر باتخاذ اللبن، فبنى المسجد، وسقف بالجريد، وجعلت عمده خشب النخل، وعمل فيه المسلمون، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين. يحمل لبنة عنه، ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((للناس أجرٌ، ولك أجران، وآخر زادك في الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية!)). وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بنائه وهو يقول:

اللهم ان الأجر اجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وجعلت قبلة المسجد للقدس، وجعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخره، وباب يقال له باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه، وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع. وبنى بيوتاً الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، وبنى لعائشة في البيت الذي يليه، شارعاً الى المسجد، وجعل لسودة بنت زمعة في البيت الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان، ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب الى مساكنه التي بناها، وكان قد أرسل زيد بن حارثه وأبا رافع مولاه الى مكة قدما بفاطمة، وام كلثوم، وسودة بنت زمعة، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وخرج عبدالله ابن أبي بكر قدم بعيال أبيه. وكان في المسجد موضع مظلل، تأوي إليه المساكين يسمى: ب(الصفّة) وكان أهله يسمون (أهل الصفة). وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم، فيفرقهم على الصحابة، وتتعشى طائفة منهم معه صلى الله عليه وسلم وكان

الصـحابة يصـلون قبـل بنـاء المسـجد الشـريف أينمـا أدركتهم أوقاتها، وبعد بنائه يصلون فيهـا لكن بـدون آذان. وعن مراسـيل سعيد بن المسيب، أن بلالاً كان ينادي: (الصلوة جامعة). وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه في ما يجمعهم به للصلاة. فقــال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى. وقـال بعضـهم: بـوق كبـوق اليهود. وقال بعضهم: نوقـد نـاراً، ولمـا رآهـا النـاس أقبلـوا إلى الصلاة. فرأى عبد الله بن زيد ابن ثعلبة ابن عبد ربه في منامـه رجلاً، فعلمه الأذان والإقامة، فقال رسول الله صلى اللــه عليـه وسلم: ((إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعـالى، قم مـع بلال، فـألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، لانه أنـدى صـوتا منـك))، وفي روايـة معاذ بن جبل عند احمد: إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت مــا كنت نائمــاً لصــدقت، رأيت شخصــاً عليــه ثوبــان أخضــران، فاستقبل القبلة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، مثـنى مثـنى، حـتى فرغ من الأذان الحديث. فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((إنهـا لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال، فألق عليه مــا رأيت، فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك)).

قال: فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه ويـؤذن، فسـمع بـذلك عمر بن الخطاب رضـي اللـه عنـه وهـو في بيتهـا، فخـرج يجـر رداءه، يقول: والذي بعثك بالحق، يا رسول الله، لقد رأيت مثـل ما رأى.

وأقام صلى اللـه عليـه وسـلم في دار أبي أيـوب سـبعة أشـهر. وقيل إلى صفر من السنة الثانيـة، وبـنى بعائشـة لتسـعة أشـهر من دخول المدينة وقيل في شوال من السنة الثانية.

وذلك المسلك المبروك   دين الرسول الأمين منبع

اساسه نص قرآن أتى لهدىً   يهدي إلى الحق أهل القدر

مبين ببيان الفضل سنته قولا وفعلا وتقريرا على

كلام رب الورى من ذاته نزلا جبريل جاء به لسيد الأمم

في بعض الأوقات قد جاء صورة شخص شريف قارئ

وغالبا جاءه صوت شبيه على مهابة غيب جاء

وقد تلقاه جبريل من الملك بنهج إلهام روح كان بالكرم

والكل والبعض قرآن بلا شبه ووصف ذات إله بارئ

ومبدأ اللفظ وصف واحد من دون حرف وصوت فيه،

واللفظ صوت بتركيب على وحادث ليس مما نال

لكن رأي بعض الأعلام له بنسبة الملك الخلاق للنسم

وليس ألفاظه أمثال ألفاظنا أما القياس فظن جاء للأمم

إذ وصفه ليس مثل الوصف ولا يناسبه في الحكم

دين مبين بدا ختما لدين شريعة ونظام الرشد للأمم

وفي العقيدة عين كل ما ... وفي الفروع مداوي جرحة
بدأ بالأمر للإنسان بالشرف ... قراءة باسم من أبداه من
رب عظيم قدير خالق النسم ... أفاده العلم والتعليم بالقلم
معناه توجيهه لمبدأ الشرف ... نظام حق بوجه الحق
اصوله طاعة لله خالصة ... وطاعة للرسول الهادي
وطاعة لأولي الأمر الهداة ... خير الجميع من الأحكام
وفرض الايمان بالله وبالملك ... والكتب والرسل أهل القدر
وبالقضاء من الله وبالقدر ... واليوم الآخر والبعث لذي
وبالعبادة الله العظيم على ... أساس الاخلاص والإحسان
شهادتين، صلوة الفرض ... على الخشوع وملء القلب
وصوم رمضان من كل ... له استطاعة صوم دونما ألم
زكاة مال، وحج البيت، ... للمستطيع على ما كان من

والذكر لله في الأحوال ... سراً وجهراً بحسب الحال

وكل ذلك بالإخلاص في ... إن الخلاص من الإخلاص،

دليل الإخلاص حب الله جل ... به الولاية عند الله، فاغتنم

من محض الإيمان بالله ... ثم التقى في جميع الحال

والاستقامة في السير مع ... ومن حضور بلا نقص ولا

وفيه أصل النظام للإرادة ... ما يجري بين الورى في

إطاعة الناس أمر الله حيث ... وأمر شخص الرسول

وإتباع لأهل الاجتهاد إذا ... قد أجمعوا وكذا للفرد،

والأمر بالعلم والأعمال نافعة ... والصبر والصدق والوجدان

والأمر بالاعتصام والتعاون ... خير بدا ساعيا، والسير

والأمر بالعدل والإحسان ... والنهي عن كل مذموم من

لا فرق بين الورى حسب ... فرق بتقوى من الله على

والأمر بالسعي في الأسباب   بحسب الإمكان في الإعلان

والأمر بالسعي في إعداد   دفعًا لشر عدو الله والامم

والأمر بالشورى عند الحادث   كي يفهم الخير في الحلّ بلا

ورغب المؤمنين المستعدين   تفقه الدين حسب قوة

لينذروا قومهم عند الرجوع   وينشروا حكم الإسلام على

وقد أقر سبيل المجمعين   تفقه الدين حسب قوة

والأمر بالصدق في القول   والعهد ثم الوفاء لازم الذمم

ووصل الأرحام منا حسب   والبذل والجود والإطعام

والنهي عن كل خلق فاسد   سرّا وجهرا وعن أحقاد

كتاب حق كذاك خالد أبدا   غيث الورى نافع لكافة

وفي فصاحته أو في بلاغته   رقى إلى فوق عند الحاذق

وقد تحدى به المولى الأنام   تتلو تحديه دوما على الأمم

بكله أو بعشر أو بواحدة ولم يصل عقل ذي الطاقات

فصار معجزة في الدهر دامت برغم العدو الفاقد

لا قدح في مدحه لا كذب في في مستوى منحه لفاهم

في كل باب رَبا مصاحب في الوعظ والوعد والإيعاد

أسلوبه[27] غير اسلوبٍ لإلقائنا لم نلق مثله في الحال وفي

وبعضه مثل تفسير لمشكلهِ مثل بيان الرسول صاحب

حكمه حكمة، أمثاله نعمة إرشَاده رحمة أتت إلى

وكلما انقرى غضا طريا ترى كثمر يجتنى من شجر مثمر

من آيها عشرة، في عرضها تأخذها زمرة والنفع منها

بنوره ينجلي صدأ قلب الولي إن العدو من العناد في

ووعده قابض بالخير للخالص ورحمه جابر لبعضه النقم

منطوقه شاهد، مفهومه موصوفه واحد باقٍ من

[27] في المخطوط (قد تكون) ادبا

وفيه أخبار غيب كان مستتراَ إلا بوحي من الله لمفتهم

للماضي والمستقبل قرب أو لجنة الخلد أو للنار باللقم

لَمُا وراء الطباع فيه بحيث ينقاد من دركه عقل لمفتهم

وبحث جنة مأوى سدرة والبيت والعرش واللوح مع

فيه دقاق علوم الكون خافية من المدارات والدورات

يا معشر الجن والإنس تعالوا فهم الشواظ من النيران

وبحث أحوال هذا الكون في دقة ونظامٍ مجمع

والبر والبحر والأفلاك دائرة علىَ نظام سليم دونما

ومن سباحة ذات السير في كلّ على محور يخفى على

بحيث يحتار عقل العالمين فضلاً عن الجاهل المنحط

كتاب حق بليغ خالد أبداً غيث الهدى منبت في

لذاك قد أعلن الإكمال خالقنا في حجة جمعت بحراً من

آمن به واعملن جدا بلا ملل ... وامنع هواية نفس في هوى
وارع الأصول تنل باب ... وافاك ربك بالإعطاء للنعم
هذا لكم بحر فضل في ... شرع مع السنة العليا على
البدء باء لبسم الله مفتتحا ... والختم سين لناس خذ ولا
معناه قرآننا بس لنا أبدا ... والله كاف لكل الفضل
يا ربنا إهدنا من نور حكمته ... وارحم بنا رحمة في البدء
آياته حسب نص فيه ... قسمين، والأول الموسوم
والمتشابه للثاني على نصه ... فخذ بيانا على القسمين
فالأول الواضح المعنى ... مشكلة عند أهل القدر
والثاني ما قد حوى معناه ... أو لا تليق بذات الله ذي
فمنه ما اختص بالعلم به ربنا ... كبدء خلق لدنيانا ومختتم
ومنه ما يعلم الأعلام تأويله ... فالراسخون من العلم على

فالوقف فرض على لفظ   ما استأثر الله بالعلم به،

والوقف حق على العلم لهذا   من غير ما استأثر الله،

مثال آيات أوصاف له   يد ووجه وعين جنبه، فاعلم

وكاستواء إله العالمين على   عرش العُلا حيث يبدو النص

وكالفواتح جاءت أول السور   صاد وقاف ومثل نون

وقد رأى الخلف الأعلام   بما يليق بذات الله ذي

بحيث لا يوجب النقص   بمثَل تجسيم أو تركيبه

لكن من سلفا لم يقبلوا كلفا   وفوضوا الكل لله على

نعم لدى أهل تأويل فوائد إذ   فتحوا أعينا عُميا على كلم

تأويل وجه بذات الله   والعين بالعلم مقبول لدى

واليد بالقدرة مقبول لأهل   والاستواء بالاستيلاء فافتهم

فالراسخون على عطف لمن   من لفظة الله فاعلهم ذاك

وسره انه ليس بجسم فلا ... جزء له يحتويه الجسم،

واليد والوجه والعين من ... فلا تكون لما ليس بجسم

بالقدم أزلي، وبالبقا أبدي ... وهو الذي أوجد العالم من

وكيف يحتاج للأجزاء وهو ... أو المكان الذي لم ير في

وكيف ذا واستواء فوق ... ولم يُرَ الفرش والعرش مع

وتلك الأوصاف لا تنمى له ... والحق تفويض أو تأويل

نزل هذا الكتاب في ... بأحرف سبعة تتلى على

اي جاء فوق لغات لقريش ... ست قبائل حي العرب

أو إنه جاء فيه أوجه سبعة ... من نحو قلب وحذف جاء

من دون خلف على المعنى ... ودرك ذلك سهل عند مفتهم

قرأتها كلها على الصحابة في ... مجتمع بارع من اشرف

كتبها كاتبون أهل معرفة ... أهل الأمانة في الحل وفي

ألزمهم لك زيد ولد الثابت ... صاحب ثبت ودين وحلى

والخلفاء الكرام الراشدون، ... قد جاءنا النقل من جمع

وغيرهم من كبار الناس ... أهل التقى والنقى كالنور

بلغتهم بأمانات لكم وهُم ... قد بلغوها إلى قوم أولي

تواتر النقل فيه واكتسبنا به ... علم اليقين على ما صار من

يبقى كذاك بلا تغير أحرفه ... وعداً أكيداً أتى من خالق

دستور دين ودنيا دونما خلل ... فيه السعادة للدارين فاغتنم

نور منير وشفاء للصدور كما ... قد علم الناس في بدء وفي

في ذلك الجامع الأعلى ... مدرسة النور والبرهان

تخرجت أمة من أشرف ... قد بلغوه إلى العرب

صلى عليك إله العالمين كما ... أمرنا بالصلاة باهدى[28]

وآل والصحب والاتباع قاطبة ... من اهتدى بالهدى من كافة

<83>

(28) في المخطوط يا هدى

قولي: (وذلك المسلك الى آخره) يعني أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى بفضله، ورحمته، وموهبته، وهو مبارك لأنه منه تعالى وهو مسلكنا، وطريقنا الذي نمشي عليه، نعمل بما أمر به، ونترك ما نهانا عنه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لتبليغ هذا الكتاب المبني على توحيده والإيمان به وبملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، وإلزام أتباعه الأركان الإسلامية الخمسة، أعني: الشهادتين، والصلوات الخمس المفروضة في كل يوم وليلة، وصيام شهر رمضان المبارك، وإعطاء زكاة الأموال للمستحقين، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. وعلى الابتعاد عن الكفر بأنواعه من الإشراك بالله تعالى، وإنكار شيء من أصول الإيمان والإسلام، وعن كبائر الذنوب، التي هي أقرب الى سبعمائة من سبعين، وإذا وجدنا فيه مجملا رجعنا إلى بيانه بسنته الغراء، لان الله تعالى خوّله بيانه. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

وسنته الشريفة المبينة عبارة عن: أقواله، وأفعاله، وتقريره وعدم إنكاره لما اطلع عليه من الناس قولاً أو فعلاً. ومن جملة مافي الكتاب إطاعة الله وإطاعة الرسول وإطاعة أولي الأمر، وهم المجتهدون، سواء كانوا حُكاماً وأمراء متنفذين، أو أئمة مجتهدين، وسواء أجمعوا على شيء قولا فيكون اتباعهم واجباً، أو اختلفوا في حكم وكان في محل الاجتهاد والاتباع هناك جائز لمن قلده وارتضاه، لأن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ بأن يكون هو ومن اتبعه على بصيرة في دينهم، والبصيرة ثابتة للعالم بالأمور، فإذا كان المسلم عالماً فذاك، وإلا فلا مجال له إلا اتباع عالم كامل، وهم الذين وصلوا الى درجة الاجتهاد في غوامض الدين.

فكل ما أخذ من الكتاب والسنة ودلّا عليه بأحد وجوه الدلالات المعتبرة، أو أخذ من إجماع أهل الاجتهاد الكاملين، فهو من الدين الحنيف، وكذلك ما أخذ من مجتهد واحد بشرط أن لا يكون في قوله خرق الإجماع

ومخالفة النص، فهو أيضاً من الدين، وليس من البدع بل البدعة عبــارة عن ارتضــاء محــدثات ومفتعلات خارجــة عن الكتــاب والسنة والإجمـاع والاجتهـاد، لأن هـذا الـدين الإسـلامي المـبين خالد الى يوم القيامة، ولا يمكن اسـتيعاب نص الكتـاب والسـنة لكل ما يحتاج إليه في المستقبل، وذلك الذي ذكرنـا هـو طريـق الإسلام فكل ما خرج عنه فهو ضلالة في عـرف الشـرع، وليس فيه خير مطلقـا، وأمـا البدعـة الـتي قسـمها بعض العلمـاء الى مورد الأحكام الخمسـة، فهـو بدعـة بـالمعنى اللغـوي اي مـا لم يكن في عهد الرسول والخلفاء الراشدين فإنه قد يكـون واجبـا كبناء دار القضاء، ودار الإفتاء، والمدارس الدينية، وفتح مدارس الصناعات المهمـة، كإعـداد العـدة في مقابلـة الأعـداء وغيرهـا، وقد يكون مندوباً كبنـاء المنـائر العاليـة والمنـابر الرفيعـة، وقـد يكون حراماً كما ظهر من الميسر وأسباب الفسوق، وقد يكون مكروهـا كالتبسـط في بعض المآكـل والمشـارب، وقـد يكـون مباحاً كما عداها، وأما البدعة بالمعنى الشرعي اي ما خـرج من الأدلة الأربعة السابقة، فهو حرام وضلال لا غير، فليتنبـه لـذلك. وإلا لزم أن يكون ركوب السيارة، وصرف الأوراق ضلالة.

وقولي: (كلام رب العـالمين..) بيـان لبعض المهمـات وهـو أنـه يجب على المكلف الـداعي إلى الحـق أن يعلم أن هـذا القـرآن كلام اللـه تعـالى، وألقـاه الى قلب جبرئيـل الأمين لإيصـاله الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس من كلام جبرائيـل ولا غيره من الملائكة، أو الجن أو الإنس قطعا، وإنما هو تنزيـل من رب العالمين وفي إلقائه إليه صلى الله عليـه وسـلم طريقـان، فقد كان في أوقات يتمثل جبريـل بصـورة إنسـان شـاب وجيـه ويقرأ عليه ما يأتي به من القرآن كما روي أنـه قـد ظهـر عنـده بصورة (دُحية)، وقد كان يأتي بأن يظهر صوت كصوت الجرس، ويسمعه الرسول فيتغير حاله الى أن يلقى إليه تمام ما أتي بـه من الآيات، ثم يـزول عنـه ويغيب، وهـذا أشـدّ أحـوال الرسـول صلى الله عليه وسلم كما أنه قد جاءه بصورة الرؤيا، كمـا كـان في مدة

ستة أشهر من أول أيام رسالته صلى اللـه عليـه وسـلم، وعلى كل حال فبعدما ينفصل عنه الملـك يقـرأه الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم على من حضر من أصحابه، ويـأمر الكتـاب بكتابتـه، فقـد كـان لـه كـاتبون وصـل عـددهم الى زهـاء اربعـة واربعين شخصا ألزمهم له زيد بن ثابت، ثم الخلفاء الأربعـة، ثم غـيرهم، كمـا في كتب السـير، والسـلف الصـالح مشـوا على ظـاهر النصوص، وقالوا بإثبات صفة الكلام لله تعالى وقدمها له بـدون تمييز وتفصيل في الموضوع، ولكن الخلف بعد المناقشـات مـع المبتدعـة قـالوا بـأن القـديم هـو الكلام النفسـي القـائم بذاتـه تعالى، وهو القوة المجردة عن الصوت والحـروف، وقـالوا بـأن الكلام اللفظي منه حـادث لتركبـه من الحـروف المترتبـة الـتي تؤكد حدوثها ترتبها في التلفـظ. لكن المحققين منهم، كصـاحب المواقــف، قــالوا بقــدم الكلام اللفظي أيضــا، وحولــوا قدمــه ووجوده الى علمه تعـالى، وقـالوا: لا يجـوز قيـاس كلام البـاري على كلام الناس ولا القول بحدوثه بناء على القيـاس المـذكور، وذلك القياس باطل واشتباه وإلباس، ولا قياس هنا أبداً، ألا يرى ان حياتـه تعـالى قديمـة، وليسـت مشـروطة بالبنيـة والمـزاج؟ وعلمه تعالى قديم ولا يحتاج الى النخـاع الشـوكي وغـيره، ممـا يعتبر في علومنا؟ وارادته تعالى قديمة مع براءتها من الانبعـاث والشــوق الموجــود في أرادتنــا؟ وقدرتــه قديمــة وبهــا خلــق الكائنــات، وليســت محتاجــة الى الجــوارح، والأيــدي، وســائر الأجهزة الواجبة في استعمالها بالنسبة الى المقدورات.

و سمعه، وبصـره قـديمان ولا يحتاجـان إلى مـا تحتـاج إليـه في ســمعنا وبصــرنا كالصــماخ في الســامع، والحدقــة في العين، فكـذلك كلامـه اللفظي قـديم وقـائم بذاتـه ولا يحتـاج الى هـذه الشرائط الموجودة عندنا، ألا تـرى أن اللـه تعـالى يعطي العلم الشامل بكثير من المعلومـات المتعـددة بالإلهـام في آن واحـد. ولا يحتــاج الى ذلــك التــدريج الموجــود في تعليم الأســاتذة تلاميذهم بالمعلومات الكثيرة فالحق إسناد الكلام مطلقـا إليـه، أي سواء كان وصفا نفسياً وذاتياً، أو كلاما لفظياً ويحال ثبوته له الى علم[29] بدون النظر في احتياجه الى ما نحتاج

[29] في المخطوط علمه

إليـه عنـدنا، وهـذا هـو الأسـلم. نعم إن الكلام اللفظي حـادث ومحتاج الى الترتيب في التلفظ لكن عندنا فقط والله اعلم.

وسر وجوب إثباته، له تعالى وجوب ثبوت كـل كمـال لـه تعـالى ونفي كـل نقص عنـه، ووجـود الكلام النفسـي، وتحقـق مبـدأ الألفاظ كمال، وضـده، وهـو السـكوت والخـرس الـذاتي، نقص وجب تنزيهه تعالى عنه، وكذلك ثبوت الكلام اللفظي الـذي هـو مطابق لما يقتضيه الكلام النفسي كمال، وضده، وهو السـكوت لفظـا ووجـود الخـرس والعجـز عن التعبـير نقص، يجب تنزيهـه تعالى عنه.

ولا يقال إنهما حادثان بالقـدرة الموجـودة عنـده إذا كـان الكلام والتعبير مما يحتاج إليهما، وذلك لأن كل أثـر ناشـئ عن القـدرة بالاختيار، لابد أن يكون حادثا، لأن الموجود[30] لأي شـيء ناشـئ عن إيجـاده تعـالى لـذلك الشـيء، والإيجـاد ناشـئ عن القصـد، فيلزم حدوث ذلـك الكلام الـذي اعتبرنـاه كمـالاً وإلا لـزم خلـوه تعــالى عن بعض الكمــالات في بعض الأوقــات وهــو محــال: ومسألة ثبوت الصفات لذات الباري كمسألة وجـود ذاتـه تعـالى الثابت محققاً بالأدلة القطعية، فالحق القـول بثبوتهـا لـه تعـالى كثبوت الفردية للواحد ولا يناقش فيه، كمـا لا نقـاش في ثبـوت لوازم الماهيات للماهيات، فخذ هذا الأمر الأسلم.

ومما يجب أن يعتقده المسلم أن لفظ (كلام الله) مشـترك بين الكلام النفســي والكلام اللفظي، فيســتعمل في كــل منهمــا، والمعين للمقصود قرينة الحال أو المقال، كما أن لفـظ القـرآن مشترك بينهما، لكنه قليلا ما يستعمل للصفة النفسية، لأن لفظ القرآن من القراءة، وهي أنسب الألفاظ من المعاني، وإن لفظ القرآن موضوع لمفهوم الكلام المنزل على سيدنا محمـد صـلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه والتعبـد بتلاوتـه، ويسـتعمل للقليـل والكثـير منـه بشـرط أن يكـون مركبـا يوجـد في نص الكتاب نحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

---

[30] في المخطوط الوجود

و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ لا لفظ قـل. وتـترتب عليـه أحكـام القـرآن من حرمة مسه بدون الوضوء وحمله مقصود بالذات وغيرهما.

وقــولي: (دين مــبين الى أبيــات عديــدة) بيــان لبعض أوصــاف القرآن الكـريم وهـو أن القـرآن دين وشـريعة واضـحة بالـذات، بشـرط بيـان مـا يحتـاج الى البيـان منـه وهـو ختم للأديـان في العالم.

قال تعالى: ﴿مَا كَـانَ مُحَمَّدٌ أَبَـا أَحَـدٍ مِنْ رِجَـالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُـولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية. ولمـا كـان الرسـول خـاتم المرسـلين كان الكلام المنزل عليـه خاتمـا للـدين، ولأحكـام الإسـلام، وقـد أكمل الله به دين المسلمين، وهو موافق لجميع الكتب المنزلـة من عهد سـيدنا آدم الى الخـاتم في المعتقـدات، فهم متحـدون في العقائد ولكنه مخالف لها في الأحكام العملية، فشـريعة من قبلنا شريعة لنا بشرط تقرير شريعتنا لها، فنأخذ مـا وافقنـا من حيث أنه مقرر في شـريعتنا، كمـا أن الكتب المنزلـة قبـل عهـد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يخالف بعضها لمـا تقدمـه أو تأخر عنه إذا كان من الأحكام العملية.

وإنه ورد في القرآن نسخ بعض الآيات بالبعض تلاوة كما في آية الرجم:

(الشـيخ والشـيخة إذا زينـا فارجموهمـا البتـة)، قـال عمـر بن الخطاب رضي الله عنه: فإنا قـد قرأناهـا، أو في الحكم فقـط، وسره أن الأحكام تراعى فيها مصالح العبـاد، وقـد لا يلائم بعض الأحكام لبعض الأزمنة في أمة واحدة، كما أنه نسـخ دين سـيدنا عيسـى بعض احكـام دين سـيدنا موسـى، وهكـذا وهـو معلـوم، وإنكاره من الجهل بمعنى النسخ، والقول بـأن النسـخ تخصـيص أضــلّ لأن التخصص[31] للعــام يبقي بعضــا من أفــراده ويزيــل بعضا، ولكن النسخ إزالة الحكم بـالمرة، وهـذا ظـاهر لمن تتبـع الأصول.

وليعلم أنه لا نسخ بعد عصـر الـنزول من أي فـرد أو جمـع لأنـه معارضة للكتاب المنزل ومعارضته كفر واضح، فافهم ذلك فإنـه من مهمات العقائد.

(31) في المخطوط التخصيص

وهـذا القـرآن الكـريم يـدعو الأنـام الى أصـول السـعادة، وهي الايمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخـر، وبالقضـاء والقدر، والى أداء أركان الإسلام، وهي شهادة أن لا إله الا الله، وأن محمداً رسـول اللـه، وصـيام شـهر رمضـان في كـل سـنة، وإعطاء زكوة المال للمستحقين، وحج البيت لمن استطاع إليـه سبيلا، ويدعو العقلاء البالغين الى التخلق بـالأخلاق الحسـنة من الصبر، والصدق، والوفاء بالعهد، والسخاء بالمـال لا سـيما عنـد القحـط والغلاء، وبـترك الرذائـل النفسـية من الكـبر، والعجب والحقد، والحسد، والفتنة، والنميمة وغيرها.

فآداب المسلمين على ما قلنا اثنا عشر أدبـا، الإيمـان بالأركـان الستة، واداء آداب الاسلام الخمسـة بشـرط الإخلاص، وملازمـة الأخلاق الحسنة مما ذكر[32]، والله الموفق.

والقرآن يدعو ويأمر بإطاعة الله تعالى، وإطاعـة رسـوله صـلى الله عليه وسلم يعني بهما العمل بالكتاب والسنة ويدعو ويـأمر بإطاعة أولي الأمر، وهم المجتهدون سـواء كـانوا مجمعين على أمر دين، فيكون إطاعتهم واجبة، أو كان مجتهد واحد يـرى رأيـا في الدين وإطاعته جائزة لكل مسلم، ويجب عليـه أن لا يعمـل عملا دينيا إلا بهذا الترتيب المذكور.

ويـدعو القـرآن الى الاعتقـاد بـأن المسـلمين متسـاوون في الحقـوق المشـروعة ولا فـرق بينهم إلا بـالتقوى، فأفضـلهم أتقاهم، وأرذلهم أشقاهم، والتقوى احـتراز عن الكفـر والـذنوب والكبائر (في المخطوط والذنوب الكبائر) وعن الرذائل والدنايا.

والقرآن يـأمر بالعـدل في الأحكـام، والمشـاورة في المهمـات، وبـأداء الأمانـات، وبمباشـرة الأسـباب لجلب الخـيرات، ولـدفع الشرور والآفات، ويـأمر بإعـداد العـدة وكـل صـناعة، وتحصـيل أسـباب القـوة للجهـاد في الـدين ومعارضـة الكـافرين، ونهي العصـاة المـارقين عن الـدين، ودعـوتهم الى الحـق بـالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك من فروض المسـلمين عينا، أو كفاية، كما يأمر

[32] في المخطوط ذكرنا

أمـرا اكيـدا بتعلم الـدين من القـرآن الكـريم الى سـائر العلـوم الدينيـة الواجبـة والمسـتحبة، وتعلم الصـناعات، وسـائر الأمـور المهمـة كـالطب والاقتصـاد وغـير ذلـك، ممـا يحتـاج إليـه كيـان الإسـلام لاسـيما الوحـدة، والأخـوة، والاعتصـام، ومنـع الشـقاق والنفاق بين المسلمين.

ومادام هذا الكتاب المبارك مشتملا على هـذه المـواد المباركـة فهو كتاب الخلود، ويبقى خالدا مع المسلمين إلى يوم الدين.

وقولي: (وفي فصاحته..) إيضاح لوصول القرآن درجة الإعجـاز من وجوه عديدة:

الأول: إنه بلغ في فصـاحة مفرداتـه وكلامـه، وبلاغـة الكلام الى قمة لم يصل إليها أي لفظ آخر مفرداً أو مركباً، تامـاً، ذلـك لأن فصاحة المنفرد خلوصه من تنافر الحروف، والغرابـة، ومخالفـة القيـاس، والقـرآن الكـريم حـائز لوصـف الفصـاحة بـالمعنى المذكور.

والبلاغـة: مطابقـة الكلام لمقتضـى الحـال، والقـرآن وصـل في هـذه الصـفة أعلى مقـام الكلام البليـغ، والـدليل عليـه أن اللـه تعالى تحدى الأنام بمثل كل القرآن، أو عشر سور من مثلـه، أو سورة واحدة، وقد عجزوا عن الإتيان به، فبذلك ثبت أن القرآن معجز للأنام.

الثاني: أنـه لا قـدح، ولا ذم، ولا كـذب في ثنائـه على أي شـيء يثني عليه، وفي ذمه لأي شـيء يذمـه، وأمـا غـيره من عبـارات الناس فلا يخلو من الكـذب في مدحـه وقدحـه، ومشـتمل على الأدب الرفيع في عباراته.

الثالث: أن أسلوبه مخالف لأساليب كلام العـرب مطلقـا، حـتى أنه يخالف عبارة الرسول نفسه صـلى اللـه عليـه وسـلم بحيث تمتاز عن القرآن امتيازاً واضحاً.

الرابع: إن القرآن يفسر بعضه بعضا، فكم من مطلق في محـل يقيـد في محـل آخـر بحيث يتضـح معنـاه، أو أن هنـاك بيانـا من الرسول المخول بالبيان، فأصـبح القـرآن واضـحة تسـتفيد منـه الأمة أحكام الدين المبين.

الخامس: إنه مشتمل على جمل من الحكم المتقنة مثـل قولـه تعالى: ﴿وَأْتُـوا الْبُيُـوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، وقولـه تعـالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَـةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وغيرها مما يطول ذكره، فـالقرآن رحمـة للأمة ببيانه وإرشاده.

السادس: إنه مختص بوصف عجيب خارق، وهـو أنـه كلمـا كـرر القارئ قراءته، فكأنه لم يقرأ تلك الآيـة من قبـل، وكلمـا سـمع منه بعضا وجده كجديد لم يسمعه من قبل ذلك، فيزداد نشــاطا لقراءته أو لسماعه.

السابع: إنه كلما تلونا عشـر آيـات منـه، وجـدنا فيـه حظـا لكـل السامعين على أي حال كـانوا، من أهـل أي عمـل وأي مكسـب يجـدون في تلـك العشـرة مـا يناسـب أحـوالهم، ولا تخلـو عن نصيب للحاضرين.

الثامن: وصف يدرك بالوجدان لمن يؤمن بـه، وهـو أنـه يحصـل من قراءتــه ومن ســماعه نــور في قلبــه تنجلي بــه الصــدور، وتذهب به الأحزان.

التاسع: إن ما فيه من الوعيد الحامض على مذاق الناس، يقابل بحلاوة وعده، فالوعد كأنه مستول على وعيـده، وتبشـيره على تهديده، وبعضه الآتي بالرحمة جابر لبعضه الآتي بالوعيد بالنقم، ومعناه أن فيه في مقابلة الوعيد وعداً أكيداً مباركاً.

العاشر: إن منطوقه شاهد على بعض الأحكام، ومفهومه شـاهد على بعض أحكام أخرى مخالفـة لحكم المنطـوق، كمـا يسـتفاد من قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ كَـانَ ذُو عُسْـرَةٍ فَنَظِـرَةٌ إِلَى مَيْسَـرَةٍ﴾ يستفاد منه أن المعسر له حكم والموسر له حكم آخر.

الحادي عشر: إن فيه اخبـارات بـالغيب الماضـي، وذكـر أشـياء كانت في الماضي والناس يجهلونه، وأشياء للمستقبل لا تــدرك في الحال، كما في قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، ويتكلم عما وراء الطبيعة الحاضرة فيتكلم عن الجنة والنار،

والسموات السبع، وسدرة المنتهى، والبيت المعمور، والكرسي، والعرش وحملته في الدنيا وفي الآخرة، واللوح المحفوظ.

الثاني عشر: من وجوه إعجاز القرآن الكريم، هو أنه مشتمل على دقائق علوم الكائنات العلوية والسفلية، بحيث يصعب تعلمها على الناس من وجود المدارات للكواكب السيارة، ووضع ميزان لدورانها بحيث لا تعارض حركتها على مدار حركة كوكب آخر، فيقول: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

ويقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * ﴾.

ثم يعلن أن في الطبقات العليا موادا ملتهبة نارية لا يمكن النفوذ فيها، والعبور عنها إلى ما فوقها إلا بسلطان وقوة خارقة إلهية، كما في المعراج للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أو بقوة علمية واختراع أسباب النفوذ والعبور، وهذا للمنصف دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن كلام الله تعالى. ولا مجال للعلم بها وإظهارها من شخص أمي نشأ في مكان بعيد عن الحضارة والمدارس الرياضية، والحال أنه لم يسافر إلى محل كذلك للحصول عليها، ولم يكن في محله من يعلمه ذلك، ومع ذلك كله يتلو آياته بكل اطمئنان، وسكينة نفس، فكأنه أخذ درسها من علام، أليس ذلك دليلاً على جلالة قدر الرسول ورسالته وانتساب هذا القرآن المبين إلى العليم الخبير؟

وهناك وجوه أخرى من دقائق الأسرار، كاشتمال حروفها على فوائد ألهم بها العارفون بحيث تكتب الآيات ويستفاد منها خوارق العادات من قهر الظالمين، ونجاة المظلومين السالمين، ويفيد منع نفوذ الرصاص في لحوم الانسان والحيوان، ويفيد بعون الله تعالى شفاء المرضى بالمرض النفسي، والمرض البدني الاعتيادي، وذلك معلوم عند أهل الخبرة بأولئك العارفين.

ووجوه أخري نورية كانشقاق الحجر بالقراءة عليه، وجذب قلوب العصاة الى إطاعة الباري تعالى، وتسهيل صعاب الأمور، وشرح الصدور بإذن الله تعالى.

ولذلك المذكور من الوجوه وغيره من الأسرار، ولتكامله من كل باب أعلن النبي على ملأ من خيار الناس في حجة الوداع أن الله تعالى أكمل بهذا القرآن العظيم دينهم، وشريعتهم، ولا يحتاجون إلى نظام خارج عنه لمن طبقه حق التطبيق، فأنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ويرمز الى إكمال الدين تركيب الحرف الأول من أول القرآن أعني باء بسم الله الرحمن الرحيم مع الحرف الأخير من القرآن، أعني سين الناس، حتى يصير (بس) أي أن هذا بس، ويكفيكم، وحسبكم في حساب الدنيا والآخرة وذلك لمن اصطفاه الله من عباده الصادقين. فلم يبق للمؤمن الأمين في قلبه إلا الاستفادة منه بتلاوته مع الخشوع لصاحبه الذي نزله من عالم الغيب والعمل بمندرجاته الوافرة في مدة الحياة السعيدة.

ولم يبق لنا نحن المؤمنين إلا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

وقولي: (آياته حسب نص الى آخر الأبيات) بيانه: أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ الآية. يدل بالصراحة أن في القرآن الكريم نوعين من الآيات: الأول: المحكمات. والثاني: المتشابهات

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ يدل بوضوح على أن نوع المحكمات واضح المراد وليس فيه إشكال يستصعب حله، وأن نوع المتشابه فيه ذلك، كما أنه من الواضح أن من المتشابه ما استأثر الله بعلمه مثل وقت بدء الخلق، والإيجاد

للكائنات، ووقت الساعة، وسر القضـاء والقـدر وغيرهمـا، ومن المتشابه مـا ليس من المسـتأثرات ولكن يصـعب حلـه كفـواتح السـور مثـل: (الم، وحم، والمص، وكهيعص، وصـاد، وقـاف، ونون). أو أنه لا يجوز انتسابه إلى الله تعالى على ظـاهره مثـل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وقولـه: ﴿وَيَبْقَى وَجْـهُ رَبِّكَ﴾، وقولـه: ﴿وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَـكُ﴾، وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وقولـه: ﴿يَـدُ اللَّهِ فَـوْقَ أَيْـدِيهِمْ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ﴾ وذلـك لأن اللـه تعـالى لا يماثلـه شـيء من الجسـم والجسـمانيات، ولا تـركيب في ذاتـه من الأجزاء، لأن ذلك يستلزم الحاجة والله بريء منها. فالعلماء من السلف والخلف اتفقـوا على أن مـا اسـتأثر اللـه بعلمـه لا يعلم تأويله إلا الله، ووجب بالنسبة إلى هذا البعض الوقف على لفظ الجلالة، حيث لا يعلم تأويلـه إلا اللـه، وأن مـا عـدا المسـتأثرات ممـا يعلم الراسـخون في العلم معانيهـا بالتـأويلات الصـحيحة السليمة المناسبة يعلم تأويلـه، لكن اختـاروا الوقـف على لفـظ الجلالة أيضا، لأن ذلك أسلم وآدب.

فلا يبقى مجـال تخـالف بين السـلف والخلـف، إن الوقـف على لفظ الجلالة واجب بالنسبة الى المسـتأثرات، وإن الوقـف على لفظ العلم حق بالنسبة الى غيرها، ومـع ذلـك فالعلمـاء الأعلام اختاروا بالنسبة الى غير المستأثرات تأويله بالتأويلات المناسبة، كتأويـل (الاسـتواء) في ﴿الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَـرْشِ اسْـتَوَى﴾ بالاستيلاء والتصرف الكامل فيه، وتأويل الوجـه بالـذات، والعين بـالعلم، واليـد بالقـدرة، واليـدين بالقـدرة الإيجابيـة، كـالإعزاز، والإعطاء. والقـدرة السـلبية، كـالمنع، والاذلال، والإماتـة، وذلـك لأن الله تعالى أنزل الكتاب للهداية والإرشاد الى الصواب فبيان المعاني، ولو بالتأويل الصحيح أوفق بإرشاد الأنام، وأما ما ذهب إليـه بعض من المتنطعين من حمـل هـذا النـوع على ظواهرهـا بشبهة عدم التعطيل في الآيات، والقول بالكيفية مثلا يقولون:

استوى على الظاهر وكيفية الاستواء مجهولة، فهذا القول فاسد لإفضائه إلي القول بالجسم، والتركيب للباري، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقول الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه: بالإيمان بهذا الفرع، لكن بلا كيف، فمعناه، إنا نؤمن بتلك الآيات أنها حق وحقيقة واردة من الله تعالى، ولكن لا نقول بكيفية ربطها، ونسبتها إلى ذاته تعالى لتنزهه تعالى عن أوصاف الممكنات المفضية الى الحاجة المنافية لذاته تعالى، وإياك أن تنسب إلى الإمام الأشعري ما يقول به المبتدعة، فإنه على ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الإيمان بها وتفويضها إلى الله سبحانه وتعالى.

وقولي: (نزل هذا الكتاب.ـ الأبيات) إشارة الى الأحرف السبعة الواردة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. زاد مسلم، قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال، ولا حرام، وأما معنى الحديث الشريف ففيه وجوه كثيرة جداً، والمختار من بينها أن معني نزول القرآن على سبعة أحرف نزوله على سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، وإن جاء على سبعة، أو أكثر[33]، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن.

فالأحرف بمعنى الأوجه على معنى أن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد، والتنوع في أداء اللفظ الواحد ومهما تعددت القراءات، والطرق في الكلمة الوحدة.

[33] في المخطوط سبعة، أو عشرة أو أكثر

فكلمة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحثٌّ له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات. (٤) التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة، أو العشرة. وكلمة ﴿وعبد الطاغوت﴾ التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة ﴿أفٍّ﴾ التي اوصل الرمّاني لغاتها الى سبع وثلاثين لغة، كل ذلك لا يخرج التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة. بقي أن تتساءل: ماهي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما تنوعت وتكثرت في الكلمة الواحدة والذي اختاره المحققون من بين الآراء العديدة، هو ما ذهب إليه الإمام أبو فضل الرازي في اللوائح، إذ يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من افراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

الثاني: إختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.

الثالث: وجوه اختلاف الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص، والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم، والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: إختلاف اللغات، يعني اللهجات كالفتح، والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار، والإدغام، وغير ذلك.

والتمثيل لكل ذلك موجود في الكتب المعتمدة، ومن أراد الإطلاع عليها فليراجعها، ومن جملتها « الجزء الأول (من مواهب الرحمن في تفسير القرآن) » الذي وفقني ربي برحمته لتأليفه في أواخر حياتي في مدرسة سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني نور الله روحه آمين.

وقولي: (كتبها كاتبون...) حاصله: أنه كلما نزل الوحي عليه عليه الصلاة والسلام قرأ الآيات النازلة على من حضر عنده ويأمر الأصحاب بكتابته، لحفظه، وصيانته، وقد وصل عدد الكتاب على اختلاف الأوقات الى

اربعة وأربعين شخصاً، ألزمهم له صلى الله عليه وسلم زيـد بن ثـابت، ثم الخلفـاء الراشـدون، ثم غـيرهم من الصـحابة، ومنهم في أواخر حياته معاوية بن أبي سفيان، فإنه كان أخـا أم حبيبـة زوجته صلى الله عليه وسلم □ ويحضر عنده كثيراً.

ثم هذا القرآن الكريم منـذ نزولـه الى زماننـا هـذا تلقـاه أفـراد المسـلمين من الجيـل الأقـدم، وهكـذا الى الصـحابة الكـرام الأخذين له منه صلى الله عليـه وسـلم مشـافهة، وكـل آيـة من آياتـه الـتي بلغت سـتة آلاف وسـتمائة وسـت وسـتين، متـواتر، ومعلـوم لنـا علمـاً يقينيـاً بلا شـبهة، وقـد احتـاط الأصـحاب في حفظه، وكانوا لا يكتبون مع القرآن شيئا آخر قط، حتى النقاط، والأشكال فجزاهم الله تعالى خير الجزاء عن المسلمين.

الاصحاب الكرام رضي الله عنهم أجمعين

مسجدك الجامع اللامع ... بالعلم في الدين والارشاد

لدرسَ الأخلاق بالتعليم ... تنوير الآفاق من توحيد ذي

وكلما كنت بالأصحاب تجتمع ... كانوا كهالة بدر في سما

ما كنت شمس السما إذ ... أخَفت نجوما وغابت في[34]

بل أنت شمس الهدى ... ظهرت أظهرت نور الحق

يا مرحباَ بمقام كنت فيه وقد ... اجتمعت عندكم صحب أولو

ينغمر الصحب في الأنوار ... حيث تجلى عليك الله

يا صاحب الفضل بالأنوار ... يا صَاحب النور في صدر[35]

لا ينقص النور منكم لو أتى ... ينير قلبي وينجيني من

يا مرحبا بمقام فيه أصحابكم ... أصحاب رشد وأهل القدر

<98>

---

[34] في المخطوط خفا

[35] في المخطوط الصدر

هم الأولى كالنجوم في   بهم هدى المقتدي في
هم آمرون بمعروف لدى   ناهون عن منكرٍ ولو من
ضحّوا بأموالهم ضحّوا   على استقامتهم في الحرب
واضطهدوا واستقاموا فوق   وصبروا تحت غدر المشرك
وكلما عذبوا كانوا كمن   عذبا فراتا على عطش من
وهاجر البعض منهم هجرتين   حبشة دونما وحشة أو نقم
وهاجر الكل بعد هجرة   لطيبة الطيبة الصحراء
وإذ مضت أشهر سبع من   إذن القتال أتى في الحل لا
وفي سنين غزوا وبانتصار   ونشروا ملة الإسلام في
نحو ثلاث وستين غزوا غزوة   منتصرين بنور العزم والهمم
في نحو ست وعشرين بها   يا حبذا قائد الأبطال ذو
لهم مواقف فضل في   قد جاءنا الخبر الثابت

يطول شرح الجميع للجميع … ظهر أبررها كأسطع الأنجم

أشهرها بدرنا الكبرى، … وخندق شهدت بقوة الهمم

وغطفان بها واقعة وقعت … تليق تكتب بالنور على

ليست حديبية من الحروب … قد بايعوك على حرب أولي

والله أثنى عليهم في … بأن يد الله فوق الأيدي

وغزوة أحد والناس في كبد … من ترك أمر الرسول

وفتح مكة ذات القدر أم … بصلح أو عنوة في جانب

حرب حنين وإذ أعجبتهم … فجاءهم نصرة من بعد

وهاجموا المشركين في … مثل الأسود إذا هاجت على

تحت فوارق حرفٍ نصر ملتنا … اوفى بوارق سيف جاء

ومن رأى صولة الأصحاب … بأنهم أشجع الأبطال في

وحاربوا لحداد السيف … إعلانهم كلمات الله في

في زمنٍ عاجل سار بالأنام فيهم من الروم والأقباط

فسخروا القبط أهل العجل وسخروا جيش كسرى ملك

وهددوا دولة الروم لشوكتهم فارتعشت أصبع الكتاب

وجددوا جملة التوحيد خالصة وبعدوا طالبي الإشراك

من عدلهم كان للناس آمال قد أرشدوا الناس للإخلاص

لما أتى موعد التوديع من ووقت وصل لرب البيت

قد أعلن المصطفى حجا إلى وأقبل الصحب أهل الفضل

توجهوا نحو بيت الله شوقا إلى البيت ميلاً نحو

لبيك لبيك في صعد وفي داعين عفو الإله الحاكم

طوبى لمن حج بيت الله ذي مع الرسول رسول الفيض

فقد يلبى وكشف الأنبياء له هذاك موسى، وذا عيسى

مائة ألف وزادت أربع ألفا في هذه الحجة المبروكة

ففي عرفة نزلت (اليوم جاء الختام لدين الحق

هو الطواف ببيت الله ذا قد حرم المتعة الممقوت

مع كثرة في (غدير الخم) اذ ألقى لهم خطبة جامعة

كانت أصولاً لهم في الدين والجمع جم غفير حادَ عن

فاستمعوا واستفادوا الدين وبلغوا غيرهم عن صحة

وكيف لا وهم الأركان في أولو الأمانة في البليغ[36]

وغزوة أحد جاؤا على عدد لأخذ ثأر من الأصحاب

والعين في رمدٍ من حادث من كيد ملتحد في أسوأ

والشمس في كسف، والبدر في خسف، والدهر

ومن مخالفة المولى الجليل ما فاجأ الجيش جيش العزم

فانهزموا وبقي حول النبي ممن لهم مدد في الحرب

من المهاجر والأنصار أهل لحضرة المصطفى في

---

[36] في المخطوط التبليغ

نضر، زبير، وصديق، كانوا على غاية من قوة

وابن قمأة أفنى مصعبا وأتى بقتل حمزة وحشي على

طوبى لمن قد تأذي في ويل لمن قد جفا بالرمح

ويل لمن جرح المحبوب في خد أصيل كدر الأبحر الخضم

بحيث قد كسرت له رباعية من جانب الأيمن الأسفل

وغاص في وجهه الدرع بمصه ابن عوف صاحب

وكسرها نصرة في حالة تبقى لنا في امتداح سيد

روحي فداء لطبع كان معتدلا في العيش والطيش

وكان دأبهم الفداء بالفرح للمال والجاه والنفس بلا

كحرب مؤتة حربا في جفا طبقا لما قد بدا من سيد

جيش قليل لهم مع قلة للكفر جيش كثير العد

زيد بن حارثة شهيد كارثة قل المثال لها في نكبة

وجعفر قطعت منه اليدان … تنزل الراية العليا مع الألم

فبدل الله بالإحسان أيديه … مما يطير به في جنة النعم

وابن رواحة راحت روحه … مستشهدا بالوفا للفوز

قد باعهم ربهم جنات رحمته … بما لديهم من النفس ومن

طوبى لهم طيبات ذات … تبدو على أعين الأعلام

طوبى لمستشهدي الأصحاب … في البدر في خندق في

طوبى لمن جال حول … في الغزوات على الأقدار

أحسن بمقبرة المستشهدين … روح وريحان زهر روضة

سقوا بساتين الإسلام بعين … تجري كأنهار جنات على

لما أظهر العجب في بدر … ولا استكانته في الأحد

هذا هو الخلق المخصوص … خلق عظيم عجيب من أولي

وكان في كسرها قسم من … يدري بها العاقل الموصوف

كي يستقر الثرى من طوع ... مما جرى أو يرى[37]

ويعلم الصادقون وأولو كذب ... أهل النفاق وأهل الغدر

وعندنا أسف ومحنة كلف ... عمالهم أسلفوا من صاحبي

للأربعين من القراء أهل ... بقدر قوم بعين فاقدي

دعا عليهم رسول الله في ... حتى أتى (ليس لك) من

والعارفون أولو فضل ومنقبة ... ذاقوا جفاهم كحلو في

وكم أتت محنة في طيها ... ومنحة ترتجى من أفضل

وكم جرت جولة لهذه الدولة ... ناتجها صولة من صاحبي

والعاديات أتت في دولة قد ... خيولها بميول الخير والكرم

وأنت يا سيدي في كنف ... مطالب عدداً من صاحبي

وجاءكم مدد، أو جاءكم عدد ... من عالم الغيب من مولاك

قولي: (المسجد) اسم مكان مشتق من سجد يسجد من الباب الأول، وقياسه المسجد بفتح العين، ولكنه يقرأ بكسرها على الشذوذ، وقولي:

(37) في المخطوط يرى في مستقبل

(الجـامع) صـفة المسـجد لبيـان أن ذلـك المسـجد كـان مهمـا بالنسبة للمسلمين، وتقـام فيـه الجمعـة، والجماعـات، والنسـبة مجاز لأن الجامع هو الله تعالى خلقـا والخلائـق كسـباً. والفـرق بين المسجد والجامع عرفاً: هو اختصاص الجامع بمـا تقـام فيـه الجمعة، وخطبته، والمسجد للجماعات الأخرى. وقولي: (اللامـع بالحكم) صفة إيضاحية، معناه أن: هذا المسجد الجامع المبـارك يـبرك ويظهـر يـدرس الحكمـة فيـه، والحكمـة في الاسـتعمال اللغـوي لكـل قـول، وفعـل سـديدين، وفي عـرف الحكمـاء هي العلم بأحوال الأمور الموجودة من الأعيان والأعراض الموافقــة للمواقع بحسب الطاقة البشرية.

فـإن كـانت تلـك الأمـور أعمـالاً اختياريـة، فـالعلم بهـا يسـمى بالحكمـة العمليـة، وإلا فيسـمى حكمـة نظريـة، والأول إن كـان متعلقا بالإنسان في ذاته فتسمى علم تهذيب الأخلاق، وإن كـان متعلقـا بـأحوال أهـل الـبيت، والمجـاورين لـه فهـو علم تـدبير المنزل، أو بـأحوال الإنسـان أينمـا كـان، فعلم سياسـة المـدن، والثاني إن كان ممـا لا يحتـاج البحث عنـه الى اعتبـار المـادة لا ذهنا، ولا خارجاً كذات الباري، وصفاته، فيسمى بالحكمة الإلهية، أو في الــذهن والتعليم، وإن كــان محتاجــاً إليهــا في الخــارج، فيسمى بالحكمـة الرياضـية، أو كـان محتاجـاً إليها فيهمـا كعلم الطب، والزراعة، فيسـمى بالحكمـة الطبيعيـة، وكـل مـا ذكرنـا يتفـــرع من علاقـــة النفس باللـــه تعـــالى، لاكتســـاب العلـــوم والإدراكات، وتسمى هذه العلاقة بالعقـل النظـري، وأمـا علاقـة النفس بذاتـه تعـالى لاكتسـاب الأعمـال فهـذه تسـمى بالعقـل العملي: وهي قــوة الاســتنباط والتصــرف الــتي بهــا يمكن من اسـتنباط الصـناعات، وتتفـرع منهـا الحكمـة العمليـة المفسـرة بالقيام بالأمور المطلقة على ما ينبغي عملاً أو علماً، وقد نطلق لفظ الحكمة على هذه العلاقة الأخيرة، كما يطلق على معنـيين آخرين.

الأول: القيام بالأمور على ما ينبغي، وهـو المـراد بقولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

والثاني: التوسط للنفس بين الجربزة والغباوة، فللحكمة أربعة معان كما هو دائر بين أهل العلم.

وقولي: (وكلما كنت بالأصحاب تجتمع..) الأصحاب: جمع صاحب بمعنى من صاحب إنساناً كيف كان، وأما الصاحب للرسول صلى الله عليه وسلم فهو من اجتمع به مؤمنا به صلى الله عليه وسلم ومات على الإيمان، وإن لم تكن صحبته له طويلة، ولم يغز معه ولم يروِ عنه.

يقول جلال الدين المحلي: أنه قد يأتيه البدوي الجلف فيتشرف بصحبته قليلا، ثم يرجع الى محله، ويتكلم بما يعجب العقلاء من الألفاظ المفهمة للمعاني السامية من بركة تلك الصحبة القليلة، فكيف بالصحبة المديدة، نعم من طالت صحبته، وزادت محبته وغزا معه، وتحققت محنته أو روي عنه أحاديث، فله زائداً على شرف الصحبة أجور كثيرة.

وقولي: (ما كنت شمس السماء..) معناه: إنك يا سيدي لست كالناس الاعتياديين الذين يبخلون بما عندهم لاتباعهم إلا ما قل، بل أنت بعثت رءوفاً رحيماً بالناس، بل بعثت رحمة للعالمين، ونورك نورٌ يظهر في وجوه أصحابك الكرام. يقول مولانا وسيدنا الحضرة (مولانا خالد): من مهمات المسلم أن يعتقد أنه لا يخلو مسافة من الأجرام العلوية أو السفلية، إلا وفيها حظ من هذه الرحمة المبعوث بها للعالمين، لأن بركات حضرته صلى الله عليه وسلم مستمرة الى يوم القيامة والمسلمون يستفيدون من صلواتهم عليه، أو خدمة دينه، أو ذكريات مناقبه الشريفة بحسب مستواهم، وإن أرواحهم بوارق مشرقة في العالم ولا تتقيد بقبورهم، أو بمحل خاص كالسدرة، أو الجنة، أو العرش، أو غيرها بل سائرة بها، حيث شاؤا بمشيئة الله تعالى. وكذلك أرواح سائر الرسل، والأنبياء عليهم الصلوات والسلام طلقاء في العالم، ويقول مولانا الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي نور الله روحه وأرواح سائر الأولياء: من لم يكن مرشده[38] يرشده ويربيه، فليداوم

[38] في المخطوط مرشد

على الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحصل المناسبة معه ويستفيد من روحه الشريف ما يريده من الأنوار، والبركات بإذن الله، ومن هنا يقـول النـاظم بتضـرع: يـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم نـورك المحيـط الهـادي لا ينقص بشـعلة منـه تتفضـل بنزولـه الى قلب هـذا الخـادم الخـالي عن الفضـل، لعلـه يتنـور، ويسـتقيم اسـتقامة يسـتفيد منـه حسـن الخاتمة.

وقولي: (هم آمرون بمعروف) إشارة إلى تطـبيق قولـه تعـالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، فالظاهر[39] أن جملة (تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر) ليست حالاً حـتى تفيـد أنهم خـير أمـة في حـال كـونهم آمرين وناهين، وإذا لم يكونـوا كـذلك لا تبقى فيهم الخيريـة بـل إنها جملة مستأنفة وتفيد كمـا أنـه تقـرر في علمـه تعـالى أنهم (خـير أمـة أخـرجت) اسـتقر أيضـاً في علمـه تعـالى أنهم دائمـا آمـرون بـالمعروف، ونـاهون عن المنكـر بحسـب الاسـتطاعة، وكانوا كذلك والحمد لله.

وقولي: (ضحوا بأموالهم.. الأبيات) حاصله: أنـه كـان للأصـحاب الكـرام مقامـان، مقـام قبـل هجـرة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم الى المدينة المنورة ومقام بعدها، فهم في المقـام الأول لم يكونوا مأذونين في القتال، ولم يكن لهم فيه مجـال، وكـانوا تحت غدر المشـركين، وكـانوا يعـذبونهم أنـواع العـذاب البـدني بالضرب، والكوي، والعذاب النفسي بالتحقير بوجوه كثيرة، ومع ذلك فقد كانوا ثابتين على دينهم وصابرين على أذى المشركين، كانوا يعذبون بلالاً على ترك التوحيد، ويقول: أحـد أحـد، فجـزاه الله تعالى بأن جعله مؤذن الرسول صلى الله عليه وسـلم وفي هذا التاريخ يذكر اسمه مع اسم الرسول صلى الله عليه وسـلم في الفواتح، بل كـانوا يعـدون عـذابهم من المشـركين كشـرب الماء العذب عند شدة الحرارة والعطش.

ولما أخرجت قريش بني هاشم، وبـني المطلب الى شـعب أبي طالب أمرهم بالهجرة عن مكـة، فهـاجروا إلى الحبشـة، وبقـوا مدة، ولما سمعوا بسجود

[39] في المخطوط فإن الظاهر

المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند سجدة سورة النجم، ظنوا تندم المشركين، فرجعوا إلى مكة، ولما علموا باستمرارهم على ما كانوا عليه هاجروا مرة ثانية إلى الحبشة، فبقوا فيها الى ما بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهاجروا الى المدينة المنورة.

ولما اجتمع المهاجرون في المدينة المنورة ومضت على الهجرة سبعة أشهر، نزلت آية الإذن في قتال المشركين.

وفي الأنوار المحمدية: وأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال. قال الزهري: أول آية نزلت في القتال قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا، وغزا، وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين، قاتل في تسع منها بنفسه (بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف) وسراياه التي بعث فيها سبعٌ وأربعون سريّة، أولها سرية حمزة رضي الله عنها في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، فخرجوا يعترضون عيراً لقريش، فلم يقع حرب، ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب الى (بطن رابغ) في ستين رجلا، لقي أبا سفيان بن حرب، وكان على المشركين في مائتين فلم يكن بينهم قتال. ثم سرية سعد بن أبي وقاص الى (الخزار) – وادٍ- في عشرين رجلاً يعترض عيراً لقريش، فوجدوها قد مرت بالأمس.

غزوة ودان

ثم غزوة (ودّان)، وهي الأبواء، وهي أول مغازيه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهرا من الهجرة، يريد قريشاً، في ستين رجلاً، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب، واستعمل على

المدينة سعد بن عبـادة، فكـانت الموادعـة الى المصـالحة على أن: بني ضمرة لا يغزونـه، ولا يكـثرون عليـه جمعـاً، ولا يعينـون عدوا.

غزوة بواط

ثم غزوة بواط، وهي الثانية، غزاها صـلى اللـه عليـه وسـلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثـة عشـر شـهرا من الهجـرة، في مـائتين من أصـحابه يعـترض عـيراً لقـريش، أمية[40] بن خلـف الجمحي، فرجع ولم يلق حرباً.

غزوة العشير

ثم غزوة العشيرة (وهي موضع لبـني مـدلج، بينبـع) خـرج إليهـا صلى اللـه عليـه وسـلم في جمـادى الاولى، وقيـل في جمـادى الآخــرة على رأس سـتة عشــر شـهرا من الهجـرة، في مائـة وخمسين رجلاً، وقيل مائتين، ومعهم ثلاثون بعيراً، وحمل اللـواء وكان أبيض حمزة، يريد عير قريش التي صـدرت من مكـة الى الشام بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها، فوجـدها قـد مضـت ووادع بني مدلج من كنانة على أن ينصرهم وينصروه صلى اللـه عليـه وسلم.

غزوة بدر الأولى

ثم غـزوة بـدر الأولى أغـار كـرز بن جـابر الفهـري، على سـرح المدينة بعد غزوة العشيرة بعشرة أيام، فخرج صلى اللـه عليـه وسلم في طلبه حتى بلغ (سفوان) موضع من ناحية بـدر ففاتـه كرز بن جـابر وتسـمى بـدر الأولى، وحمـل اللـواء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه

سرية عبدالله بن جحش

ثم سرية عبد الله بن جحش، وكان معه ثمانيـة من المهـاجرين الى (نخلة) على ليلة من مكة، في رجب، يترصـد عـير قـريش، فمرت به تحمل زبداً، وتمراً، وأدماً من الطائف، فيها عمــرو بن الحضرمي، فقتلوه، وأسروا عثمان

[40] في المخطوط فيهم امية.

بن عبد اللـه، والحكم بن كيسـان، وهـرب من هـرب، واسـتاقوا العير، فكما قت أول غنيمة في الإسلام.

غزوة بدر الكبرى

ثم غزوة بـدر الكـبرى، وهـو يـوم الفرقـان، الـذي أعـز اللـه بـه الإسلام وأهله، وأذل فيه الشرك مع قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، مع مـا كـانوا فيـه من سـوابغ الحديـد، والعُـدّة الكاملة، والخيول المسومة، والخيلاء الزائدة، ولـذلك امتن اللـه على المؤمـنين بقولـه تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ نَصَـرَكُمُ اللَّهُ بِبَـدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، وكـان خـروجهم ليـوم السـبت لثنـتي عشـرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، وخـرج معـه الأنصار، ولم يخرجوا معه قبل ذلك، وكانت عدة من خـرج معـه ثلاثمائـة، وثمانيـة لم يحضـروها وإنمـا ضـرب لهم بسـهمهم وأجـرهم، فكـانوا كمن حضـرها، وكـان معهم ثلاثـة أفـراس للمقداد، والزبير، ومرثد الغنوي، وكان معهم تسـعون بعـيراً أمـا المشـركون فكـانوا ألفـا، ومعهم مائـة فـرس وتسـعمائة بعـير، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، وكـان خروجـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بقصـد التعـرض لعـير قـريش القـادم من الشـام، في قافلـة عظيمـة، فيهـا أمـوال قـريش، وعليها أبو سفيان، في ثلاثين راكباً، فلمـا بلـغ صـلى اللـه عليـه وسلم بأصحابه (الرّوحاء) أتاه الخبر بمسيرة قريش ليمنعوا عن عيرهم، فاستشار النبي صلى الله عليـه وسـلم أصـحابه وقـال: ((إن الله وعدكم إحـدى الطـائفتين، إمـا العـير، وإمـا قـريش)) فقام أبو بكر فقال، فأحسن، ثم قـام عمـر فقـال، فأحسـن، ثم قام المقداد بن عمرو فقـال: يـا رسـول اللـه، امض لمـا أمـرك الله، فنحن معـك. واللـه لا نقـول لـك كمـا قـالت بنـو إسـرائيل لموسـى: اذهب أنت وربـك فقـاتلا، إنـا هاهنـا قاعـدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بـالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) يعني مدينة

الحبش، لجالدنا معك من دونه فقال صلى الله عليه وسلم: خيرا ودعا.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: أيها الناس يريد الأنصار، فقال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، وصدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى فسُرَّ عليه الصلاة والسلام بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سيروا على بركة الله تعالى، وأبشروا، فإن الله قد وعدنا إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم، وعين مصارعهم، فما تعدَّوها)).

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم قريباً من بدر، وترك قريشا بالعدوة القصوى وبني له صلى الله عليه وسلم عريش فكان به، ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتية من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم خرج إليهم بأمر رسول الله عبيدة بن الحارث بن المطلب، وحمزة، وعلي ابن أبي طالب، فبارز حمزة شيبة، فقتله، وبارز على الوليد فقتله، واختلف بين عبيدة وعتبة ضربتان، فأثخن كل صاحبه، فمال حمزة[41] على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة، واستشهد بعد ذلك من تلك الجراحة رضي الله عنه ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، ومعه أبو بكر فقط، وهو يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم، فلا تعبد في الأرض أبدا.

[41] في المخطوط حمزة وعليّ على عتبة

ولما نظر صلى الله عليه وسلم لكثرة المشركين، وقلة المسلمين، قام، فركع ركعتين، وقال وهو في صلاته: اللهم لا تخذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني. ولما كان في العريش ومعه الصديق أخذته صلى الله عليه وسلم سنة من النوم، ثم استيقظ مبتسماً، فقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار، ثم خرج من باب العريش يتلو ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وأمد الله المسلمين بألف من الملائكة، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، وكانت الملائكة لا تعرف كيف تقتل الآدميين، فعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وفيما سواه كانت عُدَداً ومدداً، وكانت سيماهم يوم بدر عمائم بيض، ويوم حنين عمائم خضر، وعن سهل ابن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه الى المشرك، فيقع رأسه عن جسده، قبل أن يصل إليه السيف، ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصباء، فرمى به في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه شيء، فانهزموا. وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسِر من أشرافهم.

وقال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه، حتى انقطع بيده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جزلا من حطب، فقال له: قاتل به! فهزه، فعاد في يده سيفاً طويل القامة أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى (العون)، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده، وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ معاذ بن عمرو يحمل يده، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلده، فبصق عليه الصلاة والسلام عليها فلصقت، فعاش بعد ذلك الى زمان عثمان رضي الله عنهما وأمر صلى الله عليه

وسـلم بقتلى المشـركين أن يطرحـوا في (القليب)، فطرحـوا فيه، فأتاهم صلى الله عليه وسلم وناداهم صلى الله عليه وسلم: يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقا. قـال عمـر: كيف تكلم اجساداً لا ارواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً. قال ابن مـرزوق: ومن آيـات بدر الباقية ما كنت أسمعه من غـير واحـد من الحجـاج: أنهم إذا اجتـازوا بـذلك الموضـع يسـمعون كهيئـة طبـل ملـوك الـوقت، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان، وكنت ربما أنكر ذلـك، وربمـا أتأوله، حتى من الله عليّ بالوصول الى ذلك الموضع الشـريف، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً المـرة بعـد المـرة يـومي أجمع!

وقد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل من المشـركين سـبعون، وأسر سبعون ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في آخـر رمضان، عث زيد بن حارثة بشيراً، فوصل المدينة ضـحىً، وقـد فرغوا من دفن رقية بنت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وكان عثمان رضي الله عنه تخلف عن بـدر لتمريضـها، فضـرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، وأجـره. ثم سـرية عمير بن عدي الخطمي، الى عصماء بنت مروان، وكـانت تعيب الإسلام وتعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها عمـير ليلاً فقتلها، ثم صلى الصبح مـع النـبي بالمدينـة، وأخـبره بـذلك، فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

غزوة قرقرة الكدر

خرج عليه الصلاة والسلام بعد بدر بسبعة أيام يريـد بـني سـليم فبلغ ماءً يقال لها (الكدرة)، أقام ثلاثـا، وقيـل عشـراً، ولم يلـق أحداً، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

سرية سالم بن عمير

الى أبي عفك اليهودي، وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم فقتله.

غزوة بني قينقاع

بطن من يهود المدينة، وكـانت يـوم السـبت، نصـف شـوال في رأس عشرين شهراً من الهجرة، وقد كـان الكفـار بعـد الهجـرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم عليه الصلاة والسلام على أن لا يحاربوه، ولا يألبوا عليه عــدوه، وهم طوائـف اليهـود الثلاثـة (قريظـة، والنضـير، وبـني قينقـاع) وقسـم حـاربوه، ونصـبوا لـه العـداوة كقـريش، وقسـم تركـوه، وانتظروا ما يؤول إليـه أمـره كطوائـف من العـرب، فمنهم من كـان يحب ظهـوره، ومنهم من كـان معـه ظـاهراً، ومـع عـدوه باطناً، وهم المنـافقون، وكـان. أول من نقض العهـد من اليهـود بني قينقاع، فحاربهم عليـه الصـلاة والسـلام في شـوال، وكـان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، فقـذف اللـه في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم على أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية، وأمر أن يجلوا من المدينة، فلحقوا بأذرُعـات، وأخـذ من حصـنهم سـلاحاً وآلـة كثيرة.

غزوة السويق

ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الأحد لخمس خلـون منهـا، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وسميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين السويق وغنمه المسلمون، وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر أن لا يمس النسـاء والـدهن حـتى يغـزو محمـدًا: عليـه الصـلاة والسلام فخرج في مائتي راكب من قـريش ليـبر بيمينـه، حـتى أتوا (العريض) على ثلاثة أميال من المدينة فحرقوا نخلاً، وقتلوا رجلاً

من الأنصار، وانصرفوا راجعين، وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق، وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب، فيأخذه المسلمون، ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام.

وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما وخطبها قبله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجبهما صلى الله عليه وسلم ثم دعاهما وجماعة من المهاجرين والأنصار، فلما اجتمعوا وكان عليّ غائباً خطب صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة، ثم قال: ((إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن ابي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته على أربمعائة مثقال فضة، إن رضي بذلك علي!)) ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بُسر، وقال: انتهبوا، انتبهوا[42]، ودخل علي، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه، ثم قال: ((إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال من فضة، أرضيت بذلك؟)) فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ((جمع الله شمليكما، وأعز جدكما، وبارك عليكما، أخرج منكما كثيراً طيباً))، قال أنس: فوالله قد أخرج منهما الكثير الطيب.

ثم سرية محمد بن مسلمة هو وأربعة معه الى كعب بن اشرف اليهودي، وكان شاعراً يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرض عليه كفار قريش، فتوجهوا إليه وقتلوه.

غزوة غطفان

كانت على رأس خمسة وعشرين شهرة من الهجرة، وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربي، وكان شجاعاً، فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين فخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

---

[42] في المخطوط وقال: انتهبوا، فانتبهوا

فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم هربوا الى رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم من بني ثعلبة يقال له (حبان) فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الإسلام، فأسلم.

وأصابه صلى الله عليه وسلم مطر، فنزع ثوبيه، ونشرهما على شجرة ليجفا، واضطجع تحتها، وهم ينظرونه، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل، ومعه سيف، حتى قام على رأسه عليه الصلاة والسلام، فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الله، فدفعه جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله، ثم أتى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

غزوة بحران

وتسمى غزوة بني سليم، وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع، ولم يلق كيداً، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وكانت غيبته عشر ليال.

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه

الى قردة اسم ماء من مياه نجد في مائة راكب، يعترض عيراً لقريش، فيها صفوان بن أمية، ومعهم مال كثير، فأصابوها، وقدموا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غزوة أحد

ثم غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه، اجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركوا ثأرهم يوم بدر.

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة.

وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، وأري رسول الله رؤيا أحبّ لأجلها المكث في المدينة، وقال لأصحابه: امكثوا، فإن دخلَ القومُ الأزقة قاتلناهم، ورُمُوا من فوق البيت. فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمني هذا اليوم أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون انا جَبُنّا عنهم، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الجمعة، ثم وعظهم، وأمرهم بالجِدّ والاجتهاد، وأخبرهم أن النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك، ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ثم خرج، وقد لبس لأمَتهُ، وتقلد سيفه، فندموا على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت. فقال: ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه))، وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية: لواء المهاجرين بيد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، ولواء الخزرج بيد الحباب بن منذر، ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير رضي الله عنه وفي المسلمين مائة دارع، وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما دارعين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة، وأدلج عليه الصلاة والسلام في السحر، وكان المسلمون ألفا والمشركون ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة درع، ومائتا فرس، وثلاثة آلاف

بعير، وخمس عشرة امرأة، ونزل عليه الصلاة والسلام بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من أهل النفاق، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم، ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة، وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة، وهم خمسون رجلاً (عبد الله بن جبير)، وقال: لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، واحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل، فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، ووقعت الحرب، وقتل من المشركين جماعة، وأنزل الله نصره على المسلمين، فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم، ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة.

فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل، وقلة أهله، فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فأقبلوا على من بقي من النفر الرماة، فقتلوهم، وأخيرهم[43] عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: إنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فشد عليه فكان كأمس الذاهب، وكان وحشي كامناً تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته، حتى خرجت من بين وركيه، فكان آخر العهد به رضي الله عنه.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو يظنه رسول الله فصاح: إن محمداً

[43] في المخطوط وأميرهم

قد قتل، وقال قائل: أي عباد الله أخراكم، أي احترزوا من جهة أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا، وهم لا يشعرون، وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر الصديق، وسبعة من الأنصار. وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه. أصابوا من المشركين يوم بدر الكبرى مائة وأربعين، سبعين قتيلاً، وسبعين أسيراً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوا، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوا. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، فرجع الى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدوّ والله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال.

ورمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وشج في جبهته وجرحت وجنته، وهشموا البيضة على رأسه (أي كسروا الخوذة)، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة، فأخذه علي كرم الله وجهه واحتضنه طلحة بن عبيد الله، حتى استوى قائماً، ونشبت حلقتان من المغفر بوجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه الشريف، وامتص مالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده. فقال عليه الصلاة والسلام: ((من مسّ دمي دمه لم تصبه النار)). وعن أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشجّ وجهه، وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه:

أقمأك الله. فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحـه حـتى قطعه قطعة قطعة.

عن الإمام الأوزاعي قال: بلغنا أنـه لمـا جـرح صـلى اللـه عليـه وسلم يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه ويقول: اللهم اغفــر لقومي فإنهم لا يعلمون.

واشـتغل المشـركون بقتلى المسـلمين يمثلـون بهم، يقطعـون الأذان، والأنـــوف والفـــروج، ويبقـــرون البطـــون، وقتـــل من المشركين ثلاثة وعشرون، وقتل صـلى اللـه عليـه وسـلم بيـده الشريفة أبيّ بن خلف. ولما أراد أبو سفيان الانصـراف أشـرف على الجبل، وصرخ بأعلى صوته: إن الحـرب سـجال يـوم بيـوم بدر (أُعلُ هبل)، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لعمر: أجبه، فقال: (الله أعلى وأجلّ)، وقال أبو سفيان: أنْعَمَتْ أي الأزلام. فقال عمـر: لا سـواء، قتلانـا في الجنـة وقتلاكم في النار. فقال: إن لنا العزى ولا عُزى لكم. فقال صـلى اللـه عليـه وسلم ((قولوا: الله مولانا، ولا مـولى لكم)). فلمـا انصـرف أبـو سفيان قال: موعدكم بدر العام المقبل، فقال صـلى اللـه عليـه وسلم لرجل من أصحابه: ((قـل نعم هـو بيننـا وبينكم موعـد)). ونظر صلى الله عليه وسلم الى حمزة وقد بقر بطنه عن كبـده وجدع أنفه وأذناه، فلم ينظر الى شيء أوجع لقلبه منـه، فقـال: رحمة الله عليك، فقد كنت فعولاً للخـير، وصـولًا للـرحم، وممن مثل به كمـا مثـل بحمـزة ابن أختـه عبـد اللـه بن جحش، ودفن معه في قبر واحد.

ولما أشرف عليه الصـلاة والسـلام على قتلى المسـلمين قـال: ((أنا شهيد على هؤلاء، وما من جريح يجـرح في سـبيل اللـه إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون دم، والريح ريح المسك)). وعن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: ((لمـا اصـيب إخـوانكم بأحـد جعـل اللـه أرواحهم في أجـواف طـير خضـر تـرد أنهـار الجنـة، وتأكـل من ثمارها،

وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنـا لئلا يزهـدوا في الجهـاد وينكلـوا عن الحـرب))، قال الله تعالى (أنـا أبلغهم عنكم). فـأنزل اللـه عـز وجـل على نبيه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُـوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًـا بَـلْ أَحْيَـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ الآيات.

غزوة حمراء الاسد

ثم غـزوة حمـراء الأسـد، وهي على ثمانيـة أميـال من المدينـة، وكان صبيحة يوم الأحد خـرج صـلى اللـه عليـه وسـلم بأصـحابه لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذنه صلى الله عليه وسـلم: أن لا يخـرج معنـا أحـد إلا من حضـر يومنـا بـالأمس (أي من شـهد أحداً) وانما خرج (عليه الصلاة والسلام) مرهباً للعــدو، وليبلغهم أنــه خــرج في طلبهم ليظنــوا بهم قــوة، وأن الــذي أصــابهم لم يوهنهم عن عدوهم، وأقام عليه الصـلاة والسـلام ثلاثـة أيـام ثم رجع إلى المدينة.

وقد غاب خمساً، وظفر صلى الله عليه وسلم في مخرجه ذلـك بمعاوية ابن المغيرة ابن أبي العاص، فأمر بضـرب عنقـه صـبرا انتهى.

قلت: إن واقعة أحـد أثبتت أن القضـاء يتحتم مضـاؤه، وإلا فلـو كان الأصحاب لا يرغبون الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم في الخروج من المدينة أو لم يكونوا يخالفون ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مـا كـان يصـيبهم مـا أصـابهم. ومـع ذلـك ففي القضاء بما قضى الله تعالى به حكم كثيرة جدا:

منهـا: أنـه يجب على الأصـحاب بـل على كـل اتبـاع أولي الأمـر الرشيد إطاعته والالتزام بأوامره ونواهيه كلها.

ومنهـا: أن لا يغـتر الأصـحاب بالنصـر والظفـر المسـتمر، فـإن الحرب سجال، ولكل واقعة رجال.

ومنها: أن الله غني عن العالمين يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل.

ومنها: إخلاص النية في الجهاد بحيث لا يشوبه الميل إلى الغنائم.

ومنها: اكتساب مزيد من الأجر بقبول الاستشهاد والتعب والجراحة.

ومنها: تمييز الصادقين عن المنافقين المترددين في الدين.

ومنها: إظهار عظمة أخلاق سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وسلم ﷺ في السراء والضراء، وعند تجلي الآلاء وإنزال البلاء، فإنه صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره وأوائل نشوء أعماله وآثار أفكاره يوما فيوما، وشهراً فشهراً، وسنة فسنة، وطوراً فطوراً وجده المنصفون المنصفون بالعقل السليم، متخلقاً بالأخلاق العالية الفائقة اللائقة لخاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وبالخاصة بعد جلوة إعلان الرسالة العامة الخالدة كان هو وأصحابه يتقلبون في الشدائد، والاضطهاد، والتعذيب والهجرة والتغريب، ومع ذلك لم يأت على ذاته المقدس إلا التسليم والتفويض الى الحكيم العليم، لاسيما بعد وفاة عمه المحب أبي طالب وقع في آساف ومحن كثيرة، وبعد أن عزموا على إبادته، وأخذ الأمر لهجرته، وإدراك التعب لنفسه ولأمته، وظهور الخير والإقدام على العون من أنصار حضرته، وعند فتحه وظفره ببدر الكبرى لم يحصل منه آثار غير التسليم، وكذلك في نقمة حادثة أحد الحاصلة في مخالفة أمره لم يظهر منه شيء إلا الصبر والسكينة، والاستقامة على ما أمره الله به، والرضاء بالقضاء. فقد أثبت للعالم أنه على خلق عظيم الذي يعد من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم، وفسر للعالم فعلاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾

فيارب العالمين ويا أرحم الراحمين أثبتنا في ديوان أمته المقبولة المستقيمة، واثبتنا على خدمة دينه المبين، وتفضل علينا بالخاتمة الحسني حتى تتشرف بلقائه يوم الدين، وفرج عنا وعن المسلمين، واجعلنا وأمواتنا من عتقاء هذا

الشهر المبارك الذي نحن في ترقيم نموذج من سيرته المباركة صلى الله تعالى عليه وعلى إخوانه الأنبيـاء والمرسـلين وجميـع أهل بيته وآله وأصحابه وأتباعهم باحسان الى يـوم الـدين وآخـر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد

الى قطن (جبل بناحية فيد) ومعـه مائـة وخمسـون من الأنصـار والمهـاجرين لطلب طليحـة وسـلمة ابـني خويلـد فلم يجـدهما. ووجد إبلا رشاء أغار عليها ولم يلق كيداً.

سرية عبدالله بن أنيس وحده

لأنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه جمـع الجمـوع لحربـه فقتلـه عبد الله، وأخذ رأسه حتى قدم المدينة.

سرية عاصم بن ثابت

الى الرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعَسفان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعـد أحـد رهـط من عضـل والقـارة، فقـالوا: يـا رسـول اللـه إن فينـا إسـلاماً فـابعث معنـا نفـراً من أصـحابك يُفقهوننـا. فبعث معهم سـتة من أصـحابه وأمـر عليهم عاصـم بن ثـابت، فخرجـوا مـع القـوم حـتى أتـوا على الرجيـع، غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فنفروا بقريب من مــائتي رجــل، يــرع[44] القــوم وهم في رحــالهم إلا الرجــال بأيــديهم السيوف، وقد غشوهم، فقاتلهم مرثد وخالد وعاصم حتى قتلوا، ونــزل عليهم على العهـد والميثـاق خـبيب بن عـدي، وزيـد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق، ثم أمتنـع منهم عبـد اللـه، فقتلـوه، وانطلقوا بخـبيب، وزيـد، حـتى باعوهمـا لأهـل مكـة، فقتلوهمـا، وقال أبو سفيان لزيد: أنشدك بالله أتحب أن محمداً الآن عنـدنا مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقـال: واللـه مـا أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيـه تصـيبه شـوكة تؤذيـه، وإني لجالس في أهلي. فقال

[44] في المخطوط فلم يرع.

أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحـداً يحب احـداً كحب أصـحاب محمدٍ محمداً! ثم قتلوه.

سرية المنذر بن عمرو

الى بئر معونة وهو موضع بين مكـة وعسـفان بعثـه صـلى اللـه عليه وسلم في سبعين من القراء، ليدعوا أهل نجدٍ إلى الإسلام بطلب أبي براء (مُلاعب الأسنة) وجـواره، فسـاروا حـتى نزلـوا بئر معونة، فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل بني ُسليم، عُصيّةَ ورِعلاً، وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم إلا كعب بن زيـد، وعمرو بن أمية الضمري، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسـلم خبرهم، قال: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهـذا كارهـاً متخوفـاً، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً! وعن أنس بن مالـك رضـي اللـه تعالى عنه قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن على أحد، ما وجد على أهل بئر معونة، ودعـا على من قتلهم ثلاثين صباحاً.

غزوة بني النضير

ثم غزوة بني النضـير قبيلـة كبـيرة من اليهـود وكـانت في ربيـع الأول سنة أربع من الهجرة. خرج صلى الله عليه وسلم في نفر من أصـحابه فيهم أبـو بكـر، وعمـر، وعلي رضـي اللـه عنهم يسـتعينهم في ديـة رجلين قتلهمـا عمـرو بن أميـة الضـمري، فقـالوا: يـا أبـا القاسـم نعينـك على مـا أحببت ثم همّـوا بإلقـاء صخرة عليه ليقتلوه.

ونهاهم سلام بن مشكم فلم ينتهوا، فقال لهم: لا تفعلـوا، واللـه ليخبرن بما هممتهم، وإنه لنقض للعهد. فأتاه الخبر من السـماء بما أراد القوم فقام عليـه الصـلاة والسـلام مظهـراً أنـه يقضـي حاجة، ورجع مسرعاً إلى المدينة، وتبعه أصـحابه فـأخبرهم بمـا أرادت يهود من الغدر به، وأمر صلى الله عليه وسـلم بـالتهيء لحربهم، والمسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم،

ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فحاصرهم ست ليـال، فتحصـنوا منه في الحصون، ثم قـذف الله في قلـوبهم الـرعب، فسـألوا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يجليهم عن أرضـهم، ويكـف عن دمـائهم، فـأجلاهم صـلى اللـه عليـه وسـلم وَوَلي إخراجهم محمـد بن مسـلمة، فكـانوا يخربـون بيـوتهم بأيـديهم، وحملوا النساء والصبيان، وتحملـوا على سـتمائة بعـير، فلحقـوا بخيبر، وقسم صلى الله عليـه وسـلم منـازلهم بين المهـاجرين، ليرفع بذلك مؤنهتم عن الأنصار.

غزوة ذات الرقاع

ثم غزوة ذات الرقاع سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها وكان خبرها أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة من أصـحابه، وقيل سبعمائة، واستعمل على المدينة عثمان بن عفـان رضـي الله عنـه وخـرج حـتى نـزل نخلاً هـو موضـع من نجـد من أرض غطفـان، فتقـارب النـاس، ولم تكن بينهم حـرب، وقـد أخـاف الناس بعضهم بعضاً حـتى صـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم صلاة الخوف، وكانت غيبتـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة.

غزوة بدر الاخيرة

وهي الصغرى، لمـا قـدم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بهـا جمـادي الأولى إلى آخـر رجب ثم خرج في شعبان الي بـدر لميعـاد أبي سـفيان، فخـرج عليــه الصــلاة والســلام ومعــه ألــف وخمســمائة من أصــحابه وعشرة أفراس، واستخلف على المدينـة عبـد اللـه بن رواحـة، فأقاموا على بدر ثمانية أيـام ينتظـرون أبـا سـفيان، وخـرج أبـو سفيان حتى نزل عسفان ثم بدا له الرجوع فرجع بالناس.

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليـال، وبُعـدُها من المدينـة خمس عشرة ليلة، وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسـعة واربعين شهراً من الهجرة، وكان سببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بهـا جمعـاً كثـيراً يظلمـون من مـر بهم، فخـرج عليـه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في الف من أصحابه، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطه، فلما دنا منهم لم يجـد إلا النعم والشـاء، فهجم على ماشـيتهم ورُعـاتِهمِ فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كـل وجـه، وجـاء الخـبر أهل دومة الجندل فتفرقوا.

ونزل عليه الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق أحـداً، وأقـام بهـا أياماً، وبث السرايا، ثم رجع ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر.

غزوة المريسيع

وهو ماء لبني خزاعة، وتسمى غزوة بني المصطلق، وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتـا من شـعبان سـنة خمس. وسـببها أنـه بلغـه عليه الصلاة والسـلام أن رئيسـهم الحـارث بن أبي ضـرار سـار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيأوا للمسير معهم، فبعث صلى الله عليه وسـلم بريـدة بن الخصـيب الأسـلمي يعلم علم ذلك فأتاهم ولقي الحارث وكلمه ورجع الى رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم فأخبره، وخرج عليـه الصـلاة والسـلام مسـرعاً وبلغ الحارث ومن معه مسـيره عليـه الصـلاة والسـلام فسـيئوا بـذلك وخـافوا خوفـاً شـديداً، وتفـرق عنهم من كـان معهم من العرب، وبلغ صلى الله عليه وسلم المريسـيع، وصـفّ أصـحابه، ودفع راية المهاجرين الى أبي بكر، وراية الانصـار الى سـعد بن عبـادة، فـتراموا بالنبـل سـاعة، ثم أمـر عليـه الصـلاة والسـلام أصـحابه فحملـوا حملـة رجـل واحـد، وقتلـوا عشـرة، وأسـروا سائرهم، وسبوا

النسـاء والرجـال، والذريـة، والنعم، والشـاء، ولم يقتـل من المسلمين إلا رجل واحد، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين يوماً.

غزوة الخندق

وهي الأحزاب سميت بالخندق الذي حفر حول المدينة، بأمره صلى الله عليه وسلم الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ترغيباً للمسلمين.

وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش، وغطفان، واليهود، ومن معهم، وكان من حديث هذه الغزوة أن نفراً من اليهود خرجوا، حتى قدموا على قريش مكة، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فاجتمعوا لذلك واتحدوا له، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان، فدعوهم إلى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حِصن في فزارة، والحارث بن عوف في بني مرة، وكانت عدتهم عشرة آلاف، والمسلمون ثلاثة آلاف، ولما سمع صلى الله عليه وسلم بالأحزاب وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما رواه أحمد والنسائي عن البراء، قال: لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول، فقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة، فنشر ثلثها، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة. ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن. ثم ضرب الثالثة، فقال: بسم الله فقطع

بقية الحجر، فقال: الله أكـبر أعطيت مفـاتيح اليمن، واللـه إني لأبصر أبواب صنعاء في مكاني الساعة.

ومنها تكثير الطعام القليل، كما ثبت في الصـحيح بحـديث جـابر وسيأتي إن شاء الله مستوفى في مقصد المعجزات.

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حـتى نـزلت بمجتمـع السـيول في عشـرة آلاف من أحابيشـهم ومن تبعهم من بـني كنانـة وأهـل تهامـة، ونـزل عيينـة بن حصـن في غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد الى جانب أحد، وخرج رسـول الله صلى الله عليه وسـلم والمسـلمون حـتى جعلـوا ظهـورهم الى سـلع، وكـانوا ثلاثـة آلاف رجـل، فضـرب هنـاك معسـكره، والخندق بينـه وبين القـوم، وكـان لـواء المسـلمين بيـد زيـد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة. وكان بنـو قريظـة على عهد وعقد مع رسول الله. صلى الله عليه وسلم فلم يزل حُيَيُّ بن أخطب برئيسهم كعب بن أسد حتى نقض هو وقومه العهـد، فلما انتهى الخبر الى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بعث بعض أصــحابه إليهم، فوجـــدهم على أخبث مـــا بلغهم عنهم، فعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حـتى ظنّ المؤمنـون كـل ظنٍ، ونجم النفـاق في بعض المنافقين، وأنزل الله تعـالى: ﴿وَإِذْ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَـرَضٌ مَـا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُـولُهُ إِلَّا غُـرُورًا﴾، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسـلم والمسـلمون وعـدوهم يحاصـرهم، ولم يكن بينهم قتـال، إلا مرامـاة بالنبـل، لكن كـان عمرو بن ودّ العامري اقتحم هـو ونفـر معـه خيـولهم من ناحيـة ضيقة من الخندق، فبارزه على فقتله، وبرز نوفل بن عبـد اللـه بن المغيرة، فقتله الزبير، ورجعت بقية الخيول منهزمــة، ورمي سعد بن معاذ رضي الله عنـه بسـهم فقطـع منـه الأكحـل، وهـو عرق الحياة، وفي كل عضو منه شعبة، فلم يرقأ الدم.

وفي البخـاري: دعـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم على الأحـزاب فقـال: ((اللهم مـنزل الكتـاب سـريع الحسـاب اهـزم الأحزاب اللهم اهزمهم، وزلزلهم))

وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيـل: إنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم دعا، فقال: ((يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين، اكشـف همي وغمي وكربي، فإنك ترى ما نـزل بي وبأصـحابي)). فأتـاه جبريل عليه السلام فبشره أن اللـه تعـالى يرسـل عليهم ريحـاً وجنوداً، فأعلم أصحابه، ورفع يديه قائلاً: شكراً، شكراً.

وهبت ريح الصـــبا ليلاً، فقلعت الأوتـــاد وألقت عليهم الأبنيـــة، وكفأت عليهم القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصباء، وســمعوا في أرجــاء معســكرهم التكبــير، وقعقعــة الســلاح، فـارتحلوا هُرّابـاً في ليلتهم، وتركـوا مـا اسـتثقلوه من متـاعهم، قــال: فــذلك قولــه تعــالى: ﴿فَأَرْسَــلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًــا وَجُنُــودًا﴾ وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الأربعـاء، لسبع خَلَـونَ من ذي القعـدة، وكـان قـد أقـام بالخنـدق خمسـة عشر يوماً.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لن تغـزوكم قـريش بعـد عـامكم هذا)). وفي ذلك علم من أعلام النبوة صلى اللـه عليـه وسـلم، فإنه صلى الله عليه وسلم اعتمر في السـنة السادسـة فصـدته قريش من البيت، ووقعت الهدنة بينهم الى أن نقضـوها، فكـان ذلـك سـبب فتح مكـة، فوقـع الأمـر كمـا قـال صـلى اللـه عليـه وسلم.

غزوة بني قريظة

وهم اليهود الـذين كـانوا عاهـدوا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ولكنهم قد نقضوا العهد وانضـموا الى الأحـزاب كمـا مـر سابقا في غزوة الخندق. وفي المواهب اللدنية: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريـل فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه،

اخرج إليهم، وأشار إلى بني قريظة فإني عائد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسوله الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وبعث منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي، وبعث علياً رضي الله عنه على المقدمة، ثم سار في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرساً، وحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسيد أن يؤمنوا، فقال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خلالاً ثلاثة، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وماهي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله إنه لقد تبين إنه لنبي مرسل، وإنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم، وأموالكم، وأبنائكم، ونسائكم، فأبوا. فأشار عليهم بقتل أولادهم ونسائهم، والخروج الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأبوا.

ولما اشتد الحصار بهم أذعنوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأنصار، فحكم فيهم: بأن تقتل رجالهم، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: ((حكمت اليوم فيهم بحكم الذي حكم به من فوق سبع سموات)). وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة.

وأمر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس وقسم الباقي بين المسلمين، وانفجر جرح سعد بن معاذ، فمات شهيداً رضي الله تعالى عنه وعن أبي سعيد الخدري: كنت ممن حفر لسعدٍ قبره، فكان تفوح علينا المسك كلما حفرنا!

سرية محمد بن مسلمة

الى القرطاء بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بالبكرات وبينها وبين المدينة سبع ليال بعثه صلى الله عليه وسلم في ثلاثين راكباً

فلما أغار عليهم قتل نفراً منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعما رشاءً، وقدم المدينة ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً، فربط بأمره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري المسجد، ثم أطلق سراحه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم – فاغتسل. وأسلم، قال: يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد اصبح وجهك اصبح الوجوه إلي.

غزوة بني لحيان

في ربيع الأول سنة ست من الهجرة، قالوا وَجَد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديداً، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل، ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى حيث كان مُصاب أصحابه أهل الرجيع، فترحم عليهم، ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، ثم خرج حتى أتى عسفان، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فتذعرهم، فأتوا (كراع) ثم رجعوا، ولم يلقوا أحداً، وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وهو يقول: آيبون. تائبون، عابدون لربنا حامدون، لربنا حامدون.

وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

غزوة الغابة

وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحةً وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عليهم عيينة بن الحصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخبر نادى: يا خيل الله اركبي، وركب النبي صلى الله عليه وسلم في خمسمائة، وعقد لمقداد بن عمر لواءً في رمحِهِ، وقال: امض حتى تلحقك

الخيول، وأنا على أثرك، فأدرك أخريات العدو، وقتل أبــو قتــادة فارســاً وعكاشــة، وأدرك ســلمة بن الأكــوع القــوم وهــو على رجليــه، ولحــق رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وســلم عشــاءً، واستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بمـا بقي وهي عشـر، وقـد رجع وغاب خمس ليال.

سرية عكاشة بن المحصن الأسدي

الى غمر مرزوق، وهي ماء لبني أسد في أربعين رجلاً، فنذر بـه القوم، فهربـوا، فاسـتاق مـائتي بعـير، وقـدم على رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا.

سرية محمد بن مسلمة

الى بـني ثعلبـة، ومعـه عشـرة، فـورد عليهم ليلاً، فأحـدق بهم القـوم، وهم مائـة رجـل، فـتراموا سـاعة من الليـل، ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح، فقتلوهم إلا محمـد بن مسـلمة، فوقـع جريحاً واحتمل إلى المدينة، فبعث رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أبـا عبيـدة بن الجـراح الى مصـارعهم، في أربعين رجلاً فهربـوا فاسـتاق نعمـاً من نعمهم، ورثـاً من متـاعهم، فقـدم بـه المدينة، فخمسه صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم.

سرية زيد بن حارثة

الى بـني سـليم، فأصـابوا امـرأة من مزينـة، يقـال لهـا حليمـة، فدلتهم على محلة من محالهم، فساقوا نعماً وشاة[45] وأسـرى، وكان فيهم زوج حليمة، فلما قفل زيد بمـا أصـاب وهب رسـول الله صلى الله عليه وسلم لحليمة نفسها وزوجها.

سرية زيد ايضا

في سبعين راكباً، يعـترض عـيراً لقـريش قـد أقبلت من الشـام فأخذوها وما فيها.

---

[45] في المخطوط وشاءً

سرية زيد ايضا

ثم في خمسمائة رجل الى جذام، لأنهم قطعوا الطريق على دحيَة الكلبي، فأغاروا عليهم من الصبح، فقتل فيهم. فأوجعوا، وأخذوا من النعم ألف شاة ومائة من النساء والصبيان، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه، وأسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه الى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين أولادهم، ففعل.

سرية زيد ايضا

الى وادي القُرى، فقتل من المسلمين قتلى، وحمل زيد من المعركة جريحاً.

سرية عبد الرحمن بن عوف

الى دومة الجندل مدينة في الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة سنة ست، قالوا: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه وقال: ((اغز باسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر، ولا تقتل وليدا))، وبعثه الى كَلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم، فسار عبد الرحمن حتى دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رئيسهم فأسلم، وأسلم معه ناس كثيرون من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن (تمَاضُرَ) بنت الأصبغ، وقدم بها المدينة، فولدت له أبا سلمة.

سرية علي ابن ابي طالب

ومعه مائة رجل الى بني سعد ابن بكر، لما بلغه صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يُمدّوا يهود خيبر، فأغاروا عليهم، فأخـذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد.

سرية زيد بن حارثة

الى أم قرفـة الفزاريـة، وسـببها أن: زيـداً خـرج في تجـارة الى الشام فلقيه ناس من فزارة، فضربوه، وضربوا أصحابه وأخـذوا ما كان معهم، وقدم على رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأخبره فبعثه صـلى اللـه عليـه وسـلم فصـحبهم هـو وأصـحابه، وأحـاطوا بالحاضـر، وأخـذوا أم قرفـة، وكـانت ملكـة رئيسـة، وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك ابن حذيفة بن بدر.

سرية عبدالله بن عتيك

لأبي رافع اليهودي، وكـان يـؤذي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم فخرج ومعه أربعة، فوضـعهم خـارج الحصـن، ودخـل هـو واحتال عليه وقتله، وفي انصرافه كسرت ساقه، فلما رجع الى النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: فحدثتـه، فقـال: أبسـط رجلـك، فمسـحها، فكأنهـا لم أشـتكها قـط، وعـادت أحسـن مـا كانت.

سرية عبدالله بن رواحة

الى اسير بن رزام اليهودي بخيبر، الذي أمرته اليهود عليهـا بعـد قتل أبي رافع، فسار في غطفان وغيرهم بجميعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك، فوجه إليه عبـد اللـه بن رواحـة في ثلاثين رجلاً، فضـربه، عبـد اللـه بن أنيس: ومـالوا على أصـحابه وهم ثلاثـون رجلاً من اليهـود، فقتلـوهم غـير رجـل واحـد، ولم يصب من المسلمين أحد.

سرية كرز بن جابر الفهري

الى العرنيين. في البخاري عن أنس أن أناساً من عُكلٍ وعُرينة، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا إليه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها. فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسملوا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالتهم.

قال أنس: إنما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء، فيكون ما فعل بهم قصاصا، وعن سلمة بن الأكوع: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في آثارهم خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري.

سرية عمرو بن أمية الضمري

الى أبي سفيان بن حرب بمكة، لأنه أرسل إلى النبي من يقتله غدراً، فأقبل الرجل، ومعه خنجر ليغتاله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا ليريد غدراً، فجذبه أسيد بن حصير بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر فقال صلى الله عليه وسلم: أصدقني ما أنت؟؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم. فأخبره بخبره فخلى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه سلمة بن أسلم الى أبي سفيان، وقال: إن أصبتما منه غرةً فاقتلاه.

ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية ابن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، فحشد له أهل مكة، وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي،

فقتله، وقتـل آخـر، ولقي رسـولين لقـريش بعثهمـا يتجسسـان الخبر، فقتل أحدهما فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، وهـو صـلى اللـه عليـه وسـلم يضحك.

أمر الحديبية

وهي قرية على تسعة أميـال من مكـة. خـرج صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم الأثـنين هلال ذي القعـدة سـنة سـت من الهجـرة للعمرة وخرجت معه زوجتـه أم سـلمة، في ألـف وأربعمائـة بلا سلاح، إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب، واسـتخلف على المدينـة ابن أم مكتـوم، فلمـا كـان بـذي الحليفـة، قلـد الهَـدْيَ وأشعر وأحرم منهـا بعمـرة، وبعث عينـاً لـه من خزاعـة، وسـار حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينـه فقـال: إن قريشـاً جمعـوا لـك جموعـاً، وهم مقـاتلوك، وصـادوك عن الـبيت، ومـا نعـوك، فقال: أشـيروا علي أيهـا النـاس، أتـرون أن أميـل الى عيـالهم، وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصـدونا عن الـبيت؟ فقـال أبـو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتـل أحـد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا قاتلناه، قـال: امضـوا على اسم الله. قال أبو هريرة رضـي اللـه عنـه: مـا رأيت أحـداً قـط أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، وسار رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم حـتى إذا كـان بالثنيـة التي يهبط منها عليهم، بـركت ناقتـه، فقـال النـاس: حـل حـل، فألحت، يعني تمادت على عدم القيام، فقـالوا: خلأت القصـواء، فقال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم: مـا خلأت، وليس ذلـك من عادتها، وإنما حبسها حابس الفيـل. أي أحبسـها اللـه تعـالى عن دخـول مكـة، كمـا حبس الفيـل عن دخولهـا؛ لأن الصـحابة لـو دخلوها صدتهم قريش، فوقع بينهم القتال، وسفك الـدماء، لكن سبق في علم الله تعالى أنـه سـيدخل في الإسـلام منهم خلـق كثير، وستخرج من أصلابهم ذرية ناس يسلمون ويجاهدون.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: والـذي نفسـي بيـده لا يسـألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها.

ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبيـة، على ثمد أي قليل من الماء فنزحوه، وشكي إلى رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم العطش، فـانتزع سـهماً من كنانتـه، ثم أمـرهم أن يجعلوه فيه. قال راوي الحديث: فوالله مازال يجيش بالمـاء حـتى صـدروا عنـه، فبينمـا هم كـذلك، إذ جـاء بـديل بن ورقـاء الفزاري في نفر من قومه، وكانوا عبية نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لـؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية، وهم مقـاتلوك، وصـادوك عن الـبيت، فقال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: إنـا لم نجيء لقتـال أحـد، ولكنـا جئنـا معتمـرين، وإن قريشـاً قـد نهكتهم الحـرب وأضرت بهم، فان شاؤا مادتهم مدة ويخلوا بيني وبين النـاس، فإن أظهر، وان شاؤا أن يدخلوا فيما دخـل فيـه النـاس فعلـوا، وإلا فقد جمّوا يعني استراحوا وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمـري هـذا حـتى تنفـرد سـالفتي، ولينفـذن اللـه أمره، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول: فانطلق حتى أتى قريشاً، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليـه وسـلم، فقـال عـروة بن مسعود: قـد عـرض عليكم خطـة رشـدٍ، اقبلوهـا ودعـوني آتـه، فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم نحـوا من قولـه لبـديل. وجعـل عـروة يرمـق أصحاب النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بعينـه، فقـال: واللـه إذا أمرهم امراً ابتدروا أمره، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، فرجع عروة الى أصحابه، فقال: أي قومي، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على كسرى، وقيصـر، والنجاشـي، واللـه إني ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصـحاب محمـدٍ محمداً، واللـه إذا أمـرهم امـراً ابتـدروا أمـره، وإذا توضـأ كـادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده،

وما يُحِدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قـد عـرض عليكم خطـة رشد فاقبلوها، ثم دعت قريش سهيل بن عمـرو، فقـالوا اذهب الى هـذا الرجـل فصـالحه، فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: قـد أرادت قـريش الصـلح حين بعثت هـذا، فلمـا انتهى الى النـبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضـع الحـرب بينهم عشـر سـنين، وأن يـأمن بعضـهم بعضـاً، وأن يرجـع عنهم عـامهم هـذا، وعلى أنـه لا يأتيـه منهم رجل، وإن كان على دينـه، إلا رده إليهم، وكتب في ذلـك كتابـاً، وبعث صلى الله عليه وسلم بالكتاب إليهم مع عثمان رضي الله عنه وأمسك سهيل بن عمرو عنده، فأمسك المشركون عثمان، فغضب المسلمون، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتـل، فـدعا النـاس الى بيعـة الرضـوان تحت الشـجرة على الموت، وقيل على أن لا يفروا، ووضع صـلى اللـه عليـه وسـلم شماله في يمينه، وقال: هذه عن عثمان. ولما سمع بهذه البيعة المشركون خافوا، وبعثوا عثمان، وجماعـة من المسـلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَـكَ إِنَّمَـا يُبَـايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقولـه تعـالى: ﴿لَقَـدْ رَضِـيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية.

وحلق الناس مع النبي، ونحروا هداياهم بالحديبية، وأقـام صـلى اللـه عليـه وسـلم بالحديبيـة بضـعة عشـر يومـاً، ثم قفـل وفي نفوس بعضهم شيء، فـأنزل اللـه تعـالى سـورة الفتح يسـليهم بها، ويذكرهم نعمهُ، فقـال تعـالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَـا لَـكَ فَتْحًـا مُبِينًا﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه وأنس، والـبراء بن عـازب: الفتح هنا فتح الحديبية، ووقوع الصلح، ثم رجع رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم.

غزوة خيبر

هي مدينـة كبـيرة ذات حصـون ومـزارع، على ثمانيـة بُـرُدٍ من المدينة، الى جهة الشام، قال ابن اسحاق: خرج صلى الله عليه وسلم في بقية لمحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضـع عشـرة ليلة، الى أن فتحها، وكان معه

عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري: من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتي خيبراً ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح، فلما أصبح، خرجت اليهود الى أعمالهم بمساحيهم، ومكاتلهم، فلما رأوه صلى الله عليه وسلم قالوا: محمد، والله محمد والخميس، أي الجيش، فقال صلى الله عليه وسلم ((خربت خيبر، فإنا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين)).

وفي رواية فرفع يديه وقال: الله أكبر، خربت خيبر. وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايات.

وفي البخاري: وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا، فلحق، قال راويه: فلما بتنا الليلة التي فتحت، قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله، كلهم يرجون أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلك، أي هينتك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقوق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمرُ النعم، وقاتل صلى الله عليه وسلم أهل خيبر، وقاتلوه أشد قتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله تعالى عليه حصناً حصناً، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار أي جلده وكانوا قد غيبوه في خربة، ودل الله تعالى رسوله عليه، فاستخرجه.

وتزوج صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع، وكانت عروساً، فذكر له جمالها، فاصطفاها لنفسه الكريمة، بعد أن اعتقها فصارت من أمهات المؤمنين، وكانت قد رأت في الرؤيا أن القمر قد سقط في حجرها، فتؤل بذلك. وعن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة ساق سلمة، فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر.

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة، وفي هذه الغزوة سممت اليهودية زينب بنت الحارث شاة مصلية أي مشوية أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم، وأرسل الى اليهودية فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ فقال: أخبرتني هذه في يدي (للذراع)، فقالت: نعم، قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها صلى الله عليه وسلم، ولم يعاقبها، وتوفي أصحابه الذين أكلوا منها، وفيهم بشر بن البراء، فدفع صلى الله عليه وسلم اليهودية إلى أوليائه، فقتلوها به قصاصاً، واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله. وفي هذه الغزوة أمر صلى الله عليه وسلم بإعلان حرمة نكاح المتعة.

ومما يجب على المسلم أن يكون على بصيرة في دينه اعتقاداً وعملاً، ويعلم أن الإسلام رحمة من الله للعباد، لابعادهم عن الفساد، وتقريبهم الى الرشاد، وذلك بأن يتوجهوا الى رب العالمين بتوحيد خالص، ويأخذوا عقائدهم من الرسول المؤيد من رب العالمين بالمعجزات. ويلتزموا أحكام دينه، ويجتنبوا عن كل عقيدة وعمل يخالفان العقول السليمة التي مقتضاها صيانة الأنفس، والأعراض، والأموال، والعقول، ولذلك حرم الله في جميع الشرائع القتل، والتعدي على الأموال، والأعراض، وحرم المسكرات، فإن كل ذلك مخالف

للعقل السليم، وأما الذين ابتعدوا عن الشـرايع، واتبعـوا الهـوى والشـهوات، فقـد باشـروا بحسـب إمكـانهم كـل مـا يـدعو إليـه الهـوى، وقـد كـانت الأمـة الجاهليـة مباشـرة للمفاسـد الـتي لا تحصـى وكـانوا يقتلـون الأبريـاء، وينهبـون الأمـوال، ويهتكـون الأعراض، ويتزوجون محارمهم، وزوجات الآباء والأبناء، ويزنون، ويفسـقون، ويطلقـون زوجـاتهم ويرجعـونهن بلا حصـر... ولمـا انتصر الإسلام منـع الفسـاد، ورغب في الرشـاد، وجعـل العقـل منوراً بالتزام الحق، ومنع الإشراك بالله، والتعرض للمحرمـات، وجعل لكل شيء قدراً، ولكل مدّ حـداً، وقـرر العـدل والاعتـدال أساسـاً للإسـلام، ولمـا كـان قـد انتشـر في الجاهليـة الزنـا، والفسـوق، وطغى الطبـع، جـاء الإسـلام قـرر النكـاح المسـتمر أساسًـا لبنـاء العوائـل السـليمة، ومنـع ماعـدا مباشـرة الأزواج محرماً قطعاً: ﴿إلا مـا ملكت أيمـانكم﴾. وأنـزل اللـه تعـالى في تعداد المؤمنين قوله الكريم:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُـرُوجِهِمْ حَـافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَـإِنَّهُمْ غَيْـرُ مَلُـومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، أي المتجـاوزون عن حـدود الـدين. وكـان إنـزال الآيـة في مكـة المكرمـة مـرتين تأكيـدا وتأسيسـا لحكم الزواج المشروع. ولكن لم يكن للرسول صلى الله عليه وسـلم غلبة في مكة، وبقيت الأمـور على مـا كـانت عليـه الى مـا بعـد الهجرة، وهناك جاء دور التطبيق لما أنزل سابقا، والتأسيس لما ورد بعدها، فحرم المتعة إلا في وقت محدود واضـطرار شـديد، فإنه أعلن منعها في غزوة خيبر، وأباحها[46] في غزوة أوطـاس، ثم حرمها قطعاً مؤبداً بعد انتهاء الغزوة، وأكد تحريمها في حجة الوداع على جمهرة النـاس، وفيهم كبـار الأصـحاب من الخلفـاء الراشدين، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

أما النهي عنها في غزوة خيبر، فلما رواه البخـاري في صـحيحه بقولـه: حـدثنا مالـك بن اسـماعيل، حـدثنا ابن عيينـة أنـه سـمع الزهري يقول: أخبرني الحسن بن محمـد بن علي، وأخـوه عبـد الله عن أبيهما أن علياً رضي الله

[46] في المخطوط واباحها للاضطرار.

عنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية في خيبر.

وأما إباحتها ثم حرمتها في عام الفتح عـام اوطـاس، فلمـا رواه مسلم عن اياس بن سلمة عن أبيه قال: رخص لنا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثاً أي ثلاثة أيام ثم نهى عنها. وأما إباحتها في أماكن أخـرى فقـد ردهـا الحافـظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونقـل فيـه عن النـووي مـا نصه: الصواب أن تحريمها وإباحتها وقعا مـرتين، وكـانت مباحـة قبل خيبر، ثم حرمت فيها، ثم أبيحت عام الفتح عام أوطاس ثم حرمت تحريماً مؤبداً. انتهى.

وهذا الترخيص الذي صدر عن الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم كان ترخيصاً مقيداً، بالغربة والاضطرار، ومبنياً على الابتعـاد عن الفتنة، فشرع للغزاة الغربـاء ذلـك النكـاح المـؤقت في مقابلـة عوض معلوم يتوافق الطرفان عليه، ولمـا اسـتقر أمـر الإسـلام والمسلمين حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبـد، فكان التشريع بالسـنة النبويـة والتحـريم أيضـا بالسـنة النبويـة. ووقع عليهما الإجماع ولم يخالف في ذلـك أحـد. ومـا يقـال من مخالفة ابن عباس رضي الله عنهمـا كـان في أول الأمـر، ولمـا ثبت عنده تحريمها بقول الامام علي رضي الله عنه عنـه تنـدم، وهذا هو راجح النقل، وما يقال من أن عمر بن الخطـاب رضـي الله عنه نهي عنه من جانب نفسه فغلط فاحش.

والدليل عليه ما ذكره صـاحب فتح البـاري، ونصـه: وأخـرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبـد اللـه بن عمـر رضـي الله عنهم عن أبيه قال: صـعد عمـر المنـبر فحمـد اللـه تعـالى، وأثنى عليه، ثم قال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة بعـد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها؟ انتهى.

وصيغة نهيه صلى الله عليه وسلم س عنها ما ذكره صاحب فتح الباري، ونصه: وكان تقدم في حديث ابن نمير، أنه قال صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة. انتهى.

وكان ذلك عندما كان واقفا بين الركن والمقام من الكعبة الشريفة عام الفتح بعد غزوة أوطاس، وما روي من أنه كان ذلك في حجة الوداع فعلى تقدير ثبوته كان تأكيداً للنهي السابق عام الفتح، وغزوة أوطاس بمناسبة كثرة الناس في موسم الحج، حتى ينتشر التحريم ويشتهر، وأما ما يروى من أن كثيراً من الناس كانوا يستبيحون المتعة فلعلهم لم يبلغهم نهيه صلى الله عليه وسلم وإلا لما أقدموا عليها.

واستدلال المخالف على حل المتعة بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ موكداً له بقراءة بعضهم (الى أجل مسمى).. لا يفيد حلها؛ لأن معنى الاستمتاع موجود في الأنكحة كلها، فإن معناه أخذ اللذة بقضاء الشهوة، وهو محقق فيها مطلقا مؤقتة أم لا، والأجور بمعنى المهور، لأنها بدل الإبضاع كما جاءت بمعناها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مع العلم أن النساء المتمتع بهن لم يسمين أزواجا لا في ذلك الزمان، ولا الآن.

وأما قراءة (الى أجل مسمى) فلا تأثير لها في الموضوع، لأنها من القراءات الشاذة الخارجة عن القراءات السبع، ولا تبنى عليها الأحكام قطعاً، ولو سلمنا اعتبارها فهي محمولة على تحديد آجال المهور المؤجلة.

ولا يخفى على من له علم بالكتاب أن تلك الآية الكريمـة نـزلت لبيان الزوجات اللاتي يتزوجن، ويؤسسن مـع أزواجهن العوائـل السعيدة بـالأنس والألفـة والتفـاهم والـدوام بـالاخلاق الحسـنة، لأنهـا نـزلت بعـد بيـان النسـاء المحرمـات بالنسـب والرضـاع والمصـاهرة والجمـع، والحرائـر الـتي[47] تحت عصـمة زواجهن. هذا.

(غريبة): يجري على ألسنة بعض الناس أنه: تأسف على حرمـة نكاح المتعة، وقال: لو لم تحرم المتعة مـا وقـع أحـد في الزنـا، وغفـــل عن أن المتعـــة والزنـــا كانـــا حين ذاك متســـاويين في المغزى، إذ لا يوجد زنا إلا بميل الزاني والزانية، وإرادتهما سواء اتفقـــا على بـــذل المـــال، أو لا، وحين ذلـــك لم يبـــق مـــانع من مجامعة أي رجل مع أية امـرأة، إلا في مـواد شـاذة من العمـل بالإكراه.

غزوة وادي القرى

في جمادي الآخرة بعدما أقام لها صلى اللـه عليـه وسـلم أربعـا يحاصرهم وصالحه اهل تيماء على الجزية.

سرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

الى تربة سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن بالنهار، فأتى الخبر الى هـوازن، فهربـوا، وجـاء عمـر بن الخطـاب الى محـالهم، فلم يلـق منهم أحداً، وانصرف راجعاً الى المدينة.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

الى فزارة ناحية ضرية في شعبان سـنة سـبع، فسـبي جماعـة، وقتل آخرين.

[47] في المخطوط اللاتي.

سرية بشير بن سعد الانصاري

الى بني مرة بفدك، في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فقتلوا. وقاتل بشير حتى ارتث، وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم بعده بشير بن سعد.

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد، في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين راجلاً، فهجموا عليهم في وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاءً الى المدينة.

قالوا: وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس، بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا شققت قلبه فتعلم أصادق أم كاذب؟)) فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله. وفي البخاري عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناهم، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا ـ بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟)) قلت: كان متعّوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم!

سرية بشير بن سعد الانصاري أيضاً

الى يمن وجبار وهي أرض لغطفان في شوال سنة سبع من الهجرة، وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة رجل، لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فساروا الليل، وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير، هربوا، وأصاب لهم نعماً كثيرة، فغنمها، وأسر رجلين، وقدم بهما إلى المدينة، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما.

عمرة القضاء

قال الحاكم في الإكليل: تواترت الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر، ورجال ماتوا، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رَهم الغفاري، وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة.

وحمل السلاح، والبيض، والدروع، والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد، وأحرم صلى الله عليه وسلم، ولبّى والمسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مَرّ الظهران، فوجد نفراً من قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً، إن شاء الله تعالى. فأتوا قريشاً، فأخبروهم، ففزعوا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرّ الظهران، وقدم السلاح الى بطن ياجج موضع بقرب مكة، وخلف عليه أوس بن خولي الأنصاري، في مائتي رجل، وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهَديَ، فحبس بذي طوى؛ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء، والمسلمون يتوشحون السيوف محدِقون رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبّون، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله

ضربة يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعراً؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((خلِّ عنه يا عمر، فلهيَ أسرع فيهم من نضحِ النبل)). ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي، استلم الركن بمحجته مضطبعا بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطبعوا بثيابهم والاضطباع أن يدخل الرداء تحت إبطه الأيمن، ويردَّ طرفه على يساره، ويبدي منكبه الأيمن، ويغطي الأيسر.

وفي البخاري: قال المشركون: إنه قدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين. وفي رواية قال: أرملوا، ليُرِيَ المشركين قوتهم، ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة، قال: هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة، وحلق هناك. وكذلك فعل المسلمون. وأمر صلى الله عليه وسلم ناساً منهم أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الأخرون ويقضون نسكهم، ففعلوا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً، فلما مضى الأجل أتى المشركون علياً رضي الله عنه فقالوا: قل لصاحبك اخرج فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم.

سرية ابن أبي العوجاء السلمي

الى بني سليم في ذي الحجة، سنة سبع في خمسين رجلا، فأحدق بهم الكفار من كل ناحية، وقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سرية غالب بن عبدالله الليثي

الى بني الملوح بالكديد، في صفر سنة ثمان، فغنم.

وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليـد، وعثمـان ابن أبي طلحـة، وعمرو بن العاص المدينة فأسلموا.

ثم سرية غالب أيضا إلى مصاب أصحاب بشير بن سـعد بفـدك، سنة ثمان، ومعه مائتا رجل، فاغـاروا عليهم مـع الصـبح وقتلـوا منهم قتلى، وأصابوا نعماً.

سرية شجاع بن وهب الاسدي

الى بـني عـامر في شـهر ربيـع الاول سـنة ثمـان، ومعـه أربعـة وعشـرون رجلا، الى جمـع من هـوازن، وأمـره أن يغـير عليهم، فكان يسير الليـل ويكمن النهـار حـتى صـبحهم، فأصـابوا نعمـة وشاءً واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة.

سرية كعب بن عمير الغفاري

الى ذات أطلاع، فوجدوا جمعاً كثيراً، فقاتلهم أشد مقاتلـة حـتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، قيل هو الأمير، فلمـا برد الليل تحامل حتى أتى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، فأخبره، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم سـاروا إليه وضع آخر فتركهم.

سرية مؤتة

وهي من عمل البلقـاء بالشـام، كـانت في جمـادي الأولى سـنة ثمان وذلك، أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم كـان أرسـل الحـارث بن عمـير بكتـاب الى ملـك بصـرى، فلمـا نـزل مؤتـة، عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأمر رسول الله صـلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثـة آلاف، وقـال: إن قتـل فأميركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فـأميركم عبـد اللـه بن

رواحــة. فــإن قتــل، فليرتضــى المســلمون برجــل من بينهم يجعلونه عليهم، وعقد لهم صـلى اللـه عليـه وسـلم لـواءً أبيض، ودفعه الى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يـأتوا مقتـل الحـارث بن عمــير، وأن يــدعوا من هنــاك إلى الإســلام، فــإن أجــابوا وإلا استعينوا عليهم بالله، وقاتلوهم، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع. ولما سـاروا نـادى المسـلمون: دفـع اللـه عنكم، وردكم صالحين غانمين، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائـع أمامـه، وقـد نـزل المسـلمون معـان موضـع من أرض الشام وبلغ الناس كثرة العدو، وتجمعهم، وأن هرقل نــزل بـأرض البلقـاء في مائـة الـف من المشـركين، فأقـاموا ليلـتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم فنخبره الخبر، فشـجعهم عبـد اللـه بن رواحـة على المضي، فمضوا إلى مؤتة، ووافاهم المشركون، فجاء منهم مــا لا قبل لأحد به من العدد، والسلاح والكراع، والـديباج، والحريـر، والذهب، والتقى المسلمون والمشركون، فقاتل الأمـراء يومئـذ على أرجلهم، فأخــذ اللــواء زيــد بن حارثــة، فقاتــل وقاتــل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخــذ اللـواء جعفـر ابن أبي طـالب، فـنزل على فـرس لـه شـقراء فعقرها، ثم تقدم فقاتل حتى قطعت يداه جميعـا، فأخـذ اللـواء بيمينـه فقطعت، ثم أخـذه بشـماله فقطعت، ثم احتضـنه، قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله أبدله بيديه جناحين يطــير بهمــا في الجنــة))، ووجــد فيمــا أقبــل من بدنــه اثنتــان وسبعون ضربة بسيف، وطعنة برمح. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، فأخذ اللواء ابن أقوم العجلاني إلى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء وقـاتلهم فقتـل منهم مقتلـة عظيمـة وأصـاب غنيمـة، ثم انحـازت كـل طائفـة، ورفعت الأرض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معـترك القـوم، (يعـني ان اللـه تعـالى كشـف أمـام قلبـه الشـريف محـل المعركـة، فعلم مـا فيـه من الحـوادث) وذكـر موسـى ابن عقبـة في المغـازي: أن يَعلى ابن أميـة قـدم بخـبر أهل مؤتة، <150>

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرتك! قال: أخبرني، فأخبره خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره!

سرية عمرو بن العاص

الى ذات السلاسل، وهي من المدينة على عشرة أميال، وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان، وسببها: أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا للإغارة، فبعث عمراً، وعقد له لواء أبيض: وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، فسار في الليل، وكمن النهار، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه مائتين. من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعا، ولا يختلفان، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مدداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وصل الى العدو بليٍ وعُذرةَ، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا بالبلاد وتفرقوا.

سرية ابو عبيدة بن الجراح

وسماها البخاري (غزوة سيف البحر)، وكانت في رجب سنة ثمان، الى حي من جهينة بالقبلية، مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليال.

روى البخاري وغيره عن جابر قال: خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل تمرة تمرة، وابتاع قيس بن سعد جزوراً، ونحرها لهم، وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر، فأكلوا منها، وتزودوا، ورجعوا ولم يلقوا كيدا. زاد في رواية فلما قدمنا

المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا له ذلــك، فقال: هو رزق أخرجـه اللـه لكم، فهـل معكم شـيء من لحمـه فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل.

سرية أبي قتادة الانصاري

الى خضـرة، وهي أرض محـارب قبيلـة بنجـد في شـعبان سـنة ثمان، وبعث معه صلى الله عليه وسلم خمسـة عشـر رجلاً إلى غطفان، فقتل من أشـرف منهم، وسـبي سـبيا كثـيراً، واسـتاق النعم، فكانت الإبل مائتي بعير؛ والغنم ألفي شاة، وكانت غيبتـه خمس عشرة ليلة.

سرية ابي قتادة الانصاري (ايضا)

الى بطن اضــم على ثلاثــة بــرد من المدينــة، في أول شــهر رمضان سنة ثمان، وذلك أنه صلى الله عليه وسـلم لمـا هم أن يغزو أهل مكة، بعثه ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلــك الناحيــة، ولأن تــذهب تلــك الأخبــار فلقــوا عــامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحيـة الإسـلام، فقتلـه محلم بن جثامـة، فأنزل الله تعـالى: ﴿وَلَا تَقُولُـوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّـلَامَ لَسْـتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية. فجاء محلم بن جثامة في بردين، فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسـلم ليسـتغفر لـه. فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: لا غفـر اللـه لـك. فقـام وهـو يتلقي دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات، فلفظته الأرض، ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه، عمدوا الى صُدين أي جبلين ثم وضـعوا عليـه الحجـارة حـتى واروه. فـذكروا ذلـك لرسول الله صلى الله عليه وسـلم فقـال: إن الأرض تقبـل من هو شرٌّ من صاحبكم، ولكن يريد الله أن يعظكم.

فتح مكة المكرمة

زادها الله شـرفاً، وكرمـاً، وهـو الفتح الأعظم الـذي جعلـه اللـه هـدىً للعـالمين، وهـو الفتح الـذي أعـز اللـه بـه دين الإسـلام ورسوله وجنده وحرمه

الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الـذي جعلـه، هـدى للعـالمين من أيدي الكفار والمشركين. خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسـلام، وجنـود الـرحمن لنقض قـريش العهـد الـذي وقـع بالحديبية، وقدم أبو سفيان بن حرب المدينـة على رسـول اللـه صلي الله عليه وسلم يسأله أن يجـدد العهـد، ويزيـد في المـدة فأبى عليه، فانصرف راجعاً الى مكة، فتجهز رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم من غـير إعلام أحـد، فكتب حـاطب ابن أبي بلتعة، وأرسله الى مكـة يخـبرهم بـذلك، فـأطلع اللـه نبيـه على ذلـك، فقـال عليـه الصـلاة والسـلام لعلي والزبـير والمقـداد: انطلقوا حتى تـأتوا روضـة خـاخ، فـإن بهـا ظعينـة معهـا كتـاب، فخذوه منها.

قـال وانطلقنـا حـتى أتينـا الروضـة، فـإذا نحن بالظعينـة، قلنـا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتـاب. قلنـا لتخـرجنَّ الكتـاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صـلى الله عليه وسلم فإذا به[48] من حاطب ابن أبي بلتعـة إلى نـاس من المشـركين بمكـة، يخـبرهم بـأمور النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم فقال: يا حاطب ما هـذا؟ قـال: يـا رسـول اللـه لا تعجـل علي، إني كنت امرأ مُلصقاً في قـريش أي حليفـا، ولم اكن من أنفسِـها، وكـان من معـك من المهـاجرين لهم قرابـات يحمـون أهليهم، وأموالهم، فأحببت إذ فـاتني ذلـك أن اتخـذ عنـدهم يـدا يحمون قرابتي، ولم أفعلـه ارتـدادا عن ديـني ولا رضـيٌّ بـالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صَدَقكم. فقال عمـر: يـا رسـول اللـه دعـني أضـرب عنـق هـذا المنافق. فقال: إنه، شهد بدراً، وما يدريك؟ لعل الله اطلع على من شهد بدراً. فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم، فأنزل. سبحانة وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

رواه البخـاري. وحكى السـهيلي أن لفـظ الكتـاب الـذي كتبـه حاطب: أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله – صلى

[48] في المخطوط فإذا فيه.

الله عليه وسلم جاء كم بجيش عظيم يسيل كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم والسلام.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب (اسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم) فجلبهم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم، وخرج يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رمضان، وقيل لعشر، وقيل لأكثر، بعد العصر سنة ثمان من الهجرة، وكان المسلمون عشرة آلاف، وقيل اثنا عشر ألفا، وكان العباس قد خرج بأهله وعياله، مسلما مهاجرا، فلقي رسول الله بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ. وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه عليه الصلاة والسلام وأخوه من الرضاعة من حليمة السعدية، ومعه ولده جعفر، وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه، وكان لقاؤهما له عليه الصلاة والسلام بالأبواء، وأسلما قبل دخول مكة. ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل، ثم نزل مرّ الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشة مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وقالوا: إن لقيت محمداً، فخذ لنا منه أماناً، فخرج أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مرّ الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين. فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم جهينة قال مثل ذلك وحتى <154>

أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هـذه؟ قـال: هـؤلاء الأنصـار
عليهم سعد بن عبادة، معه الرايـة، فقـال سـعد: يـا أبـا سـفيان
اليوم يوم الملحمة اليـوم تسـتحل الكعبـة، وفي روايـة نسـتحل
الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسـول اللـه مـا
آمن أن يكون لسعد في قريش، فقال: لعلي ادركه، فخذ الراية
منه، فكن أنت تدخل بها، وروي أن أبا سفيان قال: للنبي صـلى
الله عليه وسلم لما حاذاه أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له
ما قال سـعد بن عبـادة، ثم ناشـده اللـه والـرحم، فقـال يـا أبـا
سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يُعِزُ الله قريشاً، وأرسل الى
سعد فأخذ الراية منه فـدفعها إلى ابنـه قيس، قـال موسـى بن
عقبـة: بعث رسـول اللـه الزبـير بن العـوام على المهـاجرين
وخيلهم، وأمره أن يدخل من كداء بأعلى مكة، وأمـره أن يغـرز
رايته بالحجون، ولا يبرح حـتى يأتيـه، وبعث خالـد بن الوليـد في
قبائل قضاعة، وسليم وغيرهم، وأمره أن يدخل من أسفل مكة
يغرز رايته عنـد أدنى الـبيوت، وبعث سـعد بن عبـادة في كتيبـة
الأنصـار، في مقدمـة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم
وأمرهم أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، واندفع خالد
بن الوليد حتى دخل من أسفل مكـة، وقـد تجمـع بهـا بنـو بكـر،
وبنو الحارث بن عبد منـاف، ونـاس من هـذيل، ومن الأحـابيش
الذين انتصرت بهم قـريش، فقـاتلوا خالـداً، فقـاتلهم فـانهزموا،
وقتل من بني بكر نحـوا من عشـرين رجلاً، ومن هـذيل ثلاثـة او
اربعة، حتى انتهى بهم القتـل الى الجـزورة، الى بـاب المسـجد
حتى دخلو الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبـو
سفيان: من أغلق بابه وكف يـده فهـو آمن. ونظـر رسـول اللـه
إلى البارقة، فقال: ماهـذه، وقـد نهيت عن القتـال؟ فقـالوا: إن
خالداً قوتل وبدأ بالقتال، فلم يكن له بـد من أن يقـاتلهم، وقـال
رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بعـد أن اطمـأن لخالـد: لمَ
قاتلت، وقد نهيتـك عن القتـال؟ فقـال: هم بـدأوا بالقتـال، وقـد
كففت يدي ما استطعت. فقال: قضاء الله خير، وقـال العبـاس
بعد أن أسلم أبو سـفيان وشـهد شـهادة الحـق: إن أبـا سـفيان
رجل يحب الفخر فاجعل له <155>

شيئا، فقال: نعم. وأمر صلى الله عليـه وسـلم فنـادى مناديـه: من دخل المسجد فهو آمن إلا المسـتثنين، وهم على مـا جمعـه الواقدي عن شيوخه عشرة رجال، وأربع نسوة. وفي المــواهب اللدنية: (1) عبـد اللـه بن سـعد بن أبي سـرح، أسـلم (٢) وابن خطـل قتلـه أبـو بـرزة، وقينتـاه وهمـا (3) فرتنـا (4) وقُرَيبَـة أسـلمت إحـداهما، وقتلت الأخـرى، (5) وعكرمـة بن أبي جهـل أسـلم. (6) والحـويرث بن نقيـد فقتلـه علي، (٧) ومقيس بن صبابة قتله غيلة الليثي، (٨) وهبار بن أسـود، أسـلم، (٩) وكعب بن زهير، أسلم، (١٠) هنـد بنت عتبـة، أسـلمت، (١١) ووحشـى بن حرب أسلم.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يــوم الفتح وعلى رأسه المِغفَـر، (وهـو زردٌ ينسـج على قـدر الـرأس مثـل القلنسوة) وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان على رأسـه عمامة سوداء. ولما كـان الغـد من يـوم الفتح، قـام صـلى اللـه عليه وسلم خطيباً في الناس فحمـد اللـه تعـالى، وأثـنى عليـه، ومجده بما هو أهله، ثم قال: ((أيهـا النـاس إن اللـه حـرم مكـة يوم خلق السموات والأرض، فهي حـرام بحرمـة اللـه الى يـوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بهـا دماً أو يعضد بها شجرة. فإن احدٌ ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهـا، فقولـوا: إن اللـه قـد أذن لرسـوله ولم يـأذن لكم، وإنمـا أحلت لي سـاعة من نهـارٍ، وقـد عـادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. فليبلغ الشاهد الغائب. ثم قـال: يـا معشـر قـريش مـا تـرون أني فاعـل فيكم؟ قـالوا: خـيراً أخ كريم، وابن أخ كـريم، قـال: اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء)) أي الـذين أطلقـوا فلم يسـترقوا، ولم يؤسـروا ولمـا فتح اللـه مكـة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلــده يقيم بها؟ وكان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم على الصـفا رافعـاً يديـه. فلمـا فـرغ من دعائـه، قـال: مـاذا قلتم؟ قـالوا: لا شيء يا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فلم يـزل بهم حـتى أخبروه، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم، والممات مماتكم.

وهمّ فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال: نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق اللهُ شيئا أحبّ إليّ منه.

وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي: إن الله سبحانه وتعالى لما أعلم رسوله بأنه قد أنجز وعده بالنصر على أعدائه، وفتح مكة، وإعلاء كلمة دينه، أمره إذا دخل مكة يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطاً مع أنها كانت مثبتة بالحديد، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء، وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة، فقال: ائتني بالمفتاح، وذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه. فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه، فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه إليه ففتح الباب ﴾ رواه مسلم.

وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الأثنين والخميس، فأقبل صلى الله عليه وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلم عني. ثم قال: يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. قلت: لقد

هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال: بل عمرت، وعزّت يومئذ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال؛ فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان ائتني بالمفتاح. فأتيت به، فأخذه مني ثم دفعه إليّ. وقال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعنها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه، قال: ألم يكن الذي قلت لك؟ قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: (ولعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت) قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله.

وفي عثمان هذا نزلت آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.

وروى مسلم: أنه دخل صلى الله عليه وسلم هو وبلال وعثمان بن طلحة الكعبة فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر: فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيتُ بلالاً فسألته هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين، وذهب عني أسأله كم صلى. وفي إحدى روايات البخاري جعل عمودًا على يساره وعموداً على يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه.

وفي كتاب مكة للأذرقي والفاكهي أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة أذرع.

فعلى هذا ينبغي لمن أراد الأتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم إن كانت ثلاثة سواءً. أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع والله اعلم.

وعن أسامة بن زيد قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صوراً فدعا بدلوٍ من ماءٍ فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها، ويقول: قاتل الله، قوماً يصورون مالا يخلقون.

رواه أبو داود. وأقام صلى الله عليه وسلم خمس عشـرة ليلـة؛ وقيل أكثر، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان.

سرية خالد بن الوليد (رضي الله عنه)

عقب فتح مكة إلى العُزى بنخلة، وكـانت لقـريش، وجميـع بـني كنانـة، وكـانت أعظم أصـنامهم لخمس ليـال بقين من رمضـان سنة ثمان، ومعه ثلاثون فارساً ليهدمها، فلما انتهوا إليها هدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم بمكـة، فـأخبره، فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قـال: فإنـك لم تهـدمها، فـارجع إليها فاهدمها. فرجع فجـرد سـيفه فخـرجت إليـه امـرأة عجـوز عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح فيهـا فضـربها خالد فجندلها باثنتين، فرجـع إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم بمكة فأخبره، فقال: نعم تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً.

سرية عمرو بن العاص

الى سـواع صـنم هـذيل، على ثلاثـة أميـال من مكـة، في شـهر رمضان، سنة ثمـان حين فتح مكـة، قـال عمـرو: فانتهينـا إليـه، وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قـال: لا تقـدر على ذلـك، قلت: لِم؟ قال: تمنع. قلت: ويحك، وهـل يسـمع، أو يبصـر؟ قـال: فـدنوت منه، فكسرته، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

سرية سعد بن زيد الأشهلي

الى مناة صنم للأوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكـة، فخـرج في عشـرين فارسـاً حـتى انتهى إليهـا. قـال السادن: ما تريـد؟ قـال: هـدم منـاة، قـال السـادن: أنت وذاك، فأقبـل سـعد يمشـي، فخـرجت امـرأة عريانـة سـوداء، ثـائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فضربها سعد

بن زيـد، فقتلهـا، وأقبـل الى الصـنم ومعـه أصـحابه، فهـدموها، وانصرف راجعاً إلى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم وكـان ذلك لست بقين من رمضان.

سرية خالد بن الوليد

الى بني جذيمة قبيلة من عبد قيس أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شـوال سـنة ثمـان، وهـو يـوم الغميصـاء، بعثـه عليـه الصلاة والسلام لما رجع من هدم العزى، وهو صـلى اللـه عليـه وسـلم مقيم بمكـة، وبعث ثلاثمائـة وخمسـين رجلاً داعيـاً إلى الإسـلام لا مقـاتلاً، فلمـا انتهى إليهم، قـال: مـا أنتم؟ قـالوا: مسـلمون قـد صـلينا، وصـدقنا بمحمـد، وبنينـا المسـاجد في سـاحاتنا. وفي البخـاري لم يحسـنوا أن يقولـوا ذلـك، فقـالوا: صبأنا، فقال لهم: استأسِروا، فاستأسروا، فأمر بعضهم فكشـف بعضا، وفرقهم في أصحابه فلما كان السحر نادى منـادي خالـد: من كان معه أسير. فليقتله، فقتل بنو سـليم من كـان بأيـديهم، وأما المهاجرون والأنصار، فأرسلوا أسراهم، فبلـغ النـبي صـلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أبرأ إليك من فعـل خالـدٍ، نقم عليهم العـدول عن لفـظ الإسـلام، ولم ينقـادوا للـدين، فقتلهم متأولاً، وأنكر عليه الصلاة والسلام العجلة، وترك التثبيت[49] في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

غزوة حنين

وهو واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال، وتسمى غـزوة هوازن وذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم لمـا فـرغ من فتح مكـة، وتمهيـدها؛ وأسـلم عامـة أهلهـا، مشـت أشـراف هـوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا، وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النضري، فخرج إليهم رسول اللـه صلى الله عليـه وسـلم من مكـة يـوم السـبت لسـت ليـال من شوال في اثني عشر ألفا من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، والفان ممن أسلم من أهل مكة، واستعمل صـلى اللـه عليه وسلم عتاب بن أسيد،

[49] في المخطوط التثبت.

فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، فجاء رجل فقال: إنني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كـذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم، بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا الى حنين، فتبسم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء اللـه، وقـال رجـل: لن تُغلب اليوم من قلة، فشـق ذلـك على رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم ثم ركب رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بغلتـه البيضاء (دُلُـدل) ولبس درعين، والمغفـر، والبيضـة، فاسـتقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد، والكثرة، وذلـك في غبش الصـبح، وخـرجت الكتـائب من مضـيق الـوادي، فحملـوا حملة واحدة، وانكشـفت خيـل بـني سـليم موليـة، وتبعهم أهـل مكة، والناس، ولم يثبت معه صلى اللـه عليـه وسـلم يومئـذ إلا العبـاس بن عبـد المطلب، وعلي بن أبي طـالب، والفضـل بن العباس، وأبـو سـفيان بن الحـارث بن عبـد المطلب، وأبـو بكـر وعمر، وأسامة بن زيد، في ناس من أهل بيتـه وأصـحابه رضـي الله عنهم. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته، أكفهـا مخافـة أن تصل الى العدو، لأنه صلى الله عليـه وسـلم كـان يتقـدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه صلى اللـه عليـه وسلم فجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس: نادِ يـا معشـر الأنصار، يا أصحاب السمرة يعـني شـجرة بيعـة الرضـوان الـتي بايعوه تحتها – ألا[50] يفروا عنه، فجعل تـارة ينـادي: يـا أصـحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سـورة البقـرة، وكـان العبـاس رجلاً صيّتاً، فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كـأنهم الإبـل إذا حنّت الى أولادها.

وفي روايـة مسـلم قـال العبـاس: فواللـه لكـأن عطفهم حين سمعوا صوتي. عطفة البقر على أولادها، يقولـون: يـا لبيـك، يـا لبيك، فتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم حـتى إن الرجـل منهم إذا لم يطاوعـه بعـيره على الرجـوع انحـدر عنـه وأرسله، ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه

[50] في المخطوط لا

وسلم فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يَصدُقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم، فقال: (الآن حَمِيَ الوطيسُ)، وهو التنور، ضربه مثلاً لشدة الحرب، وهذا من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي البخاري عن البراء سأله رجل: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر، كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على المغانم، فاستقبلونا بالبهام[51]، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وأن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول:

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه أي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك القبضة. وفي رواية مسلم قبضة من تراب الأرض. وفي رواية أحمد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولى المسلمون مدبرين قال: أنا عبد الله ورسوله، أنا عبد الله ورسوله، ثم أخذ كفاً من تراب، وضرب وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فهزمهم الله سبحانه وتعالى. قال ابن مسعود: حادت به بغلته، فمال السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله، فقال: ناولني كفاً من تراب، فضرب وجوههم، وامتلأت عيونهم تراباً، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، فولى المشركون الأدبار.

وعن عبد الرحمن الفهري قال: حدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا واحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة من السماء

[51] في المخطوط بالسهام

كإمرار الحديد على الطست الجديد، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وهم الملائكة.

وفي سيرة الدمياطي: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمرٌ أرخوها بين أكتافهم، وأمر صلى الله عليه وسلم أن قتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون في القتل الى الذرية، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة، فله سَلبُهُ، واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً، وأمر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس، واستشهد من المسلمين أربعة، منهم أيمن الحبشي، وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلاً.

سرية أبي عامر الأشعري

وهو عم أبي موسى، بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن، وكان معه سلمة ابن الأكوع، فانتهى إليهم، فإذا هم مجتمعون فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم الى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه، فقال واحد منهم: أللهم لا تشهد عليّ، فكف عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعد، فأحسن إسلامه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر. ورمى أبا عامر ابن الحارثِ العلاءُ وأوفى، فقتلاه، فخلفَهُ أبو موسى الأشعري، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم اغفر لأبي عامر، واجعله من أعلى أمتي في الجنة))، وكان في السبي الشيماء أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

الى ذي الكفين صنم من خشب في شوال، لما أراد صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعاً

فهدمه، وجعل يحشـو النـار في وجهـه أي يلقيهـا عليـه ويحرقـه ويقول:

ياذا الكفين لست من عبادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة رجل سراعاً، فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام.

غزوة الطائف

وهي بلدة كبيرة على ثلاث مراحـل من مكـة، سـار إليهـا النـبي صلى اللـه عليـه وسـلم في شـوال سـنة ثمـان، حين خـرج من حـنين وحبس الغنـائم بالجعرانـة، وقـدم خالـد بن الوليـد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزمـوا من أوطـاس دخلـوا حصـنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه مـا يصـلحهم سـنة، وتهيأوا للقتال، فسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبـاً من الحصن، وعسكر هناك، فرموا المسـلمين بالنبـل رميـاً شـديداً، كأنه رجل الجراد[52]، حـتى أصـيب نـاس من المسـلمين، وقتـل منهم اثنا عشر رجلاً، فارتفع صلى الله عليه وسـلم إلى موضـع مسجد الطائف اليوم، وكان معـه من نسـائه أم سـلمة، وزينب، فضرب لهما قبـتين، وكـان يصـلي صـلى اللـه عليـه وسـلم بين القبتين حصار الطائف كله، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رمي بـه في الإسـلام، وأمـر بقطع أعنـابهم، وتحريقهـا، فقطـع المسـلمون قطعـاً ذريعـاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال صلى الله عليـه وسـلم: إني أدعها لله وللرحم، فقال: ثم نادى مناديه صلى الله عليه وسلم: أيما عبد نـزل من الحصـن، وخـرج إلينـا فهـو حـر، فخـرج ثلاثـة وعشرون عبدًا منهم أبو بكـرة. ولم يـؤذن لـه صـلى اللـه عليـه وسلم في فتح الطائف وأمر عمر بن الخطاب رضـي اللـه عنـه فأذن بالناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحــل ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال صلى الله عليه وسلم: فاغدوا على

[52] في المخطوط رِجل جراد.

القتال، فغدوا، فأصاب المسلمين جراحات، فقال صلى الله عليه وسلم □ إنا قافلون ان شاء الله تعالى، فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، وفقئت عين أبي سفيان (صخر بن حرب) يومئذ فذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده: أيهما أحب إليك عين في الجنة، أو أدعو الله أن يردها عليك؟ قال: بل عين في الجنة، ورمى بها وشهد اليرموك، فقاتل وفقئت الأخرى يومئذ.

وقال صلى الله عليه وسلم قولوا: ((لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)). فلما ارتحلوا قال: ((قولوا آيبون، تائبون، عابدون لربنا حامدون)). ولما قيل له: يارسول الله ادع على ثقيف. قال: ((اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم))، وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يجمع السبي والغنائم، مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرانة، فكان بها الى أن انصرف عليه الصلاة والسلام من الطائف، وكان السبي ستة آلاف رأس، والابل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، وانتظر صلى الله عليه وسلم بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة، ثم بدأ يقسم الأموال.

وفي البخاري: وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقال ناس من الأنصار: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! قال أنس: فحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم، فأرسل الى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال □ وتذهبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم الى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. قالوا: يا رسول الله قد رضينا. عن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من

حنين علقت برسول الله الأعـراب حـتى اضـطروه الى سـمرة فخطفت رداؤه، فوقف صلى الله عليه وسـلم وقـال: أعطـوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاء نعماً لقسـمته بينكم، ثم لا تجـدوني بخيلاً، ولا كـذوباً، ولا جبانـاً. والعضـاء شـجر ذو شـوك. وأحـرم صـلى اللـه عليـه وسـلم بعمـرة، ودخـل مكـة، ثم قـدم المدينة وقد غاب عنها شهرين وسـتة عشـر يومـاً. وبعث صـلى الله عليه وسلم قيس بن سـعد بن عبـادة الى ناحيـة اليمن في أربعمائة فارس: وأمره أن يقاتل قبيلـة صـداء حين مـرورهم[53] عليهم في الطريق، فقدم زياد بن الحارث الصدائي، فسأل عن ذلك البعث، فـأخبر فقـال: يـا رسـول اللـه أنـا وافـدهم، فـاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا.

وبعث صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصـن الفـزاري إلى بـني تميم بالسقيا وهي أرض بني تميم في محرم[54] سنة تسـع، في خمسـين فارسـاً من العـرب، ليس فيهم مهـاجري ولا انصـاري، وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار، فهجم عليهم في صـحراء قـد حلوا وسرحوا مواشـيهم. فلمـا رأوا الجمـع ولـوا، فأخـذوا منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً، فقدم عشرة من رؤسـائهم إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فـرد عليهم الأسـارى والسـبي، ثم بعث صـلى اللـه عليـه وسـلم الوليـد بن عقبـة الى بـني المصـطلق من خزاعـة لصـدقتهم، وكـان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية، وكانوا قـد أسـلموا، وبنـوا المسـاجد، ولما سمعوا بدنو الوليد قدم منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به، وتعظيماً لله ولرسوله صلى اللـه عليـه وسـلم، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع من الطريـق قبـل أن يصـلوا إليـه، وأخـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنهم لقـوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهمّ عليـه الصـلاة والسـلام أن يبعث إليهم من يغـزوهم،، وبلـغ ذلـك القـوم، فقـدم منهم الـركب الـذين لقـوا الوليـد، فـأخبروا النـبي الخـبر على وجهـه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنْ جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُوا... ﴾

[53] في المخطوط مروره
[54] في المخطوط المحرم

إلى آخـر الآيـة. وبعث معهم عبـادة بن بشـر بأخـذ صـدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن.

وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو ابن حارثة، في مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام، فـأبوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة، فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل، قال راوي الحديث: فهم الى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط!

سرية قطبة بن عامر رضي الله عنه –

الى خثعم، قريباً من تربة من أعمال مكة سنة تسع، وبعث معه عشـرين رجلاً، وأمـره أن يشـن الغـارة عليهم، فـاقتتلوا قتـالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتـل قطبـة من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة.

سرية علقمة بن مجزز المدلجي

الى ناس من الحبشة في ربيع الآخر سنة تسع في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض إليهم هربوا، فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم، فـأمر عبـد الله بن حذافة على من تعجل، وكانت فيه دعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها، فقال: عزمت عليكم إلا تواثبتم على هذه النار، فلما هم بعضهم بذلك، قال: اجلسوا إنما كنت أمـزح، فـذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه. وفي رواية: لو دخلوها ما خرجوا.

سرية علي ابن ابي طالب

الى الغلس، وهو صنم طي لهدمه في ربيع الآخر سنة تسع، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، فهدمه، وغنم سبياً ونعماً وشاءً، وكان في السبي سفانة بنت حاتم فأطلقها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي بن حاتم.

سرية عكاشة بن محصن رضي الله عنه

الى الحباب[55] موضع بالحجاز، وهو أرض عذرة وبليٍ اسم قبيلتين وقيل أرض فزارة وكلب.

قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم –

وكانت في ما بين رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وغزوة تبوك، وكان من خبره وأخيه بجير، أن بجيرا قال لأخيه: اثبت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه، واعرف ماعنده، فأقام كعب ومضى بجير حتى أتى[56] النبي صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به، وذلك أن زهيراً كان يجالس أهل الكتاب، فسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه أنه قد مُد سبب من السماء وأنه قد مدّ يده ليتناوله، ففاته، فتأوله بالنبي يبعث في آخر الزمان، وأنه لا يدركه، فأخبر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا. وكتب بجير الى كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه، وأن من بقي من شعراء قريش هربوا، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحد جاءه تائباً، وإن كنت لم تفعل، فانج الى نجائك، فكتب له أبياتا لامه فيها على إسلامه: فأنشدها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله. فلما بلغ كعبا ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه فخرج حتى قدم المدينة، فوضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله: نعم. قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، قال صلى الله عليه وسلم دعه عنك.

[55] في المخطوط الجباب

[56] في المخطوط اتى الى

فقد جاء تائبا ثم قال قصيدته (بـانت سـعاد)، قـال أبـو بكـر بن الانباري لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله

رمي إليه صلى الله عليه وسلم بُـردةً كـانت عليـه، وإن معاويـة بذل له فيها عشرة آلاف. فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً، فلمـا مـات كعب، بعث معاويـة إلى ورثته بعشرين الفاً، فأخذها منهم، قال: وهي الـبردة الـتي عنـد السلاطين الى اليوم.

غزوة تبوك

مكـان معـروف وهـو نصـف طريـق المدينـة إلى دمشـق وهي (غـزوة العسـرة) كـان يـوم الخميس في رجب سـنة تسـع من الهجرة، وكان حـراً شـديداً، وجـدباً كثـيراً، فلـذلك لم يُـور عنهـا كعادته صلى الله عليه وسلم في سـائر الغـزوات، وخرجـوا في قلـةٍ من الظهـر، وفي حـر شـديد حـتى كـانوا ينحـرون البعـير فيشربون مافي كرشه من الماء، فكان ذلك عسـرة في المـاء، وفي الظهر والنفقة فسميت (غزوة العسرة) وسببها أنـه صـلى الله عليه وسلم بلغه صلى الله عليـه وسـلم من الأنبـاط الـذين يُقدِمون الزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب صلى الله عليه وسـلم النـاس الى الخـروج، وأعلمهم بالمكان الذي يريـد، ليتـأهبوا لـذلك. وقـال عثمـان: يـا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية. فقال صلى الله عليه وسلم: ما على عثمان، لا يضر عثمان مـا عمـل بعدها.

وروي عن قتادة: أنه قال: حمل عثمان في جيش العسـرة على ألف بعير، وسبعين فرساً، وعن عبد الـرحمن بن سـمرة، قـال: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كُمـه حين جهـز جيش العسرة، فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله يقلبها في حجره، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم. رواه الترمذي.

وروى الطبراني عن حذيفة: أن عثمان بعث في جيش العسـرة بعشرة آلاف دينـار الى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم – فصـبت بين يديـه، فجعـل صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول بيـده ويقلبها ظهراً ببطن، ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسـررت، وما أعلنت، وما هو كامن الى يوم القيامـة، مـا يبـالي مـا عمـل بعدها. ولما تأهب صلى الله عليه وسلم للخروج، قال قـوم من المنافقين: لا تنفـروا في الحـر، فـنزل قولـه تعـالى: ﴿وقـالوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَـرِّ قُـلْ نَـارُ جَهَنَّمَ أَشَـدُّ حَـرًّا لَـوْ كَـانُوا يَفْقَهُـونَ﴾. وأرسـل صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى مكـة والى قبائـل العـرب يستنفرهم.

وجاء البكاؤن يستحملونه، فقال عليه الصلاة والسلام ما أجد ما أحملكم عليه، وهم الذين قال الله تعـالى فيهم: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَـا يُنْفِقُـونَ﴾. وجـاء المعـذرون من الأعـراب ليـؤذن لهم في التخلـف، فـأذن لهم، وهم إثنـان وثمانون رجلاً، وقعد آخـرون من المنـافقين بغـير عـذر وإظهـار علةٍ جَراءة على الله ورسـوله. واسـتخلف على المدينـة، وعلى عياله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقـال لـه يومئـذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك، ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أميـة. وفيهم نـزل قولـه تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا.. ﴾ الآية، وأبو ذر وأبو خيثمة، ثم لحقاه بعد ذلك، وأمر صلى الله عليـه وسـلم لكـل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً ورايـة، وكـان معـه عليه الصلاة والسلام ثلاثـون ألفـاً، وكـانت الخيـل عشـرة آلاف. فلما قـدموا تبـوك، قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة، فلا يقم أحـد منكم، فمن كـان له بعير فليشد عِقاله، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيّ رواه مسلم.

ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـالحجر سـجى ثوبـه على وجهه. واستحث راحلته، ثم قال: ((لا تـدخلوا بيـوت الـذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصـيبكم مـا أصـابهم)). رواه الشيخان. والحجر ديار ثمود الذين غضب الله عليهم، ولما كان صلى الله عليه وسـلم ببعض الطريـق ضـلت ناقتـه. فقـال زيـد بن اللصـيت، وكـان منافقـاً: أليس محمـد يـزعم انـه نـبي، ويخبركم بأخبار السماء، وهو لا يدري أين فاقته؟ فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن رجلاً يقـول كـذا وكـذا، وذكـر مقالته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمـني اللـه سـبحانه وتعـالى، وقد دلني الله تعالى عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا فجاءوا بها رواه البيهقي، وأبو نعيم.

وفي مسلم عن معاذ بن جبل: أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلاً حتى اجتمع في شن، ثم غسل صلى اللـه عليـه وسـلم بـه وجهـه ويديـه، ثم أعـاده فيهـا فجرت بماء كثير، فاستقى الناس، ولما انتهى صـلى اللـه عليـه وسلم الى تبوك أتاه صاحِب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جرباء وأدرج، وهما بلدان بالشام، فـأعطوه الجزيـة، وكتب لهم كتاباً.

ووجد هرقل بحمص، فأرسل خالد بن الوليد الى أكيدر ابن عبـد الملك النصراني بدومة الجندل، في اربعمائـة وعشـرين فارسًـا في رجب سريةً، وقال له عليه الصلاة والسلام إنك ستجده ليلاً يصيد البقر، فانتهى إليـه خالـد رضـي اللـه عنـه وقـد خـرج من حصنه في ليلـة مقمـرة إلى بقـر يطاردهـا هـو وأخـوه حسـان، فشدت عليهم خيل خالد، فأستأسر أكيدر، وقتـل أخـوه حسـان، وهرب من كان معهما، فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيـدراً من القتل حتى يأتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم على أن يفتح لـه دومـة الجنـدل، ففعـل، وصـالحه على الفي بعـير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة

درع، وفي هذه الغـزوة كتب صـلى اللـه عليـه وسـلم كتابـاً في تبوك الى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابـة ولم يجبـه. رواه ابن حبان.

وفي مسـند أحمـد أن هرقـل كتب من تبـوك إلى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أني مسلم فقال: صلى الله عليه وسـلم: كذب هو على نصرانيته، ثم انصرف صلى الله عليـه وسـلم من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة، وقيل عشرين، ولم يلـق كيداً، وبنى في طريقه مساجد، وأقبـل صـلى اللـه عليـه وسـلم حتى نزل بذي أوان بينها وبين المدينة ساعة جاءه خـبر مسـجد الضِرار من السماء، فأرسل من هدمه وحرقه بعد أن أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآيـة. وكـان الـذين اتخذوه اثنى عشـر رجلاً يضـارون بـه مسـجد قبـاء، وذلـك أنهم قـالوا في طائفـة من المنـافقين: نبـني فنقيـل فيـه، ولا نحضـر خلف محمد، ولما دنا صلى الله عليـه وسـلم من المدينـة خـرج الناس لتلقيه، وخرج النساء والصبيان، والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات وجب الشكر علينا مادعا لله

وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم – ((إن في المدينـة أقوامـاً، مـا سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم العُذر))، ولما دخل صلى الله عليه وسلم قـال العبـاس: يـا رسـول اللـه أتأذن لي امتدحك؟ قال: قل، لا يفضض الله فاك، فقال قصيدة منها:

وأنت لما ولدت اشرقت الأر وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي ر وسبل الرشد نخترق

وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلـف عنـه، فحلفـوا لـه، فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع حتى نزلت توبتهم.

وعن ابن عباس في قولـه تعـالى: ﴿وَآَخَـرُونَ اعْتَرَفُـوا بِـذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآَخَرَ سَيِّئًا﴾ قال: كانوا عشرة رهط تخلفــوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممرّ النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا رجع في المسجد عليهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابــة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعــذرهم، فقال: أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حـتى يكـون اللـه هـو الذي يطلقهم؛ رغبـوا عن الغـزو فـأنزل اللـه تعـالى: ﴿وَآَخَـرُونَ اعْتَرَفُوا بِـذُنُوبِهِمْ﴾، فلمـا نـزلت أرسـل إليهم النـبي صـلى اللـه عليه وسلم وأطلقهم وعذرهم.

حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه –

بالناس سنة تسع ف، ي ذي القعدة، وكـان معـه ثلاثمائـة رجـل من المدينة وعشرون بدنة، بعثه صلى اللـه عليـه وسـلم يـؤذن في الناس يوم النحر؛ أن لا يحج بعد العـام مشـرك، ولا يطـوف بالبيت عريان، ثم أردفه صلى الله عليه وسلم بعلي رضي اللــه عنه وأمره أن يؤذن بـبراءة، فقرأهـا على النـاس حـتى ختمهـا، وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْـرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْـدَ عَـامِهِمْ هَـذَا﴾. فلم يحج في العام القابـل الـذي حج فيـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم حجة الوداع مشرك. ثم بعث رسول الله صلى الله عليــه وسلم أبا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الـوداع كـل واحــد منهم على مخلاف، أي إقليم. واليمن مخلافـان، ثم قـال: يسـرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وقال لمعاذ: إنك ستأتي قومـاً أهـل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن اللــه قــد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فـإن هم اطـاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم

صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقـرائهم، فـإن هم أطـاعوا لك بذلك فإيـاك وكـرائم أمـوالهم، واتـق دعـوة المظلـوم فإنهـا ليس بينها وبين الله حجاب. وكانت جهة معاذ العليـا الى صـوب عـدن، وكـانت جهـة أبي موسـى السـفلى، ثم أرسـل خالـد بن الوليد قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر الى بـني عبـد المدان قبيلة بنجران وأسلموا.

ثم أرسل علي بن أبي طالب الى اليمن في رمضان سنة عشر وعقد له لواءً وعممه بيده. وقال علي رضـي اللـه عنـه: بعثـني النبي صلى الله عليه وسـلم الى اليمن، فقلت: يـا رسـول اللـه تبعثني الى قوم أسن مني، وأنا حديث السـن لا ابصِـر القضـاء. فوضـع يـده في صـدري، وقـال: اللهم ثبت لسـانه واهـد قلبـه، وقـال: يـا علي إذا جلس المتخاصـمان فلا تقض بينهمـا حـتى تسمع من الآخر، فخرج في ثلاثمائة فارس، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونسـاء وأطفـال، ونعم وشـاء وغـير ذلـك. ثم لقي جمعهم فـدعاهم إلى الإسـلام، فـأبوا، ورمـوا بالنبـل ثم حمـل عليهم علي رضي الله عنـه بأصـحابه فقتـل منهم عشـرين رجلا فتفرقـوا وانهزمـوا، فكـف عن طلبهم ثم دعـاهم إلى الإسـلام، فأسرعوا وأجابوا، ثم قفـل، أي رجـع فـوافى النـبي صـلى اللـه عليه وسلم في مكة قد قدمها للحج سنة عشرٍ.

حجة الوداع

حج صلى الله عليه وسلم حجة الـوداع، وتسـمى حجـة الإسـلام وحجة البلاغ، فخـرج صـلى اللـه عليـه وسـلم من المدينـة يـوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعـدة وخـرج معـه تسـعون ألفا، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفـا، ويقـال اكـثر من ذلـك. قال ابن الأثير: كان صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبـل أن يهاجر، وفي حديث جابر عن مسلم، مكث صـلى اللـه عليـه وسلم تسع سـنين في المدينـة لم يحج، ثم أذن في النـاس في العاشرة أن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم خـارج، فقـدم المدينة بشر كثير،

كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به. وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة بين الظهر والعصر، فنزل بذي الحليفة، فصلى بها العصر ركعتين، ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر. وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن تلك الليلة، ثم اغتسل غسلاً ثانياً لإحرامه غير غسل الجماع الأول.

وفي الصحيحين: أن عائشة طيبته صلى الله عليه وسلم (بزريرة) وهي نوع من الطيب يجعل فيه المسك.. قالت: طيبته عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرماً، وثبت في الصحيحين عن ابن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل (أي رفع صوته بالتلبية). واختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفرداً، أو قارناً أو متمتعاً.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بناقته، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم عنها، وقلدها نعلين، رواه مسلم. أي ليعلم أنها هدي، وأشعرها أي شقها وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحلٍ رثٍ يساوي أربعة دراهم رواه الترمذي.

ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان، قال: يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود وصالح على بكرين

أحمـرين خطامهمـا الليـف، وأزرهمـا العبـاء، وأرديتهمـا النمـار، يلبون بـالحج يحجـون الـبيت العـتيق رواه أحمـد (والنمـار جمـع نمرة بُردة من صوف تلبسـها الأعـراب) وفي روايـة مسـلم من حديث ابن عباس: لما مر صلى الله عليه وسـلم بـوادي الأزرق قال: ((كأني أنظر الى موسى هابطاً من الثنيـة واضـعاً إصـبعيه في أذنيه، ماراً بهذا الوادي، وله جؤار الى الله بالتلبية)).

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ذا طوى عند آبار الزاهر بات بهـا بين الثنيتين، فلما أصبح صلى الله عليه وسلم صلى الغــداة، ثم اغتسل رواه البخاري.

وفي حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يدخل مكـة من الثنية العليا، التي ينزل منهـا الى المعلاة (مقـبرة مكـة)، ويقـال لها الكداء والحجون ٠ ودخل صلى الله عليه وسـلم مكـة لأربـع خلون من ذي الحجة، ودخـل المسـجد الحـرام ضـحى من بـاب بني عبد مناف (وهو باب بني شـيبة) لأن بـاب الكعبـة في جهـة ذلك الباب. وروى الطبراني عن حذيفـة بن أسـيد كـان صـلى الله عليه وسلم إذا نظر البيت قال: اللهم زد بيتك هذا تشــريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً ومهابةً، وزد من عظمته[57] وشرفه، ممن حجه واعتمره تعظيماً وتشريفاً وبراً ومهابة.

ولم يركع صلى الله عليه وسلم تحية المسجد إنما بدأ بالطواف لأنه تحية البيت، ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الأسـود بالمحجن، وروى الشافعي عن ابن عمر رضي اللـه عنهم قـال: اسـتقبل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الحجـر الأسـود فاستلمه، ثم وضع شفتيه[58] عليه طويلا، وكان إذا استلم الركن قال: بسم الله والله أكبر. وكلما أتى الحجر قال: الله اكبر رواه الطبراني، ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضـى على يمينه، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافـه أتي المقـام وقـرأ: وَاتَّخِـذُوا مِنْ مَقَـامِ إِبْـرَاهِيمَ مُصَلًّى فصلى ركعتين،

[57] في المخطوط عظّمه
[58] في المخطوط شفته

والمقام بينه وبين البيت، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثم رجع الى الركن الذي فيه الحجر فاستلمه. ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، واستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله الا الله وحده، أنجز[59] وعده، ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة (أي توجه إليها) حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد، هذا محمد، حتى خرجت العواتق من البيوت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب، والمشي في السعي أفضل. هذا لفظ رواية مسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بظاهر مكة، يقصر الصلاة فيه بالمسلمين، وكانت مدة إقامته قبل الخروج الى منى أربعة أيام، وقدم علي رضي الله عنه من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال[60]: بم اهللت؟ فقال: بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لولا أن معي الهديَ لأحللت، رواه الشيخان من حديث أنس.

وكان مجموع الهدي الذي قدم به علي من اليمن، والذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة. ولما كان يوم التروية، وهو الثامن من ذي الحجة، وكان يوم الخميس ضحىً ركب صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين إلى منىً، وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم، فصلى صلى

---

[59] في المخطوط نجز
[60] في المخطوط فقال له

اللـه عليـه وسـلم بمـني الظهـر والعصـر والمغـرب والعشـاء والفجـر، ثم مكث قليلاً حـتى طلعت الشـمس، وأمـر بقبـة من شعر، فضربت له بنمرة من عرفة، فلما بلغها نزل بهـا حـتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصـواء، فـرحلت لـه، فـركب فـأتي بطن الوادي.

فخطب النـاس وقـال: ((إن دمـاءكم وأمـوالكم حـرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلـدكم هـذا. ألا إن كـل شـيء من أمـر الجاهليـة تحت قـدمي موضـوع))، ووضـع أي اسقط أمر الجاهلية ورباهـا، وأوصـى بالنسـاء خـيرا، وقـال في آخر خطبته صلى الله عليـه وسـلم: ((وقـد تـركت فيكم مـا لن تضلوا بعده إن اعتصمتم بـه: كتـاب اللـه، وانتم تسـألون عـني، فمـا أنتم قـائلون؟))، قـالوا: نشـهد أنـك قـد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء، وينكتها الى الناس ويقـول: ((اللهم اشـهد (ثلاث مـرات)))، ثم أذن بلال، ثم أقام فصـلى الظهـر ثم أقـام فصـلى العصـر، ولم يصـل بينهمـا شيئاً.

ولمـا فـرغ صـلى اللـه عليـه وسـلم من صـلاته ركب حـتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبـل الشاة بين يديه، واستقبل القبلة، وكـان أكـثر دعائـه صـلى اللـه عليه وسلم يوم عرفة في الموقف: ((اللهم لـك الحمـد كالـذي نقـول وخـيراً ممـا نقـول، اللهم لـك صـلاتي ونسـكي؛ ومحيـاي ومماتي، وإليك مآبي ولك ربي تـراثي، اللهم إني أعـوذ بـك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إني أسـألك من خير ما تجيء بـه الـريح، وأعـوذ بـك من شـر مـا تجـيئ بـه الريح)). رواه الترمذي من حـديث علي. وفي الترمـذي: أفضـل الدعاء يوم عرفة: أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك[61] وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وكان من دعائه صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم عرفـة في عرفة أيضاً كما رواه الطبراني من رواية ابن عباس رضـي اللـه عنهما: ((اللهم إنك تسمع كلامي،

[61] في المخطوط له الملك

وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شــيء من أمــري، أنــا البــائس الفقــير المســتغيث المســتجير، الوجــل المشفق، المقـر المعـترف بذنوبـه. أسـألك مسـألة المسـكين، وأبتهـل إليـك ابتهـال المـذنب الـذليل، وأدعـوك دعـاء الخـائف الضـرير خضـعت[62] لـك رقبتـه، وفاضـت لـك عبرتـه، وذل لـك جسـمه، ورغم لـك أنفـه، اللهم لا تجعلـني بـدعائك ربي شـقيا، وكن بي رؤف رحيما، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين)).

وأتاه ناس من أهل نجد وهو بعرفة، فسألوه كيـف الحج؟ فـأمر منادياً ينادي: (((الحج عرفة) من جاء ليلة جمـع أي قبـل طلـوع الفجر، فقد أدرك الحج. أيام مني ثلاثة، فمن تعجـل في يـومين فلا إثم عليه)) رواه الترمذيـ وجَمعٌ هي المزدلفـة وليلتهـا ليلـة العيد، وفي رواية جابر عند أبي داود قال صلى الله عليه وسـلم – بعرفة: ((وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، وها هنا أنزل عليّ الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب. ولما غـربت الشـمس بحيث ذهبت الصـفرة قليلاً حين غـاب القـرص أفاض صلى الله عليه وسـلم من عرفـة، وأردف أسـامة خلفـه، وقد شنق القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجلــه، ويقول بيده اليمنى: أيها النـاس السـكينة، السـكينة. وكلمـا أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصـعد، وأفـاض من طريـق المـأزمين. ومعـنى الحبـل التـل اللطيـف من الرمـل، وطريـق المأزمين بين عرفة والمشعر الحرام.

وفي رواية ابن عباس أنه صـلى اللـه عليـه وسـلم سـمع وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل فأشار بسوطه، وقـال: ((أيهـا النـاس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإبضاع أي الإسراع))ـ

وفي رواية أسامة بن زيد عند الشيخين كـان يسـير العنـق، وإذا وجـد فجـوة نص، والعنـق سـير بين الإبطـاء والإسـراع، والنص فوق العنق. والفجوة

[62] في المخطوط من خضعت

المكـان الواسـع. ولمـا كـان صـلى اللـه عليـه وسـلم في أثنـاء الطريق نزل فبال وتوضأ وضوءً خفيفاً، فقال له أسامة: الصـلاة يا رسول الله؟ قال: الصلاة أمامك. فـركب حـتى أتى مزدلفـة، فصـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بهـا المغـرب والعشاء كل واحد منهما بإقامة. وترك صلى الله عليه وسـلم قيام الليل تلك الليلة، ونام حـتى أصـبح مـع كونـه عليـه الصـلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قـدماه، لكنـه أراح نفسـه الشريفة لما تقدم في عرفة، ولمـا هـو بصـدده يـوم النحـر من كونـه نحـر بيـده المباركـة ثلاثـا وسـتين بدنـةً. وذهب الى مكـة لطواف الإفاضة ومشي الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الأسانيد.

وعن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة، فأجيب إني قد غفرت لهم مـا خلا الظالم، فإني آخذ للمظلوم منه. قـال: ((أي ربّ إن شـئت أعطيت للمظلوم[63] من الجنـة، وغفـرت للظـالم))، فلم يجب عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى مـا سـأل. قال: فضحك صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم. فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بـأبي أنت وأمي لهـذه السـاعة مـا كنت تضحك فيها، فما الذي أضحكك. أضحك الله سنك؟ قــال: ((إن عـدو اللـه إبليس لمـا علم أن اللـه قـد اسـتجاب دعـائي وغفـر لأمـتي أخـذ الـتراب فجعـل يحثـوه على رأسـه ويـدعو بالويـل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعـه)). رواه ابن ماجـه وأبـو داود.

وقد جاء في بعض الروايات من غير عباس أن المراد من الأمـة من وقـف بعرفـة. وقـال الطـبري: أنـه محمـول بالنسـبة الى المظالم على من تـاب، وعجـز عن وفائـه. وقـال الترمـذي في الحديث: من حج فلم يرفث، ولم يفسق، خرج من ذنوبـه كيـوم ولدتـه أمـه، وهـو مخصـوص بالمعاصـي المتعلقـة بحقـوق اللـه تعالى خاصة دون العباد، ولمـا طلـع الفجـر صـلى النـبي الفجـر حين تبين الصبح بأذان وإقامة.

[63] في المخطوط المظلوم

وفي سنن النسائى، قال عليه الصلاة والسلام للفضل بن العباس غداة النحر، وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته: هات ألقط لي، فلقط حصيات مثل حصى الخذف، أي الرمي، والمراد الحصى الصغار، فلما وضعهن في يده، قال: بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين.

ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فرقى عليه فاستقبل القبلة، فحمد الله وكبره، وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى اصفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وفي حديث علي عند الطبري: لما أصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل، ثم قال: هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى إذا أصفر دفع. وفي رواية ابن عباس: أن أسامة قال: كنت ردف النبي من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما.

وفي رواية جابر فلما أتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك ناقته، وأسرع السير قليلاً، ومحسر موضع بين مزدلفة ومني، وهو مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطي التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر من كل حصاة رمى من بطن الوادي، وجعل البيت من يساره ومنى عن يمينه، واستقبل الجمرة، وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى، كما قاله جابر في رواية مسلم وغيره. وفي رواية أم الحصين عند أبي داود: رأيت أسامة وبلالا، وأحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة. وعن ام جندب رأيته عليه الصلاة والسلام يرمي الجمرة من بطن الوادي، وهو راكب يكبر مع كل حصاة، ورجل من

خلفه يستره أي من الحر، فسـألت عن الرجـل، فقـالوا: فضـل بن العباس، فازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: ((يـا أيهـا النـاس لا يقتـل بعضـكم بعضـاً، وإذا رميتم الجمـرة فارموا بمثل حصى الخذف، وفي رواية جـابر عنـد مسـلم وأبي داود قال: رأيته صلى الله عليه وسـلم يـرمي على راحلتـه يـوم النحر، وهو يقـول: خـذوا عـني مناسـككم، لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)).

وفي رواية قدامة عن[64] الترمذي: رأيته صلى الله عليه وسـلم يرمي الجمـار على ناقـة لـه صـهباء ليس ضـرب، ولا طـرد، ولا إليك إليك. ثم انصرف صلى اللـه عليـه وسـلم ب الى المنحـر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة، ثم أعطى عليا فنحـر مـا غـير، وأشـركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قـدر فطبخت فأكل من لحمها، وشرب من مرقها.

قوله فنحـر مـا غـير أي مـا بقي من البـدن، وكـانت مائـة. وفي رواية جابر عند مسلم، نحـر عليـه الصـلاة والسـلام عن نسـائه بقرة، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى، ثم قال للحلاق: خذ، فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر، ففعل مثل ذلك، ثم قال: ههنـا أبـو طلحة، فدفعه إليه، وعند الإمـام أحمـد: وقلم صـلى اللـه عليـه وسلم أظفاره وقسمها بين الناس، وعن أبي هريـرة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا: يـا رسول الله وللمقصرين، قال: اللهم اغفـر للمحلقين. قـالوا: يـا رسول الله وللمقصرين، قال: اللهم اغفـر للمحلقين. قـالوا: يـا رسول الله وللمقصرين، قال: وللمقصرين، رواه الشيخان.

وفي رواية عبد الله بن عمر: فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى، للناس يسألونه، فجاء رجل فقال: يا رسول اللـه لم أشـعر فحلقت قبـل أن أنحـر. قـال: اذبح، ولا حرج، ثم جاء رجل آخر

[64] في المخطوط عند

فقال: يا رسـول اللـه لم أشـعر فنحـرت قبـل أن أرمي فقـال: ارمِ، ولا حرج.

قال: فما سئل عن شيء قدم أو أخر إلا قال: افعـل، ولا حـرج. رواه مسلم. وعن أبي بكر قال: خطبنا رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم يوم النحر فقال: إن الزمان قد اسـتدار كهيأتـه يـوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليـات ذو القعـدة، وذو الحجـة، والمحـرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان. وقال: أي شهر هذا؟ قلنا: اللـه ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسـوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغـير اسـمه، قـال: أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسـوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغـير اسـمه، قـال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم، وأمـوالكم وأعراضـكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وسـتلقون ربكم فيسـألكم عن أعمـالكم، ألا لا ترجعـوا بعـدي كفاراً ضُلالاً يضرب بعضـكم رقـاب بعض، ألا هـل بلغت؟ قـالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلـغ أوعى من سامع. رواه الشيخان. وفي رواية للبخاري فودع الناس.

وقـد روى أبـو داود، والنسـائي عن عبـد الـرحمن بن معـاذ التميمي، قال: خطبنا رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ونحن بمـنى ففتحت أسـماعنا حـتى كنـا نسـمع مـا يقـول، ونحن في منازلنـا، فطفـق يعلمهم مناسـكهم حـتى بلـغ الجمـار، فوضـع اصبعيه السبابتين، ثم قال بحصـى الخـذف، ثم أمـر المهـاجرين فـنزلوا في مقـدم المسـجد، وأمـر الأنصـار أن يـنزلوا وراء المسجد، قال: ثم نزل الناس بعـد ذلـك، ثم ركب قبـل الظهـر، فأفاض الى البيت، فطاف طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة، والركن، والصدر. وعن ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا أن النـبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما أقام

بمنى (الحديث) وأتي صلى الله عليه وسلم زمزم، وبنو عبد المطلب يسقون عليها، فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم، لنزعت معكم، فناولوه دلواً، فشرب منه. وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ بمكة وقيل بمنى. وفي كلٍّ حديث صحيح.

ثم رجع الى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ويقف عند الأولى والثانية، فيطيل القيام فيهما، ويتضرع، ويرمي الثالثة فلا يقف عندها. رواه ابو داود عن حديث عائشة.

وعن ابن عمر عند الترمذي: كان صلى الله عليه وسلم إذا رمى الجمار مشى إليها ذاهبا وراجعاً، وفي رواية أبي داود: وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي.

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد أن أكمل رمي أيام التشريق، ولم يتعجل في يومين الى المحصب (وهو الأبطح وحده، ما بين الجبلين الى المقبرة، وهو خيف بني كنانة)، فوجد مولاه أبا رافع قد ضرب قبة[65] هناك، وكان على ثقله، وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم. صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت وطاف به رواه البخاري، وهذا هو طواف الوداع ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعاً الى المدينة فخرج من كداء وهي عند باب شبيكة وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لقي ركباً بالروحاء فقال: من القوم فقالوا المسلمون فقالوا: من انت قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت امرأة صبياً لها في محفة، فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر.

[65] في المخطوط قبته

ولما وصل بذي الحليفة بات بها لئلا يدخل المدينة ليلاً فلما رأى المدينة كبر ثلاثاً، وقال: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، لـه الملـك، ولـه الحمـد، وهـو على كـل شـي قـدير آيبـون تـائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبـده، وهـزم الأحـزاب وحـده))، ثم دخـل المدينـة نهـاراً من طريـق المعرس (مكان معروف) وفي رجوعه صلى اللـه عليـه وسـلم الى المدينة لما وصل إلى موضع معروف باسـم (خم) من ديـار مضر واقع بين الحرمين جمـع النـاس الـذين معـه وخطب فيهم خطبة بليغـة جامعـة لسـعادة الـدارين، ورغب النـاس في اتبـاع الكتـاب والسـنة، وحثهم على المـودة والألفـة. والتـآخي بينهم لاسيما عترته وآله الكـرام، وبالخاصـة في محبـة سـيدنا الإمـام علي ابن أبي طالب رضـي اللـه عنـه واهتم بـذلك لمكانـة علي رضي الله عنه عنده في مواقفـه وبالخاصـة تـربي هـو في بيت أبيه وعمه أبي طالب، واقتضاء ذلك مزيد من العناية[66] به، وقد استشهد أخوه جعفر بن ابي طالب في غـزوة مؤتـة، وبـالأخص للدفاع عن كرامـة علي حيث قـدم نـاس من اليمن الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وشكوه عنده بـأمور كـان علي بريئـا منها، وأراد بذلك تبرئة ساحته عن التهم الغير المناسبة له.

ولم يذكر عليه الصلاة والسلام أنه هـو الخليفـة مباشـرة بعـده، وإلا لـو كـان نص هكـذا، كيـف كـان يهملـه كـرام خـير الأمـة، وخيارهم؟ وكيف يقبل غـير ذلـك؟ وكيـف كـان النـاس يقـدمون على إطاعة أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم مباشـرة؟ علاوة على كـل ذلـك فـإن سـيدنا عليـا كـان أعلم الصحابة في القضاء وأحكمهم فيه، وأشجع النـاس وممتـازا في الدين والخوف من رب العـالمين، وعنـده من القرشـيين مئـات الأقارب، فكيف يـترك العمـل بـالنص ويـدع أمـره ويسـلمه الى غيره؟ وكيف نقبل التقيـة من شخصـية عليـة عالميـة مثلـه في إطاعة النص؟ وكيـف يطيـع أبـا بكـر ويبايعـه ويعاونـه في أمـور خلافتـه الهامـة؟ أم كيـف يقبـل اسـتخلاف أبي بكـر لعمـر بن الخطاب

[66] في المخطوط مزيد العناية

بعده؟ وكيف يبايع عمر ويقبل خلافته؟ بل كيف يزوجه بنته الشريفة أم كلثوم رضي الله عنها؟ ولو كان كل ذلك الأمور لخوف منه، كيف يلتئم لمقامه الرفيع؟ وكيف يهمل النص في أمر الشورى عندما جعل عمر بن الخطاب أمر خلافته شورى بينه وبين رفاقه الكرام؟ سبحانك يا رب نعوذ بك من شرور الناس الناسين لمقامات الصادقين المخلصين فعليكم أيها المسلمون بالبقاء والارتضاء لما ارتضاه الصحابة السلف الصالحون الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس رضي الله عنهم أجمعين.

سرية أسامة بن زيد

إلى أهل ابني بالشراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، وهي آخر سرية جهزها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول شيء جهزه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد. فلما كان يوم الأربعاء بُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه فحمّ وصُدِع، فلما أصبح يوم الخميس عقد الأسامة لواء بيده، فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بُريدة الأسلمي، فعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من المهاجرين[67] والأنصار إلا انتدب، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما اجمعين وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فدخل أسامة معسكره[68] والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور، فطأطأ أسامة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة. قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي، فرجع أسامة الى معسكره، ثم دخل يوم الأثنين، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقاً، فودعه أسامة وخرج الى معسكره، فأمر الناس بالرحيل،

[67] في المخطوط وجوه المهاجرين
[68] في المخطوط من معسكره

فبينما هو يريد الركوب، إذا رسول أمّه أم أيمن قد جاء، يقــول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت. فأقبل هـو، وعمـر، وأبو عبيـدة، فتـوفي صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم الاثـنين حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

من حجة الوداع الى رجوعه منها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم

أثناء حجته في موقف عرفه　　نزل إكمال دين الله ذي

اليوم أكملت فيه الرمز　　إكمَال تشريعه يأتي بمختتم

وفي مني سورة النصر أتتهم　　في آية (واتقوا يوما)

وفي المدينة قرب آخر　　عقد لواء أسامة سيد الأمم

وفي خواتمه حدث وجع　　يوما فيوما تزيد صولة الألم

في يوم الاثنين من ربيعنا　　ثانيه كانت وفاة سيد الأمم

دفن في بيته غرفة عائشة　　على حديث أتى من صاحب

صلى عليه اله العالمين كما　　أمَرنا في الكلام الهادي

صورته ولباسه صلى الله عليه وسلم

إذ غاب عنا جمال صورةٍ   فلنذكر الوصف للذكرى

حبّ الرسول الحبيب فرض   وعلم أوصافه من واجب

وكلما ابتعدت أنوار طلعته   بدا علينا سواء القلب

فواجب في الليالي السود   تكون نورا ينير لمعة الهمم

وشخصه كان نور الدهر   بعث بالرحمة لكافة الأمم

قامته بين طول المدّ والقصر   أحسن بمعتدل في الشان

في ضخم هامته تبدو مهابته   وكبر السن ينادينا على

موسع الجبهة في الحسن   وحسن وجه ينادينا على

منعرق الحاجبين كاد يتصلا   وواسع العين في لحظ إلى

مشرب لونها بحمرة وترى   فيها نموذج حسن العاهل

وواضح الخد أقنى الأنف   فيه بريق صفاء اللون

مع لحية كثة مع عارض قد   كالبدر إذ يطلع ليلا على

ضخم الكراديس يعني كان   كبير رأس عظام الظهر

من اليدين كذا من ركبتيه   كتف وسائر خصلات من

على تناسب أعضاء ومقربة   كأنه صبّ بالقالب في صمم

في علو رقبته ترى لها مثلا   كأنها درة مصبوبة الرقم

وشعره في سواد المسك   بل يأخذ المسك منه نفحة

مادام غاب عن الألحاظ   فليعلم الوصف للذكرى لدى

حب الرسول الحبيب فرض   وعلم أوصافه من واجب

أما اللباس فلم ينظر لأحسنه   ولا للبس علا في القدر

وكان يلبس ماقد كان صادفه   مع الشكر لله على النعم

ويستحب الثياب البيض ان   له وللغير من عرب ومن

وكان يعجبه الخضر كذا   من اليماني مهما جاء من

له قميص على الجسم   فرجية وقباء حائز القيم

له كساء وسيع يشمل البدنا ... له ازار لنصف الساق لا

له سراويل حسب النقل إذ ... وأنكر البعض ذاك القول

له قلنسوة بيضاء يلبسها ... وقد يكون لها الأذنان في

اما عمامته فالحجم معتدل ... من اذرع ستة او زاد في

على القلنسوة أو وحدها ... له اقتناع بها في البرد

أرخى ذوائبها في وسط ظهر ... قد أرخيت عند يمنى الكتف

سوداء في المنبر، صفراء ... بيضاء صورتها إذ راح في

في فتح مكة كان اللون ... إذ فيه مهابة قدر لأولي

وعندما جاءه وفد من العرب ... يلبس ما قد يليق بأولي

وجبة من طراز الروم يلبسها ... على مناسبة في وقت

والكم لا يتعدى الرسغ من ... وذاك في اعتدال حائز

وقد يرى حلة حمراء يلبسها ... فتعجب الناس في الحسن

وطيلسان على الأكتاف   أحسن بلبس يزين صاحب

وشعر رأسه في اوسط   فلَمة تصل المنكب في

أوسطه جمة يصل أذنيه قد   أدناه في خده فخذه وافتهم

ولم يحلق سوى في نسك   وذا شعار يوري ناسك

يقص شاربه، يترك لحيته   لا يأخذ من عرضها وطولها

كان له خاتم من فضة   وفصه الجزع من حبش بلا

واتخذوا خاتماً له وقد   فيه اسمه للمكاتيب على

محمد[69]، فرسول فوقه، وترى   لفظ الجلالة فوق الكل

وكان في الخنصر اليمني له   جواز ذلك في اليسرى بلا

وخفه كان من جلد ويلبسه   للمسح بعد اغتسال الرجل

وكان خشناَ قوياَ قابلاً لادنى   تتابع المشي في حل وفي

ونعله كان من جلد وقد   مثاله للتشفي من أذى

[69] في المخطوط نقشت

وكلما وضعوا في موضع ... أتى النجاة لمعلول من

وجانب الجبة الحسني إذا ... في الماء يشربه المرضى

نموذج من لباس المصطفى ... وقس على الباب ما في

يا أيها العاقل الموصوف ... بالعقل بالعلَم بالانصاف

خذ الحقائق واسلك مسلك ... ولا تكن مائلا للجهل والنقم

الأَرض تشرق بالذكر الحكيم ... تلاه جمع أولو الاخلاص

وكعبة الله أرض شرفت ... مستقبلها من الحل ومن

والحجر مادة جامدة شرفت ... تناله شفة من كل ملتثم

تابوت موسى له من ربنا ... سكينة ودواء لأولي السقم

فيها عصاه وتوراة لها شرف ... من نشرها ذكريات الخير

فهل أتاك دليل في جمودك ... مخلفات الرسول سيد الأمم

محاسن شعره في نشرها ... سجادة بسطها التوسيع

وقد تشفى بها الأصحاب ... لهم محنة أو هجمة السقم

فاجعل على رأسك النعلين ... وامسح بجلدهما العينين في

يا ليتني مسني إذ مسنى ... نعلاه كي تتعالى بالخير

بحث معجزاته صلى الله عليه وسلم

وجودك الأنور المعجب ... يعجز عن دركها أفهام

خلقت نوراَ منيراَ رافعاَ لهوى ... ورافعاَ لغبار الظلم والظلم

وخلقك الأكمل الأعلى ... تعجز عن نيلها مقام ذي

صبر، وصدق، وعلم، ثم عهدٌ ... جهد على محنة الأيام

واستقامة حال المصطفى ... لحد الإعجاز للإنسان ذي

وتلك اركان بيت الفضل في ... فصارت مصابيح نور الكون

خمود نار المجوس من شعار ... راح الهوى وأتى الأنوار

طاح مدار للأصنام المشركة ... راح خوار العجاجيل على

تبديل أقذار اتباع الهوى   تحويل الأهواس بالأقدار
في ملة استمرت بالمئات   عبادة الوثن المحروم
أكبر معجزة في عالم البشر   بشرى السعادة بالتخليد
وشق صدرك أيام الصبا كرم   مثال معجزة تأتي على قيم
أمانة الشخص بين الناس   يشرح صدرك للأحكام
ورفع خلف قريش كان في   الأسعد الأسود الموضوع
تمزيق أصحاب فيل الهدم   إرهاص قدركم الأعلى لدى
وغيرها من كرامات لكم   ظهور نار القرى ليلاً على
لاسيما خارق القرآن إذ نزلا   لفضل الإرشاد والإيقاظ
وشرع الأحكام علما كانت أو   ونزع الأوهام بالإهلاك للأمم
ونشر توحيد رب العالمين   بما أفاد من البرهان والحكم
وشرح اعمال قوم قد مضوا   ونصرة الحق والأخلاق

وثبت الإيمان بالله وبالملك … والكتب والرسل أهل

وبالقضاء من الله وبالقدر … واليوم الآخر والإحياء للأمم

وبالعبادة لله العظيم على … اصول الاسلام في الحرب

شهادتان وخمس صلوات لنا … مع الخشوع والإخلاص لذي

وصوم رمضان قمعاً لهوى … لمن له طاقة الصوم بلا ألم

زكاة الأموال حج البيت … للمستطيع على التفصيل

والذكر لله في الأحوال … سراً وجهراَ ما مكان لمغتنم

وكل ذلك بالإخلاص في … إن الخلاص من الإخلاص

وبحث أحوال هذا الكون إذ … بدقة ونظام كل منتظم

وخلقك اللامع النافع معجزة … سرت نتائجها لكافة الأمم

ولم يكن طاقة الإنسان … فإنها قد أتت من مخزن

صبرت عند الاذى، غمضت … سامحت عند الجفا من ثلة

هجرت أصحاب دين الحق بهجرتين إلى مواطن الغمم

هجرت راحة نفس ألقيت هجرت قومك للشعب من

هاجرت عند وفاق القوم عن لقتل شخص أتى هدية الامم

قبلت اتعاب غار الثور اقبلت درباً خلا عن معبر

وصلت طيبته عن طيب واستقبلتك كرام القوم

وجاء إذنك للحرب وقد أعداد جيشك عند الحل

طهرت مكة من رجس محله نور فيض الحق

ضحت صحابتكم بالمال لنصرة الدين والإيمان للأمم

جزاك رب البرايا كل موهبة يليق من فضله لسيد الأمم

يا سيدي سندي يا ثقة نحن بكم مهتدى في البدء

يا سندي يا رسول الله يا كن لي شفيعا رفيع القدر

مقام محمودكم على كبرى شفاعتكم لكافة الأمم

عبد الكريم عبيد الرب … يا سيدي جد لنا بالفضل

أنت الحبيب الذي ترجى … لكل هول من الأهوال

معجزة الأنبياء موهبة نزلت … من ربهم من سماء الجود

تظهر عند التحدي في … تبدو بها صدقهم في القدر

كرامة غيرها بعد الرسالة إذ … بها انقياد أولي الأفكار

وما أتى قبل ذا إرهاص … بوادر الخير والأفضال

وكل ما نتجت من كسب … صنيعة سهلة من كافة الأمم

محمد اسمك الأوفي لكل ثنا … ذلك إرهاصكم في العلم

توفرت معجزات سيد البشر … فلا مجال لتحرير لدى قلم

من معجزاتك شق القمر في … في أفق العالم المكي

غفل عنه الورى لذلك استترا … الا فلا يختفي قطعا على

ومنه شق الثرى لشجر إذ … تأتي إليك بتسليم من الكلم

تسبيح عين الحصى في ... وراحة الخلفا من معدن

ونبع ماء حديبية خارقة ... وقد ظهرت بين جمع

تكثيركم لطعام قلت مادته ... حيث وفى بجميع الصحب

شكوى البعير لدى البشير ... قد لا يرى مثلها في العرب

إجابة الدعاء معجزة إذ سعى ... به لدفع الأذى والوجع

وهذه معجزات قد بدت ... وشهدت كافة الأصحاب

والبر والبحر والأجواء عالية ... ثم السماوات والتزيين

والدوران وميزان لدورتها ... والكل في فلك خاص على

وما يكون بها من شهب ... راجمة للشياطين على نقم

ووضع كرسيه والعرش من ... وبحث لوح مع البيان للقلم

ومن سباحة سيارات بأفلاكها ... والاهتداء لأهل الأرض

بحيث يحتار عقل العاقلين ... فضلا عن العاجز الأمي في

وفيه أصل النظام للإدارة ... ما يجري بين الورى في

إطاعة الله مع طوع الرسول ... قرر طوع أولي الأمر من

والأمر بالعدل والإحسان ... والأمر بالخير والصلة للرحم

وردّ كل أمانات إلى أهلها ... والسعي في العلم والتعليم

كذا بإعداد كل قوة ممكنة ... لرد كل عدو جائر ظالم

والاعتصام وتوحيد الصفوف ... فيه التشاور مع ذي دقة

وفرض تقوى من الله ... بعد من الكفر والعصيان

وصحبة الصادقين في ... حتى تنالوا رضاء الله ذا

لا فرق في حكمة من بين ... إلا بتقوى وسوق النفع للأمم

يأمر بالسبب المربوط ... وبالتوكل وفق الحق والنظم

ورغب المؤمنين المستعدين ... تفقه الدين حسب قوة

لينذروا قومهم عند الرجوع ... وليقتد الناس بالأعلام

وفوق كل عليم أعلمُ وترى		نظام عالمنا بالفرق منسجم
الدين والنفس والأعراض		والعقل والمال بين الناس
ورغب الناس في الأخلاق		الصبر، والصدق، والانصاف
هذا نظام كتاب الله محترماً		فاعلمه واعمل به، عليه
آمن به واحفظن دستوره		إن الشرافة في القرآن
وارع الأصول تنل أعلى		وارع الفروع تكن في منتهى
وذاك مدلول قرآن وشرعته		بطبق سنة مولى كافة
يعني كتاب هداه سنة ويلي		الاجتهاد والاجماع من الأمم
وماعدا ذاك شر فاجتنبه ولا		تتبع أولى فكرة بالسم
حسب الأنام كتاب باء أوله		مع سين آخرها بسنا بمختتم
هذا الرسول رسول الله		للجن والإنس من عرب
وسيد المرسلين المصطفى		دلت عليه براهين على حكم

أخلاقه جمعت أخلاق كل نبي   كتابه جامع الكتب إلي الأمم
دعوته عامة لكافة الأمم   للجن والانس من عرب
إرساله رحمة للعالمين كما   وكتبه أرسلت لسادة الأمم
خلود معجزة القرآن ذا حِكم   صلوحه لعصور الناس كلهم
الشور والفقه حقا كافيان لنا   في أخذ حكم لكل الأمر
مادام ذاك الرسول سيد   فأمة السيد أعلى من الأمم
الأمرِ بالعرف والنهي عن   دليل خيرية لكل مفتهم
فالصَحب والآل أهل البيت   وغيرهم من أولي التقوى

الاصحاب الكرام

أصحابه كالنجوم في سماء   وذاته الشمس إذ بدت على
بهم سما دين الإسلام لصدر   بهم نما علم الاعلام مع
لهم مناصب علو في   لهمَ عليها شهود دونما نقم

هناك آيات قرآن تدل على　　صعودهم سلم الأحكام

كذا أحاديث خير المرسلين　　يفرقها أهل علم الدين في

بهم سما دين الإسلام إلى　　وانتشر الدين في العرب

آثارهم آية لصدق أعمالهم　　راياتهم تخفق على ذرى

فما الذي بعدها في ذكر　　أصدق بهم في جميع القول

من فضله الفضل لنوع أمته

من فضله الشرف لنوع أمته　　الصحب والآل أهل البيت

الصحب حفاظ قرآنٍ على　　وضابطو سنة المولى بلا

من بلغوا ديننا عيناً بلا خلل　　وبالغوا في بلاغ العلم

تثنى عليهم نصوص الدين　　لكل أهل كمال حاد عن

لهم مباشرة خطاب حضرته　　بأنهم خير أهل الدين كلهم

آيات آخر فتح في مناقبهم　　إعلام الانجيل والتوراة من

وزمرة رضي الله من توصلها رتبة تدنو من العصم

وسورة التوبة سور لكافتهم تكفي الأنام لفوز القدر

للفرد والجمع آيات مناقبهم تهدي لهم نجمة النجاة

تمت لهم حسنات لا حساب ومدهم أحد في القدر

وحسبهم أنهم اختارهم بالوفا لحضرة المصطفى المختار

لاسيما السابقون هجرة إنهم قد سبقوا بالرضا والفضل

وأهل بدر بدور في سما لا كسف لا خسف فيهم في

فحضرة المصطفى شمس بدورها نورهم أعلى من

والخلفاء وهم أهل الصفا والجهد والرشد والإرشاد

بهم سما دين الإسلام لوجه وانتشر الحق بين العرب

آثارهم آية لضوء أنوارهم راياتهم رفرفت في كافة

فما لنا حاجة تأتي ببينة لصدقهم في مجال العلم

والسابقون تراهم صادقين   ومن يخالف أهل الفهم

وكل ذلك من جاه الرسول   بجاهه وصلوا لذروة القسم

وهم أبو بكر الصديق أولهم   صديق حضرته في الحل

مضحياً بحياة النفس في   مفدياَ بجميع المال والحشم

وهو الرفيق الشفيق   لذاك قد خصه لقدوة الأمم

عيّنه مقتدى في حال حوبته   ليستقر له فضل مع الكرم

وصح ان الرسول صار   ليقتدي غيره من علية الأمم

بعد الوفا أجمع الناس بلا   على خلافته العليا على

وهو الذي قام بالأمر على   وهو الذي خدم الدين بلا

بجيشه زال أهل الردة   وأنتصر الحق في الدنيا بلا

وهو الذي جهز الجيش   جيش مسيلمة المحروم من

وهو الذي جهز الجيش   جيش أسامة حسب الأمر

وهو الذي جمع القرآن عن … من موت حفاظه في

من حسن أعماله استخلافه … بعهده في فراش الموت مع

عمر من عمّر الدين بحكمته … وصار في منهج المختار ذي

جهز جيشاً لسعد نحو … أقامَ في كوفة الجند على

فتح أطرافها وجوف أكنافها … محارباَ جيش كسرى صاحب

واحتل عاصمة الحكم لدولته … وبعّد الشر والعدوان عن

وجاء جيش المثنى لمعونته … طوبى لمن عاون الأرباب

فتح أرض عبادان بكاملها … وأرض حلوان والأكراد في

وقف أرض السواد للعراق … قد صح نقل من أهل العلم

واحتل أرض نهاوند بقوته … نداء سارية منه إلى العجم

واحتل مملكة الفرس … شكيمة ذات ابراق من

وفتح الشام والأطراف منها … قرب الحدود من الروم

وفتح المسجد الأقصى على ... راعى حقوق الأنام عند

كذا فلسطين ارض الخير ... وكان للمسلمين أوفر النعم

وأرض مصر مصير النيل ... فصارت الأرض أرض الجود

ورتب الأمر للجيش العظيم ... منهاجه الكامل المستوعب

ودار فتوى كذا دار القضاء ... ما اقتضى الدين للتسهيل

وأرسل العالمين للبلاد هدى ... لمصر للشام للعراق بالهمم

وابن مسعوده في كوفة ... كان إماماً لأهل الفقه

فصارت البصرة العلياء ... للعلم للجيش للأرباح والنعم

قد استقام على دين الهدى ... وكان في عهده الناس على

فصار مستشهدا من ... قضاء من عنده الأحكام

وبعد جرحه قبل الموت قد ... الأمر شورى لست من

وبعدما شاوروا في الأمر ... أختير عثمان للحكم على

عثمان كهف الحيا قلبه عين   وصاحب البذل والإحسان

فاستنهض الناس للإخلاص   وفي الجهاد وفي الإرشاد

فأكمل الفتح في إيران عن   وأوصل الجيش باكو من علا

فصار فيها اختلاف من   حذيفة خاف منه فتنة الأمم

فعاد بالفور من باكو على   إلى المدينة للتدبير بالحكم

مستنهضا فكر عثمان على   يفيد دفع العنا في العرب

مطالباً جمع قرآن على نمط   عليه يتفق القراء من أمم

فقام عثمان في تطبيق ذاك   تشكيل لجنة أهل العلم

فاستجمعوا ما لدى الأصحاب   بخيرة الحيدر الكرار ذي

فاستنسخوا ست نسخات   على وفاق قريش أشرف

وأثبتوا باقي اللهجات   حفظا لها بدوام الدهر في

لمصر، للشام، للحرمين   وللعراق، وللبحرين ملتئم

وأحرقوا ما عداها للحفاظ تطبيقهم وحدة الإقراء في

بذاك قد اشترى عثمان ثالثة خلود جنته بالفوز للنعم

قد ترأس تلك اللجنة الشرفا علي العالي بالعلم وبالحكم

فذلك الأمر بالإجماع كان رضى الجميع من الأصحاب

واستشهد الشيخ عثمان على من ربه خطه في اللوح

وقام من بعده باب العلوم ببيعة الكل أهل الحل

من أعلم القوم أو من كان من كان أتقى وأنقى الناس

أعان أهل الهدى في كل أهان أهل العِدى من

ودّ أبا بكر الصديق منذ بدا إعانة في شئون الحرب

في رد أهل ارتداد بالمكابرة ودفع أهل عناد من أولي

وقمع كذاب أهل الجور اعني مسيلمة الفتان للأمم

وفي زمان ابن خطاب أعانه أموره كأخ بالأخ منسجم

لذاك زوجه البنت الشريفة   رأى له العدل والإيمان
أعان عثمان أيضا في خلافته   وجمعه المصحف المبروك
وكان في عهده يثني على   في كل مجتمع فيه أولو
ويشهد الشاهد المقبول   في كوفة الجند أو في
إياك أن تنسب القول   ان الكرام براء من جفا
لا تسمعن غير ما قلناه من   لا تجرحن قلب أهل الصدق
لاشك في علمه، وفي   وفي تقاه، وفي التوصيف
من كان منبع اوصاف   تأبى طبيعته ماشان من كلم
لو كان نص ببدء في خلافته   ما خالف النص من خوف
والحق للعلوي اتباع علي   في ما ارتضاه له من دونما
فرضي الله عنه وعن الخلفا   مضوا على أمر مولاهم من
بعد الشهادة من طعن   سليل ملجم المحروم من

قام ابنه الحسن الأحسن في بأمر الإسلام بالعهد من
في أشهر ستة وبعدها قد بخبر المصطفى ذي الفضل
نال السيادة من إصلاحه أحسِن به سيداً من سادة
على تنازله عن عرش خدمته علا على عرش عز الجود
رب ارض عنه وعمن قد أو يمضي من خلف بالبعد
أولئك القوم قاموا بالحقائق دين لسيدنا الموصوف
رب ارحمن بنا نحن الضعاف ما عندنا من معاص أو من
واختم لنا عمرا على توحيدنا يا إله الحل والحرم
أولئك الصحب أصحاب جميع من سبقوا في كافة

الآل

وآله المؤمنون الأكرمون من نسل مطلب أو عنصر
أشرفهم أنورُ عليٌّ الحيدر نسله الحسان صاحبا كرم

محمد أمه جارية عالية		أخذها من يد الصديق في

ومنهم قد أتى سلاسل		من حسنٍ أو حسين ثابتي

تضيء أنوارهم تظهر		تنشر آثارهم في الجود

من منبع الأصل والنسل		يومَ القيامة في الخير على

من زبدة الآل جل الأولياء		إرشاد أمته لذروة القمم

اقطابنا الكمل الأربعة		مثل البدور إذا لاحت على

أولها الباز في أوج العلا أبدا		العبد للقادر القيوم ذي

والأحمدان هما الرفاعي		ثمَ الدسوقي إبراهيم ذو

والشاذلي أبو الحسن		محمد النقشبند الفرد في

وهو الأدليسي فضلا		وطنه عم إرشادا لدى أمم

اكرمٍ بهم نسبا اكرم بهم		اكرم بهم أدبا للعرب

وأهل بيت لخير الناس خير		اختارهن لبيت سيد الحرم

فإن بيته بيت فيه يشتعل ... مصباح زيت مصفى من جفا

فيه نساء وأزواج مطهرة ... وأمهات لخيار الخلق في

معلمات كتاب الله ذا حكم ... معلمات أحاديث على قيم

سجى إليهن أهل البدو ... يسألن حكم النسا في الحل

فالبيت مدرسة للعلم والأدب ... الطالبات نساء القدر والقيم

وتلك بالحق إحدى حكمة ... وكثرة الأمهات خذه وافتهم

كذلك منها اكتساب النصر ... في عادة العرب العرباء

وإن منها وفاة زوج بعض ... ممن لهم صلة الأرحام

ومن مهماتها تشريع حل لهم ... في زوجة المتبنى من دين

من حكمة الشارع الأعلى ... فيه اتساع على الناس بلا

وكن هن نساء صاحبات هدى ... في عفة ووفاء العهد

إذ (يا نساء النبي) قول الإله ... أكرم منهج خطاب الله

فأذهب الرجس عنهن حتى يلقن ببيت سيد الأمم

وسترهن حجاب الستر ويحتذين حذاء المشي

قولي: (أثناء حجته... الى آخر الأبيات) شروع في ظهـور بـوادر قرب وفاة حضرة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم من نـزول آيات تدل على قربها، منها ما نزل في عرفة من قوله تعالى:

الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا، فإنه لما أعلن إكمال آيات الأحكام، أظهر أنـه لم يبق للرسول بلاغ، ومن ذلـك انتهى الأمـر، ومنهـا نـزول سـورة النصـر في مـنى، فإنـه روي أن هـذه السـورة آخـر سـورة من القرآن الكريم نزلت يـوم النحـر، وهـو صـلى اللـه عليـه وسـلم بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش صلى الله عليه وسلم بعـدها واحداً وثمانين يوما، وفي حديث ابن عباس عنـد الـدارمي: لمـا نزلت (إذا جاء نصر اللـه)؟؟؟ إِذَا جَـاءَ نَصْـرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ دعـا رسول الله صلى الله عليه وسـلم فاطمـة، وقـال:)) نعيت إليّ نفسي ((؛ فبكت، قال صلى اللـه عليـه وسـلم)) لا تبكي، فإنـك أول اهلي لحوقا بي ((. فضحكت.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنـه: أن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال: إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهـرة الـدنيا مـا شـاء، وبين مـا عنـده، فاختـار مـا عنده، فبكى أبو بكر رضـي اللـه عنـه وقـال: يـا رسـول اللـه فديناك بابائنا وأمهاتنا. فعجبنا له. وقال الناس: انظروا إلى هـذا الشيخ يخبر رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم عن عبـد خـيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شـاء وبين مـا عنـده. وهـو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم هو المخير وكـان أبـو بكـر أعلمنـا بـه. فقـال النـبي صلى الله عليه

وسلم إن آمن النـاس عليّ بصـحبته ومالـه أبـو بكـر، ولـو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبـا بكـر خليلا، ولكن أخـوة الإسـلام. لا يبقى في المسـجد خوخـة إلا سـدت إلا خوخـة أبي بكر. رواه الشيخان.

وكانت هذه الخطبة في ابتداء مرضه الذي مات فيه صـلى اللـه عليه وسلم فإنه خرج كما رواه الدارمي معصوب الـرأس حـتى أهوى الى المنبر، ثم بعد الخطبة هبط عنه فما رؤي عليـه حـتى الساعة. فما زال صلى الله عليه وسـلم يعـرض بـاقتراب أجلـه في آخر عمره.

قال الحافظ ابن رجب: وكان ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشـر يومـاً، في المشهور..

وذكر الخطابي: إنه ابتدأ مرضه يوم الاثـنين إذ اختلـف في مـدة مرضـه، فـالأكثر أنهـا ثلاثـة عشـر يومـا. وفي البخـاري: قـالت عائشة رضي الله عنها لمـا ثَقُـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمَرّض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين رجلين تخـط رجلاه في الأرض: بين العبـاس بن عبد المطلب، وبين رجل آخر وهو علي بن أبي طالب. ولمـا اشتد به، وجعه صلى الله عليه وسلم قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسـمع النـاس من البكـاء. قـال مـروا أبـا بكـر فليصـل بالنـاس فعاودته مثل مقالتها. فقال:)) إنكن صواحب يوسف، مـروا أبـا بكر فليصل بالناس ((. رواه الشيخان.

وفي الأنـوار المحمديـة: ونقـل الـدمياطي أن الصـديق صـلى بالناس سبع عشرة صلاة، وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنـير مما عزاه لسيف الدين بن عمر في كتاب الفتوح أن الأنصار لما رأوا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يـزداد وجعـاً أطـافوا بالمسجد. فدخل العباس فأعلمه عليه الصلاة والسلام بمكـانهم واشفاقهم. ثم دخل عليه الفضل فأعلمـه بمثـل ذلـك، ثم دخـل عليه علي ابن أبي طالب كذلك فخرج صـلى اللـه عليـه وسـلم متوكئاً على عليٍ

والفضل، والعباس أمامَه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنـبر، وثار إليه الناس، فحمد الله وأثـنى عليـه، وقـال: ((أيهـا النـاس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم. هل خلد نـبي قبلي في من بعث إليه فأخلد فيكم، ألا وإني لاحق بربي، ألا وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهـاجرين الأولين خـيراً، وأوصـي المهـاجرين فيمـا بينهم فـإن اللـه تعـالى يقـول: ﴿وَالْعَصْـرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّـبْرِ (3)﴾ وإن الأمـور تجـري بـإذن اللـه تعـالى فلا يحملنكم اسـتبطاء أمـرٍ على اسـتعجاله فـإن اللـه عـز وجـل لا يعجل بعجلة أحد، فمن غالب الله غلبه، ومن خـادع اللـه خدعـه ﴿فَهَـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ تَـوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُـوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وأوصيكم بالأنصـار خـيراً فـإنهم الـذين تبـوءوا الـدار والايمـــان من قبلكم، أن تحســنوا إليهم، ألم يشـــاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم، وبهم خصاصــة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبــل من محسـنهم، وليتجـاوز عن مسـيئهم. ألا ولا تسـتأثروا عليهم، ألا وأني فَرَط لكم وأنتم لاحقون بي، ألا وأن موعدكم الحـوض، ألا فمن أحب أن يـرده عليَّ غـداً فليكفـف يـده ولسـانه إلا فيمـا ينبغي، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القسم، فـإذا برّ الناس برهم أئمتهم، وإذا فجروا عقوهم)).

وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود: نعى لنا رسول الله نفسه قبـل موتـه بشـهر فلمـا دنـا الفـراق جمعنـا في بيت عائشة، فقال: ((حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم اللـه، نصـركم اللـه، رفعكم اللـه، آواكم اللـه، أوصـيكم بتقوى الله، وأستخلفه عليكم وأحذركم اللـه إني لكم منـه نـذير مبين، الا تعلـوا على اللـه في بلاده وعبـاده فإنـه قـال لي ولكم ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُـوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـادًا وَالْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقـال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْـوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾)) قلنا: يا رسول الله

متى أجلك؟ قال: ((دنـا الفـراق والمنقلب الى اللـه والى جنـة المأوى)). قلنا يا رسول الله من يغسلك؟ قـال: ((رجـال أهـل بيتي الأدني فالأدني)). قلنا: يا رسول الله فيم نكفنك؟ قال: ((في ثيابي هذه، وإن شئتم في ثياب بيض مصر أو حلة يمنيـة)). قلنـا: يـا رسـول اللـه من يصـلي عليـك؟ قـال: ((إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني، فضعوني على سريري هـذا على شـفير قبري. ثم اخرجوا عني ساعة. فإن أول من يصـلي علي جبريـل ثم ميكائيـل ثم إسـرافيل ثم ملـك المـوت ومعـه جنـود من الملائكـة، ثم ادخلـوا علي فوجًـا فوجـاً فصـلوا عليّ وسـلموا تسليماً، وليبدأ بالصـلاة عليّ رجـال أهـل بيـتي ثم نسـاؤهم، ثم أنتم وقرأوا؟؟؟ واقرؤا السلام على من غاب من أصـحابي ومن تبعني على ديـني من يـومي هـذا الى يـوم القيامـة)). قلنـا: يـا رسول اللـه ومن يـدخلك قـبرك؟ قـال: أهلي مـع ملائكـة ربي. وكذا رواه الطبراني.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وهـو صـحيح يقـول: إنـه لم يقبض نـبي قـط حـتى يـرى مقعده من الجنة ثم يخير، فلما اشتكي وحضـره القبض ورأسـه على فخذي غشي عليه، فلما أفـاق شـخص بصـره نحـو سـقف البيت ثم قـال: اللهم في الرفيـق الأعلى، فقلت: إذا لا يختارنـا. فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

وفي رواية أنهـا أصـغت إليـه قبـل أن يمـوت، وهـو مسـتند الى ظهـره يقـول: ((أللهم اغفـر لي وارحمـني وألحقـني بـالرفيق الأعلى)). رواه البخاري.

ولأحمد من حديث أبي بويهة قـال: قـال لي رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ((أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخـيرت بين ذلـك وبين لقـاء ربي والجنـة فـاخترت لقـاء ربي والجنة)).

ولما تغشاه صلى الله عليه وسلم الكرب، قالت فاطمـة رضـي الله عنها: واكرب أبتاه. فقال صلى الله عليـه وسـلم أنهـا: ((لا كرب على أبيك بعد اليوم)). رواه البخـاري. وفي البخـاري من حديث أنس: أن

المسـلمين بينمـا هم في صـلاة الفجـر يـوم الاثـنين، وأبـو بكـر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسـم بضـحك، فنكص أبـو بكـر على عقبيـه ليصـل الصـف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم يريـد أن يخـرج الى الصلاة. قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليهم بيده صـلى اللـه عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخـل الحجـرة وأرخى السـتر، وتوفي صلى الله عليه وسلم في[70] يومه ذلك.

وعن جعفر بن محمد عن أبيـه قـال: لمـا بقي من أجـل رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ثلاث نـزل عليـه جبريـل فقـال: يـا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضـيلاً لـك وخاصـة لك.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كـان أجـزع النـاس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقـال: لا أسمع أحداً يقول مـات رسـول اللـه إلا ضـربته بسـيفي هـذا. قال: فقالت الناس: يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى المسجد فإذا أنا بـأبي بكـر، فلمـا رأيته أجهشت بالبكاء أي تهيأت فقـال: يـا سـالم أمـات رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم؟ فقلت: إن هـذا عمـر بن الخطـاب يقول: لا أسمع أحداً يقـول مـات رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فأقبـل أبـو بكـر حـتى دخـل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسـجّى فرفـع الـبرد عن وجهه، ووضع فاه على فيه، واستنشق الريح، ثم سجاه، والتفت إلينا فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُـولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، يا أيهـا النـاس من كان يعبد محمدًا فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبـد اللـه فـإن الله حيٌّ لا يموت. قال عمر: فو الله لكأني لم أتل هـذه الآيـات قط. رواه الترمذي.

<217>

---

(70) في المخطوط من

وقد كانت وفاته صلى اللـه عليـه وسـلم يـوم الاثـنين بلا خلاف، ووقت دخول المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء. ودفن يــوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء[71]، وسـبب تـأخير دفنـه مـا وقـع من الاختلاف في موته، وفي محل دفنه.

وغسـل صـلى اللـه عليـه وسـلم ثلاث غسـلات الأولى بالمـاء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور. وغسله عليّ والعبـاس وابنـه الفضـل يعينانـه، وقثم وأسـامة وشـقران مـولاه صـلى اللـه عليـه وسـلم يصـبون المـاء من وراء السـتر. وروى الحـاكم عن علي قـال: غسـلته صـلى اللـه عليـه وسـلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيبـاً حيـاً وميتاً، وجعل علي على يـده خرقـة، وأدخلهـا تحت القميص، ثم اعتصـروا قميصـه، وحنطـوا مسـاجده، ومفاصـله ووضـئوا منـه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عـوداً ونـدا. وكفن صـلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، (والسـحولية أي منسـوبة إلى السـحول قرية من اليمن).

وعن ابن عبد ابن ماجه لما فرغوا من جهـازه صـلى اللـه عليـه وسلم يوم الثلاثاء فوضع على سريره في بيتـه ثم دخـل النـاس عليه أرسالا يُصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النسـاء، حـتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يـؤم النـاس على رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم أحد.

ثم قالوا: أين تدفنونه صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ فقـال أبـو بكـر رضي الله عنـه: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: مـا هلـك (أي مامـات) نـبي قـط إلا يـدفن حيث تقبض روحه. وقال علي: وأنـا أيضـا سـمعته، وحضـر أبـو طلحـة لحـد رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، مس في موضـع فراشـه حيث قبض، وقد اختلف فيمن أدخله قـبره، وأصـح مـاروي: أنـه نزل في قبره علي وعمـه العبـاس وابنـاه الفضـل وقثم، وكـان قثم آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

[71] في المخطوط وقيل ليلة الأربعاء وقيل يوم الأربعاء

وروي أنه بنى في قبره تسع لبنات، وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك.

وفي كتاب (تحقيق النصرة) قال ابن عبد البر: ثم أخرجت أي[72] القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع في قبره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

شرح قولي: (إذ غاب عنا جمال صورة طلعت) هذه الأبيات بيان صورة جسده الشريف.

قال في الأنوار المحمدية: ثم اصطفاه حبيبا باري

منزه عن شريك في فجوهر الحسن فيه غير

أما وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه. رواه الترمذي. وسئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل القمر. رواه البخاري. وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة قال له رجل: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً، وعن ابن

72) في المخطوط يعني

سمرة قال: رأيت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم في ليلـة أضـحيان (أي مقمـرة) وعليـه حلـة حمـراء، فجعلت أنظـر إليـه والى القمر، فلهو في عيني أحسن من القمر.

وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنـه أنـه نعتـه صـلى الله عليه وسلم فقال: لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكـان في وجهه تدوير، والمطهم الكثير السـمن المـدور[73] الوجـه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه، بـل في وجهـه تـدوير قليـل، وقـال أبـو هريرة: كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أسـيل الخـدين. (والأسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة).

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك كان رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمـر، فكنـا نعـرف ذلك منه. وقالت عائشة رضي الله عنها: كـان صـلى اللـه عليـه وسلم إذا سر تبرق أسارير وجهه كأنه قطعة قمر.

وفي حديث جبير بن مطعم عند الطـبراني: التفت إلينـا رسـول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر. فهذا محمـول على صفته. عند الالتفات عن أبي بكر الصديق، وكعب بن مالك كان وجه رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كأنـه دارة قمـر. وروى البيهقي عن أبي اسحاق الهمداني، عن امرأة من همدان قـالت: حججت مـع النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقلت لهـا: شـبهيه. قـالت: كـالقمر ليلـة البـدر لم أر قبلـه ولا بعـده مثلـه. وروى الـدارمي وغـيره عن أبي عبيـدة قـال: قلت لربيـع بنت معوذ: صـفي لي رسـول اللـه. قـالت: لـو رأيتـه قلت الشـمس طالعة. وروى مسلم عن أبي طفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله. فقال: كان أبيض مليح الوجه وكان عليـه الصـلاة والسـلام إذا سر فكأن وجهه المرآة، وكان الجُـدرُ تُـرى في وجهـه، يريـد الجدر المقابلة لوجهه الشريف. وفي حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر. واما بصره الشريف صلى الله

[73] في المخطوط والمكلثم المدور

عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز، بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما والبهيقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله وسلم كان يرى في الليل في الظلمة كما يُرى في النهار في الضوء. وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفي علي ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري))، رواه البخاري ومسلم. وعند مسلم عن رواية أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع والسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي)).

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه. وذكر القاضي عياض في الشفاء: أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما، وعند السهيلي اثنا عشر. وفي حديث ابن أبي هالة: فإذا التفت التفت جميعاً، فأفضى الطرف نظره الى الأرض اطول من نظره الى السماء، وجُل نظره الملاحظة. وهي مفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ.

وعن علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين، أهدب الأشفار مشرب العينين بحمرة، رواه البهيقي. وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين، منهوس القدمين، رواه مسلم. (والشكلة: الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب. وأما الشهلة: فإنها حمرة في سوادها) وعند الدارمي في حديث عن علي رضي الله عنه أنه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان في وجهه تدوير، أبيض مشرب. أدعج العينين، أهدب الأشفار (وهي شعر العين). وعنده أيضا عن علي – رضي

الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة: أهدب الأشفار. وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن. فرآني حبر من أحبار اليهود فقال لي: صف أبا القاسم. فقلت: ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير الحديث، وفيه قال علي: ثم سكت، وقال الحبر: وماذا؟ قلت: هذا ما يحضرني. قال الحبر: في عينيه حمرة، حسن اللحية، ثم قال علي: هذه والله صفته. قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سِفر آبائي، وأنا أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله الى الناس كافة.

وأما سمعه الشريف فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون، اطّت السماء وحقٌّ لها أن تَئِط، ليس فيها موضع اربع اصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى)). رواه الترمذي عن أبي ذر.

وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم: تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء قال: إني لأسمع أطيط السماء، ولا تلام أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه، ملك ساجد أو قائم، (والأطيط الصوت).

وأما جبينه الكريم فقد كان صلى الله عليه وسلم واضح الجبين، مقرون الحاجبين، بهذا وصفه عليٌّ فقال: مقرون الحاجبين صلت الجبين (أي واضحه) وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين. وقال ابن أبي هالة: أزج الحواجب، وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر، ثم قال: سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب.

وعن مقاتل بن حبان قال: أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول: إني خلقتك من غير فحل: فجعلتك

آية للعالمين فإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، فسر لأهل سوران إني أنا الله الحي القيوم لا أزول، صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة، الجعد الرأس، الصلت الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأنجل العينين، الأقني الأنف الواضح الجبين، الكث اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه كان عنقه إبريق فضة. الحديث. (والأنجل الواسع شق العين، والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين).

قال ابن الأثير: والصحيح في صفته صلى الله عليه وسلم أن حواجبه سوابغ من غير قرن كما وصفه صلى الله عليه وسلم به ابن أبي هالة والقني في الأنف طوله، ودقة أرنبته مع حدب قليل في وسطه. وقد وصفه ابن أبي هالة وغيره بأنه كان عظيم الهامة (أي الرأس)، وقال علي كرم الله وجهه: ضخم الرأس. وقال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس (وهي رؤوس العظام) وفي رواية الترمذي: جليل المشاش والكند، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين، والمنكبين (أي عظيمهما). والكند مجتمع الكتفين. وكان صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين أي أعلى الأنف كما وصفه به علي رضي الله عنه. ووصفه أيضا بأقني الأنف، ووصف بالسائل المرتفع الوسط. وقال ابن أبي هالة: أقنى الأنف له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم، والأشم الطويل قصبة الأنف.

وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم فعن جابر رضي الله عنه: أنه كان ضليع الفم. قال ابن أبي هالة: يفتتح الكلام ويختمه باشداقة. يعني لسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم.

ووصفه ابن أبي هالة فقال: أشنب مُفلّج الأسنان والشنب رونق الأسنان وصفاؤها (ومفلج الأسنان أي متفرقها). وقال علي: مبلج

الثنايا. وفي رواية عنه براق الثنايا. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله أفلج الثنيتين إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه. رواه الترمذي. وروى الطبراني وغيره: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن عباد الله شفتين، وألطفهم ختم فم.

عن أبي قرصاص قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا، وأمي وخالتي. فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي: يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل احسن وجهاً، ولا أنقى ثوباً، ولا ألين كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فيه. وأما ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله في عينيه، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. ومج رسول الله في بئر، ففاح منها رائحة المسك وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء يدعو برضعائه، ورضعاء ابنته فاطمة، فيتفل في أفواههم، ويقول للأمهات: لا ترضعنهم الى الليل، فكان ريقه صلى الله عليه وسلم يجزيهم، رواه البيهقي، ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدته يأكل قديدا، فمضغ لهن قديدة، فمضغنها كل واحدة قطعة، فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف. رواه الطبراني. (والخلوف تغير رائحة الفم)، ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة -وكان به شرى- فما كان يشم أطيب منه رائحة. وأعطى الحسن لسانه، وكان قد اشتد ظمؤه. فمصه حتى رويَ.

وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم فكان أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً حتى كأن كلامه يأخذ بالقلوب.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لنفهم عنه، وكان يقول: أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: ((كانت لغة إسماعيل قد درست، فجاءني بها جبريل فحفظنيها)) رواه أبو نعيم. وعن علي رضي الله عنه قلنا: يا رسول الله نحن بني أب واحد ونشأنا معاً وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره. فقال: ((إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر)). قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد طفت في العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك. قال: ((أدبني ربي، ونشأت في بني سعد)). وأما ما يروى (أنا أفصح من نطق بالضاد)، فقال ابن كثير: لا أصل له، لكن معناه صحيح. وأما صوته الشريف صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال: ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الصوت[74]، حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه، حسن الصوت.

وعن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وقد كان صوته عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره. وعن البراء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتك في خدورهن. قالت عائشة رضي الله عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، فقال للناس: اجلسوا، فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم، فجلس في مكانه، وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي: خطبنا رسول

[74] في المخطوط حسن الوجه، حسن الصوت

الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتح الله أسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريش. وأما ضحكه فعن البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى لهواته انما كان يبتسم. (واللهوات جمع لهات وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم). عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المواقع أهله في رمضان، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه. رواه البخاري (والنواجذ الأضراس). وقال ابن أبي هالة: جلّ ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام. قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في مجموع الأحاديث: أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: وإذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ في الجدر (أي يشرق نوره عليه إشراقا كإشراق الشمس عليها). وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان حديث العهد بجبريل لم يبتسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه، بل إذا كان خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه، وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. رواه مسلم. وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت. كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملان، ويسمع لصدره أزيز يبكي لرحمة ميت، وحزناً على أمه وشفقة ومن خشية الله عند سماع القرآن، وأحيانا في صلاة الليل، وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب وما تثاءب نبي قط.

وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفها غـير واحـد بأنه[75] ششن الكفين -أي غليظ أصابعهما- وبأنه عَبلُ الذراعين. رحب الكفين. وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر ابن سمرة. قال: فوجدت ليديه برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار، رواه مسلم. وقال وائل بن حجر: لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه[76] بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك. وقال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله يده فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحة من المسك. وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه ما مسكت حريرا ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن بطال: كانت كفه ممتلئةً لحماً غير أنها مع ضخامتها كانت لينة. وعن معاذ قال: ردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئاً قط ألين من جلده. وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره، فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره، ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام بمنتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وغيره.

ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت عليه يده أسود، وشاب ما سوى ذلك! رواه البخاري في تاريخه. وعن أبي زيد الأنصاري قال: مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله. قال الراوي عنه: فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات. رواه البيهقي وغيره. ومسح عليه الصلاة والسلام رأس حنظلة بن خذيم بيده وقال له: بورك فيك. فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير، والإنسان به الورم فيتفل في يده، ويمسح بطلعته، ثم يقول: بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم، فيذهب

[75] في المخطوط بأنه كان

[76] في المخطوط ثم أتعرف

الـورم. رواه أحمـد وغـيره. وقـد جـاء في بعض الأحـاديث عن جماعة من الصحابة بياض إبطيه.

فعن أنس قال: رأيت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يرفـع يديه في الـدعاء حـتى رأيت بيـاض إبطيـه. قـال الطـبري: ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره. وعن رجل من بني حرشـيش قـال ضـمّني رسـول الله صلى الله عليه وسلم فسال عليّ من عرق إبطه مثـل ريح المسك. رواه الـبزار. ووصـفه علي كـرم اللـه وجهـه فقـال: ذو مسربة، وفُسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة. وعند البيهقي: لـه شـعرات من لبتـه إلى سـرته تجـري كالقضـيب ليس على صدره ولا على بطنه غيرها، ووصفت بطنه أم هانئ فقالت: مـا رأيت بطن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلا ذكـرت القراطيس المثـني بعضـها على بعض. وقـال أبـو هريـرة: كـان صلى الله عليه وسلم أبيض، كأنما صيغ من فضة، رَجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مشاش المنكبين، ومفاض البطن واسعه. والمشـاش رؤوس العظـام، وأخـرج الإمـام أحمـد عن محـرش الكعبي قال: اعتمر النبي صلى اللـه عليـه وسـلم من الجعرانـة ليلاً، فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة. وروى البخـاري كـان صلى الله عليه وسلم بعيد مـا بين المنكـبين، وعن أبي هريـرة: رحب الصدر.

وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسـلم فقـد صـح أن جبريـل شقه، واستخرج منه علقة، فقال له: هذا حـظ الشـيطان منـك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعــاده في مكانه. قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيـط في صـدره. رواه مسـلم. وهـذا الشـق روي أنـه وقـع لـه عليـه الصـلاة والسـلام مرات.

وأما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحـد بأنه شثن القدمين (أي غليظ أصابعهما) وعن ميمونة بنت كروم قالت: رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه، رواه الإمام أحمد وغيره، وقال ابن أبي هالة: خمصان الأخمصين، مسيح القدمين. (والأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان البالغ منه. ومسيح القدمين أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق). وعن عبيد الله بن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدماً. وأما طوله الشريف صلى الله عليه وسلم فقد قال علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل، وهو الى الطول أقرب. رواه البيهقي، ووصفه غيره بأنه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة. وقال ابن أبي هالة: أطول من المربوع، واقصر من المُشَذّب. (والمشذب البائن الطول في نحافة) وهو مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالطويل الممغط (أي المتناهي الطول). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب الى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسب صلى الله عليه وسلم الى الربعة. رواه البيهقي وغيره، وزاد ابن سبع في الخصائص: أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين صلى الله عليه وسلم، ووصفه ابن أبي هالة: بأنه بادن متماسك، أي معتدل الخلق كأن اعضاءه يمسك بعضها بعضا.

وأما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال: سألت أنساً عن شعره صلى الله عليه وسلم فقال: شعر بين شعرين لا رَجِلٌ ولا سبطٌ، لا جَعد ولا قَطِط، كان بين أذنيه وعاتقه. وفي رواية: كان

رجلاً ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه. وفي اخــرى الى أنصاف أذنيه رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وعن عائشة رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمــة ودون الوفرة. رواه الترمذي. وفي حـديث أنس كـان الى أذنيـه. وفي حديث البراء يضرب الى منكبيه وفي حديث أبي رمثة يبلــغ إلى كتفيه، وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة أحسـن منـه. (والجمـة هي الشـعر الـذي نـزل الى المنكـبين، والـوفرة: مـا نـزل الى شحمة الأذنين، واللمة: التي ألمت بالمنكبين).

قـال القاضـي عيـاض: والجمـع بين هـذه الروايـات: أن مـا يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيـه، ومـا خلفـه هـو الـذي يضـرب منكبيه، قال: وقيـل بـل ذلـك لاختلاف الأوقـات، فـإذا غفـل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت الى أنصــاف الأذنين، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك.

وعن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان يسـدل شـعره، وكـان المشـركون يفرقـون رؤوسـهم، وكـان أهـل الكتـاب يسـدلون رؤسـهم، وكـان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيـه بشـيء، ثم فـرق رأسـه رواه الترمــذي وفي صــحيح مســلم نحــوه، (وســدل الشــعر: إرساله، والمراد هنا إرساله إلى الجبين واتخاذه كالقصة). (وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه من بعض). قال العلماء: والفرق سنة، لأنه هو الذي رجع إليه صـلى اللـه عليـه وسـلم والصـحيح جواز الفرق والسدل. لكن الفرق أفضل، والقصة شعر الناصية، يقص حول الجبهة. وعن أم هانئ رضي اللـه عنهـا قـالت: قـدم رسول الله صلى الله عليه وسـلم مكـة ولـه أربـع غـدائر. رواه الترمذي. (والغدائر هي الذوائب، واحـدتها غـديرة) وفي مسـلم عن أنس: كان في لحيته صلى الله عليه وسـلم شـعرات بيض. وفي رواية عنده لم ير من الشـيب إلا قليلا، وفي أخـرى لـه لـو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه، ولم يخضب. وعنده أيضـا لم

يخضب عليه الصلاة والسلام إنما كان البياض في عنفقته، وفي الصدغين، وفي الرأس نبـذا (أي شـعرات متفرقـة). وعن أنس مـا كـان في رأسـه ولحيتـه إلا سـبع عشـرة، أو ثمـاني عشـرة شعرة بيضاء. وعن أبي عمر نحو عشرين، وفي الصـحيحين: أن ابن عمر رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصـفرة. قـال النووي المختار أنه صـبغ في وقت، وتركـه في معظم الأوقـات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق. وعن أنس كان صـلى اللـه عليـه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته. رواه البغوي.

وعن أنس قـال: رأيت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه فما يريـدون أن تقـع شـعرة إلا في يد رجل رواه مسلم. ولم يرو أنه عليـه الصـلاة والسـلام حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمـرة، فتكـون تبقيـة الشعر في الرأس سنة، ومن كره مـع علمـه يجب تأديبـه، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته. وعن محمد ابن سـيرين قـال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس، لأن تكون عندي شعرة منـه أحب إلي من الـدنيا ومـا فيهـا، وكـان صـلى اللـه عليـه وسـلم يأخـذ من لحيتـه من عرضها وطولها رواه الترمذي. وروي عن ابن عباس كان النـبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه.

وأما العانة ففي حديث أنس أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه. وفي حـديث أم سـلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا طلى بدأ بعانتـه وطلاهـا بالنورة وسائر جسـده أهلـه، وحـديث دخولـه الحمـام موضـوع. وأخرج البيهقي من مرسلي[77] أبي جعفر الباقري، كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يسـتحب أن يأخـذ من أظفـاره وشاربه، يوم الجمعة.

وعن عائشة رضي الله عنها كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لا يفـارق سـواكه ومشـطه، وكـان ينظـر في المـرآه إذا سرح لحيته،

[77] في المخطوط مرسل

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة قبل أن ينام ثلاثة في هذه، وثلاثة في هذه. رواه الترمذي وغيره، وزاد أحمد يكتحل بالأثمد، (والأثمد حجر الكحل، اسود يضرب الى الحمرة[78]). وعن محمد بن علي قال: سألت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب؟ قالت: نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر (والذكارة جمع ذكر ما يصلح للرجال وهو مالا لون له).

وأما مشيه الشريف صلى وفي سبيل الله ما لقيت

رواه أبو داود. ولم يكن له ظل في شمس ولا قمر. رواه الترمذي الحكيم. قال ابن سبع: كان صلى الله عليه وسلم نوراً، فكان إذا مشي بالشمس أو القمر لا يظهر له ظل.

---

[78] في المخطوط حمرة

[79] ططط مشيه

وأما لونه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه الصلاة والسلام جمهور أصحابه بالبياض. فمن عباراتهم: كان أبيض مليحاً، كان أبيض مليح الوجه ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره. روى هذا الطبراني عن أبي الطفيل. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال علي كرم الله وجهه أبيض مشرب بحمرة. وفي صحيح مسلم: أظهر اللون. وفي رواية البخاري عن حديث أنس: ليس بأبيض أمهق. وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض بياضه، إلى السمرة. قال البيهقي يقال: إن البياض المشرب[80] بحمرة، والى السمرة ما ضحى للشمس والريح كالوجه والعنق، وأما ما تحت الثياب فهو الأزهر الأبيض.

وأما طيب ريحه وعرقه صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً. قال أنس: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه الإمام أحمد. وعن أم عاصم، امرأة عتبة بن فرقد السلمي، قالت: كنا عند عتبة اربع نسوة، فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب، لتكون أطيب من صاحبتها، ولا يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهناً يمسح به لحيته، ولهو أطيب ريحاً منا. وكان إذا خرج الى الناس قالوا: ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة، فقلت له يوما: إنا نجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك؟ فقال: أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت إليه ذلك. فأمرني أن أتجرد فتجردت، وقعدت بين يديه. وألقيت ثوبي على فرجي، فنفث في يده، ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ. رواه الطبراني.

وروي أيضا قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء، فاستدعى بقارورة، فسلت له فيها من عرقه، وقال

---

(80) في المخطوط المُشرب منه

له: مرها فلتطيب به، فكـانت إذا تطيبت بـه شـم أهـل المدينـة ذلك الطيب. فسُموا بيت المطيّبين.

وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم إذا مـر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحـة الطيب، وقـالوا: مر رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم من هـذا الطريـق، وعن جابر بن عبد الله نحوه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأنــورهم لوناً، لم يصفه واصـف قـط إلا شـبه وجهـه بـالقمر ليلـة البـدر، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلـؤ، وأطيب من المسـك الأذفـر. رواه أبو نعيم. وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال قيلولـة عنـدنا، فعـرق، وجـاءت أمي (وكـانت محرماً لـه من رضـاع) جـاءت بقـارورة، فجعلت تسـلت العـرق فيها، فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال: يا ام سليم ما هــذا الـذي تصـنعين؟ قـالت: عرقـك نجعلـه في طيبنـا وهـو أطيب الطيب. رواه مسلم.

وعن جابر بن سمرة: أنه صـلى اللـه عليـه وسـلم مسـح خـده، قال: فوجدت ليده برداً وريحـاً كأنمـا أخرجهـا من جونـة عطـار. قال غيره: مسها بطيب أم لم يمسـها يصـافح المصـافح فيظـل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصـبي، فيعـرف من بين الصبيان بريحها (أي بريح يد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم التي مس بها رأسه).

لباسه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يتجوز في اللبـاس يعـني يتوسـع، فلا يضيق بالاقتصـار على صـنف بعينـه، ولا يطلب النفيس الغـالي، بل يستعمل ما تيسر. وكانت سيرته صلى الله عليـه وسـلم في ملبسـه أتم وأنفـع للبـدن، وأخـف عليـه، فإنـه لم تكن عمامتـه بـالكبيرة الـتي تـؤذي[81] حملهـا، ولا بالصـغيرة الـتي تقصـر عن وقاية الرأس من الحر والبرد. وكذلك الأردية

[81] في المخطوط يؤذي

والأزر أخف على البدن من غيرها، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول أكمامه ويوسعها، بل كان كمه إلى الرسغ (وهو منتهي الكف عند المفصل) وكان ذيل قميصه وردائه الى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين.

أخرج الترمذي عن الأشعث ابن السليم قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا[82] أنا أمشي بالمدينة إذا انسان خلفي يقول: ارفع ازارك فإنه أتقى وأنقى. فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله انما هي بردة. قال أما لك فيَّ أسوة؟ فنظرت فإذا إزاره الى نصف ساقيه. وكان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب يلبس[83] تحتها القلانس اللاطئة، (والقلانس جمع قلنسوة، وهي غشاء مبطن يستر الرأس).

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وفي رواية أنس عند البخاري: دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح وعلى رأسه مغفر[84] (وهو زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس) ويجمع بينهما بأن العمامة كانت فوق المغفر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم يدير كور عمامته ويغرسها من ورائه، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه. رواه ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم. وروى ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة سدَلَ طرفها على منكبي، وقال: إن الله أمدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة، وقال: إن العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضاء. رواه الدمياطي، (والكمة القلنسوة). وعن أبي كبشة الأنماري قال: كانت كمام، وفي رواية اكمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا. رواه الترمذي. وهي جمع كمة القلنسوة، يعني أنها كانت مسطحة غير منتصبة، وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه

[82] في المخطوط بينما
[83] في المخطوط ويلبس
[84] في المخطوط المغفر

وسلم القميص رواه الترمـذي عن أم سـلمة رضـي اللـه عنهـا، وعن معاوية ابن قرة عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم في رهـط من مزينـة لنبايعـه، وإن قميصـه لطلـق الأزرار، أو قال: زر قميصه مطلق. قال: فأدخلت يدي في جيب قميصه، فمسست الخاتم. رواه الترمذي.

وعن أنس قال: كـان أحب الثيـاب الى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم يلبسه الحبرة. رواه الترمذيـ (والحـبرة ضـرب من البرود فيه حمرة)ـ وعن أبي رمثة قال: رأيت رسول الله صـلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضرانـ رواه الترمذيـ وعن أبي يعلى عن أبيه قال: رأيته صلى الله عليه وسـلم يطـوف بـالبيت مضـطبعاً بـرد أخضـر (رواه أبـو داود) وعن المغـيرة بن شـعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي. وعن أبي ذر رضي اللـه عنـه أتيت النبي وعليه ثوب أبيض رواه البخاري. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف، وكـان لـه صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسـه ويقـول: إنمـا أنـا عبـد ألبس كمـا يلبس العبـدـ رواه الشـيخان. وعن جـابر بن سـمرة رضي الله عنه قال: رأيت النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إليه والى القمر وعليه حلة حمــراء، فإذا هو أحسن عندي من القمر، رواه الدارمي والترمذي.

وعن أبي جحيفة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليــه حلـة حمـراء كـأني[85] أنظـر إلى بريـق سـاقيه. وعن الـبراء بن عازب قال: ما رأيت أحـداً أحسـن في حلـة حمـراء من رسـول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي. وفي رواية البخاري ومسلم: رأيته صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه. وفي رواية لأبي داود: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

[85] في المخطوط كأنني

(واللمـة شـعر الـرأس دون الجمـة). وفي روايـة النسـائي: مـا رأيت رجلاً أحسن في حلة حمـراء من رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم (والحلـة ازار ورداء ولا تكـون حلـة إلا من ثـوبين أو ثوب له بطانة).

وأما صفة إزاره صلى الله عليـه وسـلم فعن أبي بـردة ابن أبي موسى الأشعري قال: أخرجت إلينا عائشة كسـاء وإزارا غليظـا فقالت: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين. رواه البخاري. وفي روايـة كسـاء ملبـدا. قـال ابن الأثـير: أي مرقعـا، وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصـفق حـتى صـار يشـبه اللبـد. عن عائشة أيضا قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وســلم ذات غـداة وعليـه مـرط مرحـل بشـعر[86] أسـود رواه مسـلم. (والمـرط كسـاء من صـوف أو خـز يـؤتزر بـه) قـال النـووي: والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة. أي عليه صور رحال الإبـل. ولا بـأس بهـذه الصـور وإنمـا يحـرم تصوير الحيـوان. وعن عـروة أن طـول رداء النـبي أربعـة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر. وعنه أيضا: أن ثـوب رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم الـذي كـان يخـرج فيـه رداء أخضـر في طـول أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر.

وعن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام ابن عبد الملك بـرد النبي من حبرة له حاشيتان. وعن ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعليـه ازار يتقعقع. وعن يزيد ابن أبي حبيب أنه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الإزار بين يديه، ويرفعه من ورائه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يـأتزر تحت سرته وتبدو سرته، ورأيت عمر يأتزر فـوق سـرته. رواهـا كلها الدمياطي.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضـي اللـه عنهـا: أنهـا أخـرجت جبـة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج. وفرجاهـا مكفوفـان بالـديباج، وقالت: هذه جبة

[86] في المخطوط من شعر

رسول الله كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها ونحن نغسلها للمرضى ونستشفي بها. رواه مسلم. وقولي جبة طيالسة بإضافة جبة الى طيالسة وكسروانية نسبة الى كسرى، ولبنة رفعة في جيب القميص، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبدر منه إلا طيب، كان آية ذلك في بدنه، الشريف أنه لا يتسخ له ثوب، وقيل: ولم يقمل ثوبه، ونقل الفخر الرازي: أن الذباب لا يقع على ثيابه صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يمتص دمه البعوض، وعن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع. وفي رواية يكثر التقنع. قال العراقي: التقنع تغطية الرأس بطرف العمامة أو برداء أو نحو ذلك.

خاتمه صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من وِرق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس. وفي الصحيحين أيضا عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبش، وكان يجعل فصه مما يلي كفه، وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى، وقيصر، والنجاشي فقيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً الا بختم، فصاغ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله، وإنما لبسه أبو بكر لأجل ولايته، فإنه كان يحتاج إليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إليه، وكذلك عمر، وعثمان رضي الله عنهم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب، فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتم الذهب. قال: فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر؛ فألقاه، ونهي عن التختم بالذهب.

وأمـا فص خاتمـه عليـه الصـلاة والسـلام فعن أنس: أن النـبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من فضـة فصـه منـه. أخرجـه البخاري ومسلم وغيرهما، وفي صحيح مسلم: أن خاتمـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان فصـه حبشـياً، أي من جـزع أو عقيـق ومعدنهما بالحبشة واليمن.

وأما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صـحيح مسـلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صـنع خاتماً من ورق نقش فيه محمد رسول الله، وقـال للنـاس: إني اتخذت خاتمـاً من فضـة ونقشـت فيـه: محمـد رسـول اللـه فلا ينقش أحـد على نقشـه. وفي روايـة الترمـذي والبخـاري: كـان نقش الخاتم ثلاثة أسطر، محمد سـطر، ورسـول سـطر، واللـه سطر. وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان خاتم رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم في هـذه وأشـار إلى الخنصـر من يـده اليسـرى. وعن حمـاد بن أبي سـلمة قـال: رأيت ابن أبي رافـع يتختم في اليمين، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه رواه الإمام أحمد وغيره.

وكان عليه الصلاة والسلام يتختم وربما خرج وفي خاتمـه خيـط مربوط ستذكر[87] به الشيء رواه ابن عدي وغيره.

وأما السراويل: فقد جـزم بعض العلمـاء بأنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لم يلبسـها، لكن قـد ورد في حـديث عنـد أبي يعلى الموصلي بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: دخلت السوق يوما مع رسول اللـه صـلى الله عليـه وسـلم فجلس الى الـبزازين، فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السـوق وزان يـزن، فقال له صلى الله عليه وسلم: اتّزن وأرجح. فقـال الـوزان: إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد. قال أبو هريرة: فقلت لـه كفى بـك من الـوهن والجفـاء في الـدين أن لا تعـرف نبيـك. فطـرح الميزان، ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يريـد أن يقبلها. فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه وقـال: يـا هـذا إنما يفعل هذا الأعاجم وملوكها،

[87] في المخطوط يستذكر

ولست بملك إنما أنا رجل منكم. فَوزِن فأرجح، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل. قال أبو هريرة: فذهبت لأحمله عنه. فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم. قال: يا رسول[88] الله فإنك لتلبس السراويل؟ فقال: في السفر والحضر، وبالليل والنهار. فإني أمرت بالستر. فلم أجد شيئاً أستر منه. وقد صح شراء الرسول للسراويل.

وأما الخف: فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ فمسح عليهما. وعن مغيرة بن شعبة قال: أهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما.

وأما نعله فعن أنس: أن نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لهما قبالان (والقبالان تثنية قبال، وهو زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين) وعن عبد بن جريج أنه قال لابن عمر: رأيتك تلبس النعال السبتية، قال: إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها. وعن عمرو ابن حريث قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره. رواه الترمذي. وأفردَ تمثال نعله صلى الله عليه وسلم بالتأليف غير واحد.

وبعد ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخاً صالحاً، قال: حذوت هذا المثال لبعض الطلبة، فجاءني يوما فقال لي: رأيت البارحة من فضيلة هذا النعل عجبا: أصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله للحين.

[88] في المخطوط قلت يا رسول الله

وممن أفـرد التمثـال الشـريف بالتـأليف أبـو إسـحاق السـلمي الأندلسي المشهور بابن الحاج قال: قال أبو القاسم ابن محمد: ومما جرب من بركته أنه من أمسكه عنـده متبركـاً بـه كـان لـه أمانـاً من بغي البغـاة، وغلبـة العـداة، وحـرزا من كـل شـيطان مارد، وعين كل حاسد، وأن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقـد اشتد عليها الطلق تيسـر أمرهـا بحـول اللـه وقوتـه. ولأبي بكـر القرطبي رحمه الله.

ونعل خضعنا هيبة لبهائها ... وانا متى نخضع لها أبدا نعل

نضعها على أعلى المفارق ... حقيقتها تاج وصورتها نعل

بأخمص خير الخلق حازت ... على التاج حتى باهت

طريق الهدى عنها استنارت ... وإن بحار الجود من فيضها

سلونا ولكن عن سواها وإنما ... نهيم بمعناها الغريب وما

فما شاقنا مذراقنا رسم ... حميم ولا مال كريم ولا

شفاء لذي سقم، رجاء ... امان لذي خوف كذا يحسب

وأمـا فراشـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـد كـان عليـه الصـلاة والسلام أخذ من ذلك بما تدعو ضرورته إليه. فعن عائشة رضي الله عنها: إنما كان فراش رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. رواه الشـيخان وروى الـبيهقي من حديثها قالت: دخلت عليّ

امرأة من الأنصار فـرات فـراش رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قطيفة مثنية فبعثت إليّ بفراش حشوه الصـوف. فـدخل عليّ النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: مـا هـذا يـا عائشـة؟ قلت: يـا رسـول اللـه فلانـة الأنصـارية دخلت فـرأت فراشـك، فبعثت إليّ. فقال: ((رُديه يـا عائشـة فواللـه لـو شـئت لأجـرى الله معي جبال الذهب والفضة)).

وروى الطـبراني عن عبـد اللـه بن مسـعود قـال: دخلت على رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو في غرفـة كأنهـا بيت حمام، وهو نائم على حصـير قـد أثـر بجنبـه، فبكيت. فقـال: مـا يبكيك يا عبد الله؟ قلت: يا رسول الله كسـرى وقيصـر يطـأون على الخز والديباج والحرير، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر في جنبك. فقـال: ((لا تبـك يـا عبـد اللـه. فـإن لهم الـدنيا ولنـا الآخرة)). وعن عمر بن الخطاب رضـي اللـه عنـه قـال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهـو على حصـير قـال: فجلست فإذا عليه أزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثــر في جنبه، وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع، وإذا إهـاب معلـق فابتدرت عيناي. فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي اللـه ومـالي لا أبكي وهـذا الحصـير قـد أثـر في جنبـك، وهـذه خزائنــك لا أرى فيهــا إلا مــا أرى، وذاك كســرى، وقيصــر في الثمار، والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزائنه! قـال: يـا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنـا الآخـرة ولهم الـدنيا؟ رواه ابن ماجه بإسـناد صـحيح، والحـاكم، وقـال: صـحيح على شـرط مسلم ولفظه قال عمر: رضي الله عنـه اسـتأذنت رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة، وإنه لمضـطجع على خصــفة، وإن بعضــه لعلى تــراب، وتحت رأســه وســادة محشــية ليفــاً، وان فــوق رأســه لأهــاب عطين، وفي ناحيــة المشربة قرظ، فسلمت عليـه، وجلسـت وقلت: أنت نـبي اللـه وصفوته، وكسرى، وقيصر على سرير[89] الذهب وفرش الديباج والحريـر؟ فقـال: أولئـك قـوم عجلت لهم طيبـاتهم في الـدنيا، وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا.

[89] في المخطوط سرر

(والمشربة الغرفة يصعد إليها بدرجة، والخصفة وعاء من خوص للتمـر، والإهـاب الجلـد، والعطين المنتن. والقـرظ ورق السـلم الذي يدبغ به) ورواية الاهـاب والعطين بـدون الـف مـع كونهمـا منصوبين على لغة ربيعة، إنتهى.

وأمـا نومـه فقـد كـان عليـه الصـلاة والسـلام ينـام أول الليـل ويسـتيقظ في أول النصـف الثـاني، فيقـوم فيسـتاك، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتـاج، ولا يمنـع نفسـه إليـه منـه، وكان ينام على جنبه الأيمن. ذاكراً الله تعالى حتى تغلبـه عينـاه غير ممتلئ بطنه من الطعام والشراب.

معجزاته عليه الصلاة والسلام

إعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة يخلقه اللـه تعـالى لرسـوله عند التحدي، ويقصد به إثبات صدق دعواه للرسالة، وأما ما عدا ذلك من الخوارق الظاهرة المخلوقة له بدون التحدي، فإن كان بعد الرسالة فكرامـة وليسـت تسـمى معجـزة، وإن كـان قبلهـا فيسـمى إرهاصـا (أي تأسيسـاً وبنـاءً لظهـور الرسـل وإرسـال الباري تعالى لهم الى الأمة). وقد تطلق المعجزة على ما ظهـر في غير مقام التحدي ونحن نمشي على ذلـك. وعلى كـل حـال فـالخوارق الظـاهرة على أيـدي الرسـل ليس للاكتسـاب فيهـا مجال، وإنما هي موهبة لهم وإعلاء درجاتهم ولإثبـات رسـالتهم، ومعجـزات الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم كثـيرة من أهمهـا القرآن الكريم، وقد ذكرنا نبذة من بيان كونه معجزة.

وأما غيره منها فكثير، ذكـر أصـحاب السـير مـا أمكنهم ووفقهم الله تعـالى لبيانـه كنبـع المـاء من بين أصـابعه، وتكثـير الطعـام القليل وانشقاق القمر، ونطق الجماد فمنه ما وقع التحـدي بـه، ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدٍ، ومجمـوع ذلـك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسـلم معجـزات كثيرة.

أما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿اقْتَـرَبَتِ السَّـاعَةُ وَانْشَـقَّ الْقَمَـرُ﴾، والمـراد وقـوع انشـقاقه، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك

﴿وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، واعلم أن القمر لم ينشق لأحدٍ غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلى الله عليه وسلم فإن كفار قريش لما كذبوه، ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دالة على صدقه في دعواه الوحدانية لله تعالى.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعادلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجة من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمح في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به. السُّفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك. رواه أبو داود وغيره.

وعن ابن عباس لما اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث ونظراؤهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه، فانشق. رواه أبو نعيم، ورواه البخاري مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ: إن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما. قال ابن عبد البر قد روي هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة. وروى عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى أن انتهى إلينا. وتأيد بالآية الكريمة انتهى.

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما، وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره.

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له صلى الله عليه وسلم وبالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار، فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي حديث أبي ذر قال: تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن. رواه البزار والطبراني. وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحدٍ منا، وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام، ونحن نسمع تسبيح الطعام، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفاء.

ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرّج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن. وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الأسود، وقيل حجرٌ غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، ويقولون: إنه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز به. وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ((لما استقبلني جبريـل بالرسـالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يـا رسـول اللـه)). رواه البزار وأبو نعيم.

ومن ذلك تسليم اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائـه عليـه الصلاة والسلام عن أبي أسيد الساعدي قال: قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب: ((يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم، فـإن لي فيكم حاجـة. فانتظروا حتى جاء بعدما أضـحى، فـدخل عليهم فقـال: السـلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ورحمة اللـه وبركاتـه. قـال: كيـف أصبحتم؟ قالوا: أصـبحنا بخـير بحمـد اللـه. فقـال لهم: تقـاربوا، فتقـاربوا يزحـف بعضـهم إلى بعض، حـتى إذا أمكنـوه اشـتمل عليهم بمُلاءَة. فقال: يا رب هـذا عمي وصـنو أبي وهـؤلاء أهـل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هـذه)). فـأمّنت اسكفة البيت، وحوائط البيت فقـالت: آمين آمين رواه الـبيهقي وغيره

ومن ذلك كلامه للجبـل وكلام الجبـل لـه: عن أنس رضـي اللـه عنه قال: صعد النبي صلى الله عليـه وسـلم وأبـو بكـر، وعمـر، وعثمان أحداً، فرجف بهم، فضربه النبي صلى الله عليـه وسـلم برجله وقال: أثبت أُحُد، فإنمـا عليـك نـبي، وصـديق، وشـهيدان. رواه البخاري وغيره. وأحد جبـل بالمدينـة وهـو الـذي قـال فيـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((أحُـد جبـل يحبنـا ونحبـه)). رواه البخاري، ومسلم. وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريـد؟ قـال: الى اهلي. قال: هل لك الى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأن محمـدا عبـده ورسـوله. قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قـال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة، فدعاها رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا،

فقـامت بين يديـه فاستشـهدها ثلاثـاً فشـهدت، ثم رجعت الى منبتهاـ رواه الحاكم وغيره.

ومن ذلك حنين الجذع شوقاً إليه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهي آية كـبرى من أكـبر الآيـات والمعجـزات الدالـة على نبـوة نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم قـال الإمـام الشـافعي رضـي اللـه عنه ما أعطى الله تعالى نبياً ما اعطاه نبينـا محمـدا صـلى اللـه عليه وسلم فقيل له أعطي عيسى إحياء المـوتى. قـال: أعطي محمد صلى الله عليه وسـلم حـنين الجـذع حـتى سـمع صـوته. فهي اكبر من ذلك. قال القاضـي عيـاض: حـديث حـنين الجـذع مشـهور مستشر[90] والخـبر بـه متـواتر أخرجـه أهـل الصـحيح، ورواه من الصحابة بضـعة عشـر منهم أبي بن كعب، وجـابر بن عبد الله، وأنس بن مالـك، وعبـد اللـه بن عمـر، وعبـد اللـه بن عبـاس، وسـهل بن سـعد، وأبـو سـعيد الخـدري، وبريـدة، وأم سلمة، والمطلب ابن أبي وداعة، انتهى

والقصـة واحـدة وإن تغـايرت بعض ألفاظهـا، وهي أن مسـجد النبي صلى اللـه عليـه وسـلم كـان مسـقوفاً على جـذوع نخـل، فكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى الجذع[91] منها، فصنع له المنبر ثلاث درجات ليسمع النـاس خطبتـه لمـا كـثروا، فلما قعد صلى الله عليه وسـلم عليـه خـار الجـذع حـتى تصـدع وانشق. وفي رواية: فصاحت النخلـة فـنزل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وضـمها إليـه فجعلت تئن أنين الصـبي الـذي يشكي. وفي رواية فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصـوت العشـار. وفي رواية: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوع. (وهي التي انتزع منها ولـدها) فمـا زالت تحن حـتى نـزل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عن المنـبر فمشـى إليهـا فاحتضـنها فسكتت. وفي رواية خار الجذع كخوار الثور حزنـاً على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم حـتى ارتج المسـجد لخـواره. فـنزل إليه رسول

[90] في المخطوط منتشر
[91] في المخطوط جذع

الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكتت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لو لهم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله)). فامر به صلى الله. عليه وسلم فدفن.

وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة. تفيد القطع بوقوع ذلك، وقال العلامة التاج ابن السبكي: الصحيح عندي. إن حديث الجذع متواتر. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: حنين. الجذع، وانشقاق القمر كل منهما نقل نقلاً مستفيضاً، نقلاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث، وقال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف. قال أبو القاسم البغوي: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى. ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً الى الله لمكانه منه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وأما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه إليه صلى الله عليه وسلم: عن أنس بن مالك – رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، فاستصعب. عليهم، ومنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، قوموا، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله قد صار الجمل مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عليّ منه بأس، فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كان قط حتى أدخله في العمل، فقال له: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. فقال صلى الله عليه وسلم: لا يصلح لبشر أن يسجد البشر، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه أحمد والنسائي. (والحائط هو البستان. وقوله نسنى أي نسقي عليه).

وفي حديث يعلى ابن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مررنا ببعير يسنى عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاءه فقال: بعنيه. فقال: بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره. فقال: أما إذا[92] ذكرت هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه. رواه البغوي في شرح السنة. (والجران مقدم عنق البعبر من مذبحه الى منحره).

وأخرج ابن شاهين عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فأتاه فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. فقال: ((ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتُدئبه)). قال في المصابيح وهو حديث صحيح. (وذفراه تثنية ذفرى، وهو الموضع الذي يعوق من قفا البعير عند أذنه).

ومن ذلك حديث الضّبّ ذكره القاضي عياض في الشفاء. وقد روى من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً في كمه ليذهب به الى رحله

[92] في المخطوط إذ

فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعـة قـال: من هـذا؟ قـالوا: نـبي الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعـزى لا آمنت بـك أو يـؤمن هـذا الضـب، وطرحـه بين يـدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ضب. فأجابه بلسان مبين يسمعه القـوم جميعـاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قـال: من تعبـد؟ قـال: الـذي في السـماء عرشـه، وفي الأرض سـلطانه، وفي البحـر سبيله، وفي الجنـة رحمتـه، وفي النـار عقابـه. قـال: فمن أنـا؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صـدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

ومن ذلك حديث الغزالة رواه كثير من أئمة الحـديث من طـرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً، فعن أم سلمة قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الأرض، إذ هاتف يهتف يـا رسول الله ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشـدودة في وثـاق، وأعــرابي منجــدل في شــملة نــائم في الشــمس. فقــال: مــا حاجتك؟ قالت: صـادني هـذا الأعـرابي، ولي خشـفان في ذلـك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجـع. قـال: وتفعلين؟، قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أعد. فأطلقهـا فـذهبت، ورجعت فأوثقها النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فانتبـه الأعـرابي وقال: يـا رسـول اللـه ألـك حاجـة؟ قـال: تطلـق هـذه الغزالـة، فخرجت تعدو في الصحراء فرحـاً وهي تضـرب برجليهـا الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ومن ذلـك داجن الـبيوت وهـو مـا ألفهـا من الحيـوان كـالطير، والشاة وغيرهمـا. روى قاسـم بن ثـابت عن عائشـة عنهـا وعن والديها قالت: كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم قـرّ وثبت مكانـه فلم يجيء، ولم يـذهب واذا خرج رسول الله جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده.

وأما نبع الماء الطهور من بين أصـابعه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهو أشرف المياه. فقد روى أحاديثه جماعة من الصحابة منهم

أنس وجـابر، وابن مسـعود وابن عبـاس، ففي الصـحيحين عن أنس رضي الله عنـه قـال: رأيت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وقـد حـانت صـلاة العصـر، والتمس النـاس الوضـوء فلم يجدوه، فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضـوء، فوضـع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا من ذلك الانـاء حـتى توضـأ القـوم. قـال راويـه: قلت لأنس: كم كنتم؟ قـال: كنـا ثلاثمائة.

وعن أنس أيضاً قال: كنت مع النبي صلى الله عليـه وسـلم في غزوة تبوك فقـال المسـلمون: يـا رسـول اللـه عطشـت دوابنـا وإبلنا. فقال: هل من فضلة ماء؟ فجـاء رجـل في شـن بشـيء. فقال: هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء. قـال: فرأيتهـا تخلّـل عيونـاً بين أصـابعه. قـال: فسـقينا إبلنـا ودوابنـا، وتزودنا. فقال: اكتفيتم؟ قالوا: نعم اكتفينـا يـا نـبي اللـه، فرفـع يده فارتفع المـاء. رواه ابن شـاهين. وأخـرج الـبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قبـاء فـأتي من بعض بيـوتهم بقـدح صـغير، فأدخـل يـده فلم يسـعه القدح، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يـدخل إبهامـه، ثم قال للقـوم: هلمـوا إلى الشـراب. قـال أنس: بصـر عيـني ينبـع الماء من بين أصابعه، فلم يزل القوم يَـرِدون القـدح حـتى رووا منه جميعاً.

وأما حديث جابر: ففي الصـحيحين وغيرهمـا عنـه قـال: عطش الناس يوم الحديبية، وكان رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه، فقـال: مـالكم؟ قالوا: يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به، ولا ما نشـربه إلا مـا بين يـديك، فوضـع يـده في الركـوة فجعـل المـاء يفـور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشـربنا وتوضـأنا. قـال راويـه: قلت كم كنتم؟ قال جابر: لـو كنـا مائـة ألـفٍ لكفانـا، كنـا خمس عشـرة مائة. (والركـوة إنـاء صـغير من جلـد يشـرب فيـه، والجهش أن يفزع الأنسان الى غيره).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء، فقال: لا والله ما وجدت الماء. قال: فهل من شنٍّ؟، فأتاه بشن فبسط كفه فيه، فانبعث تحت يده عين، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ. رواه الدارمي وغيره. قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه في عدة مواضع، في مشاهد عظيمة من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم فعن أنس قال أبو طلحة الأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه (أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم) ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فسلمت عليه، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك[93] أبو طلحة؟ قلت: نعم. قال: بطعام؟ قلت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا، فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتى أتيت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك. فأتت بذلك الخبز، فأمر به صلى الله عليه وسلم – ففتَّ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته[94]، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: أذن لعشرة فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا،

[93] في المخطوط أأرسلك
[94] في المخطوط فآدمته

ثم خرجوا ثم قال: أذن لعشرة، ثم لعشرة، فـأتت القـوم كلهم، فشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعوهم بفضـل أزوادهم، ثم ادع اللـه لهم عليهـا بالبركـة. فقـال: نعم. فـدعا بنطـع، فبسـط، ثم دعـا بفضل أزوادهم، فجعـل الرجـل يجيء بكـف ذرة، ويجيء الآخـر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالبركـة، ثم قـال: خـذوا في أوعيتكمـ فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاءً إلا ملأوه. قال: فأكلوا حـتى شـبعوا، وفضـلت فضـلة، فقـال رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم: أشـهد أن لا إلـه الا اللـه، وأني رسـول الله، لا يلقى الله بهما عبد غـير شـاك فيحجـز عن الجنـة. رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم عروسا بزينب، فعمـدت أمي أم سـليم إلى تمـر وسـمن وأقط فصنعت حيساً، فجعلتـه في تـورٍ. فقـالت: يـا أنس اذهب بهذا الي رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال بعثت بهـذا إليك أمي، وهي تقرؤك السـلام، فقـال عليـه الصـلاة والسـلام: ضعه. ثم قال: اذهب فادع لي فلانا وفلانـا، رجـالاً سـماهم وادع لي من لقيت، فدعوت من ثمة ومن لقيت، فرجعت فإذا الـبيت غاص بأهلـه. قيـل لأنس: عـددكم كـانو[95] قـال: زهـاء ثلاثمائـة. فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة، فتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشـرة، يـأكلون منـه، ويقول لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه. فـأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة بعد طائفة، حتى أكلـوا كلهم. قـال لي: يا أنس ارفع. فرفعت فما أدري حين وضـعت كـان أكـثر أم حين رفعت. رواه البخـــاري ومســـلم (والاقـــط لبن مجفـــف، والحيس الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط، والتور إنـاء من صخر أو حجارة).

[95] في المخطوط كم كانوا

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث أنه عجن صاع، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزه له حزًّ من سواد بطنها. ثم جعل منها قطعتين فأكلنا أجمعون، وفضل في القطعتين فحملته على البعير. رواه البخاري. وعن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل صفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا تحفة فأكلنا ما شئنا، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع رواه الطبراني وغيره. وعن علي كرم الله وجهه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذع فيشربون الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا. وبقي كأنه لم يشرب منه شيء رواه في الشفاء، (والجذعة من الضأن ما أتي عليها ثمانية أشهر او تسعة، والفرق ما يسع اثني عشر صاعاً، والعس قدح من خشب يروي الثلاثة والأربعة).

ومن ذلك ابراء ذوي العاهات، وإحياء الموتى، وكلامهم، وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة.

روى البيهقي في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلاً إلى الإسلام، فقال: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال صلى الله عليه وسلم: أرني قبرها. فأراه. فقال صلى الله عليه وسلم: يا فلانة. فقالت: لبيك وسعديك. فقال صلى الله عليه وسلم: أتحبين أن ترجعى الى الدنيا؟ فقالت: لا والله يا رسول الله، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً[96] من الدنيا.

وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عزّ وجل ثم رجع مسروراً. قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها. وكذا روي عن حديث عائشة أيضاً أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا

[96] في المخطوط لي

بـــه. رواه الســـهيلي والخطيب. قلت: وهـــذا الإيمـــان إيمـــان للتشريف لهما، وإدخالهمـا في زمـرة أمـة الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم لا إيمان التكليف، لان الإنسان بعد موته ينقطع عنـه التكليف، وأبـواه في حياتهمـا كانـا من أُمـة عهـد الفـترة، وكانـا غـافلين بنص قولـه تعـالى: ﴿لِتُنْـذِرَ قَوْمًـا مَـا أُنْـذِرَ آَبَـاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، وبنصوص آيات أخـرى على أن رسـالة سـيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم كانت على فترة من الرسل وانقطاع من الـوحي. وقـد قـال اللـه تعـالى: ﴿وَمَـا كُنَّا مُعَـذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾، وما روي من أنه صلى الله عليـه وسـلم بين أن أبويـه في النار لا يعارض النصوص القاطعة الـتي تشـهد بخلاف ذلـك. فمثـل ذلـك المـروي إمـا لم يثبت، أو أنـه كـان على ظن من الرسول صلى الله عليه وسلم أنهما في محنـة أو على أن غـير درجـات أهـل الإيمـان كالعـذاب بالنسـبة الى درجـاتهم. وعـدم عذاب أهل الفترة مطلقا هو الذي عليه اعتقاد المسلمين.

وعن معيقل[97] اليماني قال: حججت حجة الوداع، فـدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت منـه عجباً، جاءه رجل من اليمامة بغلام يوم ولـد فقـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: يا غلام من أنا؟ فقال: أنت رسـول اللـه، قال: صدقت، بارك اللـه فيـك، ثم إن الغلام لم يتكلم بعـد ذلـك حتى شب، فكنا نسميه مبارك اليمامة. رواه البيهقي، وعن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسـلم أتي بصـبي قـد شـب ولم يتكلم قط. فقال: من أنا؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي.

وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يـا رسـول اللـه إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتـني تقـذرني. فأخـذها رسـول الله صلى الله عليه

97) في المخطوط معيقب

وسلم وردها الى موضعها، وقال: اللهم اكسه جمالاً. فكانت أحسن عينيه، وأحدّهما نظراً، ولا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله إنه يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وفي رواية مسلم عن أياس ابن ابي سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي صلى الله عليه وسلم فجئت به أقوده أرمد فبصق في عينيه وبرأ. وعند الطبراني عن عليّ: فما اشتكيتهما حتى الساعة. قال: ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذهب عنه الحرّ والقرّ. قال: فما اشتكيتهما حتى يومي هذا.

وأصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه، فنفث فيها رسول الله ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري. ونفث رسول الله في عيني فُديك، وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا فكان يدخل الخيط في الأبرة وإنه لابن ثمانين، وان عينيه لمبيضتان رواه ابن أبي شيبة وغيره.

والحق أن ما ظهر من الخوارق لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سواء كان من قسم الإرهاص كخمود نار فارس، وغيض بحيرة ساوة، وشق شرف أيوان كسرى، ودحر جيش أبرهة... وسائر ما وقع قبل بعثه وإرساله صلى الله عليه وسلم أو من المعجزات كشق القمر، وسجود الشجر، وتكليم الحجر، والكلام مع الوحوش، أو الآيات البينات التي يحتويها القرآن الكريم أو سائر الكرامات من قبيل تكثير الطعام القليل، ونبع الماء بين أصابعه الشريفة، وطيب الأبيار المالحة، واستجابة الدعوات وصل الى درجة لا يبقى مجال الشك لأي إنسان منصف عاقل في أن حضرته صلى الله عليه وسلم كان منبع الرسالة والنبوة والفضائل العلمية والعملية بحيث لا[98] يوازيه فيها أحد، ولا سيما معجزة القرآن، ومعجزة اتصافه

[98] في المخطوط لم

بالأخلاق الحميدة التي أفادها الباري بقوله الكـريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُـقٍ عَظِيمٍ﴾، بـل إن أخلاقـه الكريمـة السـليمة من الصـبر، والصدق، والحلم، والرأفـة والـترحم، والعهـد، والوفـاء بـالعهود، والاستقامة على الحق القويم، والمنهج المسـتقيم، وزهـده عن الدنيا بحذافيرها لأكبر معجـزة من المعجـزات العالميـة الـتي لا معجزة فوقها. والله الهادي إلى الصواب.

قـول النـاظم: (هـذا الرسـول... الى آخـر الأبيـات) معنـاه هـذا الرسول الجليل الذي ذكرنا صورته، وسيرته وشمائله، وأخلاقـه العظيمة ونموذجاً من معجزاته هو الرسول الكريم الذي أرسله الله تعالى فضلًا وإحسانا بالعبـاد لا وجوبًـا وإيجابـاً عليـه أو منـه أرسـله الى كافـة الأنـام من الثقلين الإنس والجن تكليفـاً، وللملائكة تشـريفاً حيث قـال تعـالى: ﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وهو سيد المرسلين من آدم ومن سواه الى الخـاتم بأدلة وبراهين قاطعة:

الأول: أنـه هـو الـذي جمـع هـدي الرسـل كلهم، وحـاز أخلاقهم، لقوله تعالى بعد ذكر الرسل عليهم السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَـدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾، ومن استوعب هـدى الجميـع أفضـل ممن حاز هدى بعض منهم، وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تخيروني على يونس بن متي)). فإنما ورد لمنـع التفضـيل والتخيـير على وجـه التعنت، والتعصـب والجـدال وإلا فقـد قـال البـاري سـبحانه وتعـالى: ﴿تِلْـكَ الرُّسُـلُ فَضَّـلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وروي عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((آدم من سـواه تحت لـوائي ولا فخـر)). وروي عنـه: ((أنـا سـيد ولـد ادم ولا فخر)). نعم لا نفرق بين أحد منهم في أصل الرسالة.

الـدليل الثـاني: أن دعـوة الرسـل السـابقين كـانت الى بعض الأمم، وأما دعوته صلى الله عليه وسـلم فكـانت لكافـة الأنـام، وذلك دليل علو مقامه عليهم وذلـك ثـابت بقولـه تعـالى: ﴿وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وبقولـه تعـالى: ﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وبدعوى نفسه

المباركة الرسالة الى كافة الخلق، وحجته أنه أرسل مكاتيب الدعوة إلى ملوك العالم من عظيم القبط، وعظيم الروم، وعظيم الفرس، وأمراء الإمارات العربية، ومكاتيبه محفوظة في الخزائن. ومعروفة عند أهل العلم بالسيرة النبوية، وأهل الاطلاع على سفرائه وسفارتهم إليهم.

الثالث: أن معجزات الرسل السابقين كانت مقيدة بزمانهم. أي لم يكن شيئاً عيانياً يبقى بعدهم، وأما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبقي أعلى معجزاته وهو القرآن في زمانه وبعده الى يوم القيامة، ويتحدى كافة فصحاء العالم وبلغائه الى الإتيان بمثل الجميع، أو عشر سور، أو أقصر سورة منه، ولم يوجد من يعارضه مع الدواعي على نقله لو كان.

ومما يدل دلالة قطعية على خلود إعجازه والعمل به أنه فيه بيان إكمال الدين للمسلمين، وإتمام النعمة عليهم، حيث أن فيه أصولاً وقواعد إذا طبقت لا تبقى حاجة إلى أي أصل ودستور آخر. فإن جعل أمر المسلمين شورى بينهم، وجعل أولي الأمر من الفقهاء والعلماء محكمين ومراجعين فلا تبقى مشكلة إلا تنحل بفقه الفقهاء وشورى أهل الشورى. فيسهل كل أمر بينهم إلا هتك الدين والأعراض، والأموال، والقتل وإزالة العقل. ومادام هذا الرسول الجليل أفضل الرسل تكون أمته أفضل الأمم، لأن كمال المتبوع يقتضي كمال التابع، ولذلك بقيت محاسن الأعمال، والأخلاق، وخوارق العادات ويوازن الطاعات في أمته منذ بعثه رحمة للعالمين الى عصرنا هذا مع أنه وقعت ملة الأسلام وأمته في مشاكل عصيبة من عداء أعدائهم، وتمرد من تمرد من أمته صلى الله عليه وسلم فلا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله.

ومن الدليل على أن أمته خير الأمم نص قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وتلك الأمة الشريفة لها مستويات متفاوتة، فالمستوى الأعلى الأول لأصحابه الكرام،

ولأهل بيته العظام ولآله النجباء الأعلام رضي الله عنهم وبعدهم مستوى التابعين لهم، ثم التابعون للتابعين بـدليل الأدلـة الدالـة على خيرية الأصحاب، ثم التابعين ثم مواليهم[99]، كمـا روي من قوله صلى الله عليه وسلم: خير القرون قرني، ثم الـذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وقوله صلى الله عليه وسلم لايـزال الخير في أمتي الى يوم القيامة. ولقوله: مثل أمتي مثل المطر لا يُدري أوله خير أم آخره.

فلنذكر نموذجاً من مناقب الأصحاب، ثم أهل البيت، ثم غـيرهم من الآل ثم من يتبعهم بإحسـان إلى يـوم الـدين. ويـدل على خيرية الأمة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجتمع أمـتي على ضلالة)). وكون إجماعهم طريق الحق والهدى للمسـلمين لقوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَـهُ الْهُـدَى وَيَتَّبِعْ غَيْـرَ سَـبِيلِ الْمُـؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَـا تَـوَلَّى وَنُصْـلِهِ جَهَنَّمَ، وإن فيهم المجتهدون الأعلام علماء الكتاب والسنة بحق، المأمورين بالتفقه في الدين ونصيحة الأمة بعد التفقه بقوله الكريم: وَمَـا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُـوا فِي الـدِّينِ وَلِيُنْـذِرُوا قَـوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُـوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.

وقوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُـونَ، وقولـه تعالى: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

والمراد بـأولي الأمـر العلمـاء الأعلام أهـل الضـبط والاسـتنباط بدليل قولـه تعـالى: وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْـرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، وقولـه صـلى اللـه عليـه وسلم: من يرد الله به خيراً يفقهـه في الـدين، ويلهمـه رشـده. وقوله صلى الله عليه وسلم: إذا حكم الحاكم واجتهـد، وأصـاب فلـه أجـران، وإذا حكم واجتهـد وأخطـأ فلـه أجـر، أو كمـا قـال: والأجـران للمصـيب أجـر على الاجتهـاد، وآخـر على الإصـابة، والأجر الواحد للمخطىء على اجتهاده جهـد إمكانـه. ثم الـدليل على شرف الأصحاب الكرام وفضـلهم على من سـواهم رضـي الله عنهم أمور:

[99] في المخطوط من يليهم

الأول: إن اللــه تعــالي اختــارهم لصــحبة من اختــاره للرســالة العامة، وجعلهم عوناً لـه في حفـظ الكتـاب والسـنة ونشـرهما، ونصرهم، وقد بذلوا مافي الامكان لذلك.

والدليل الثاني: آيـات من القـرآن الكـريم على فضـلهم جميعـاً، وفرقة منهم خصوصاً. وبعض أفرادهم. فمن الأول قولـه تعـالى في آخــر الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُــولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَــهُ أَشِــدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ تَـرَاهُمْ رُكَّعًـا سُـجَّدًا يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْـتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الـزُّرَّاعَ لِيَغِيـظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

وكلمـة من البيـان لا للتبعيض بـدليل إخبـاره تعـالى عن فضـلها بالجمل الخبرية، ولا مجال للتبدل في أخبار الباري تعالى.

ومن الثاني (أي مما يدل على فضـل الفرقـة) قولـه تعـالى في سورة الفتح: ﴿لَقَـدْ رَضِـيَ اللَّهُ عَنِ الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَـكَ تَحْتَ الشَّـجَرَةِ فَعَلِمَ مَـا فِي قُلُـوبِهِمْ فَـأَنْزَلَ السَّـكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

وقولــه تعــالى في أواخــر التوبــة: ﴿وَالسَّــابِقُونَ الْأَوَّلُــونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُـوهُمْ بِإِحْسَـانٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

ومن الثــالث: الآيــات الــتي نــزلت في شــأن أفــراد منهم من الخلفاء الراشدين وغيرهم مما يدل على فضلهم ونجاحهم وعلو مقامهم، وقوة إيمانهم، وصبرهم واسـتقامتهم وإثـارهم غـيرهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة.

ومن الأحاديث الشريفة مادل على فضـلهم جميعـاً قولـه صـلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بـأيهم اقتـديتم اهتـديتم. ومـا ورد في شأن إعلاء

درجاتهم في الإخلاص بحيث لو انفق واحد غيرهم مثل جبل أحد لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وما ورد في شأن أصحاب بدر مما يدل على ارتفاع مستوى كرامتهم عند الله رب العالمين.

والبرهان القاطع على علو مقامهم أنه ثبت لكل عاقـل منصـف أنهم هم الـذين سـبقوا الأنـام قبـول الإسـلام، وأنهم أوذوا في سـبيل اللـه، وعـذبوا انـواع التعـذيب، وحقـروا بـأنواع التحقـير ولوموا بأنواع اللوم والتأنيب ومـع ذلـك قـاموا واسـتقاموا على هـدى من ربهم، وهــاجر بعض منهم الى الحبشــة هجــرتين ثم هجرة ثالثـة إلى المدينـة المنـورة، وتركـوا أمـوالهم، وأوطـانهم لإعـزاز دين اللـه وإعلاء كلمتـه، وهـاجروا الى المدينـة المنـورة أخـيراً وبقـوا في غربـة وكربـة حـتى أذن اللـه لهم في القتـال. فـاذوا الكفـار، وأوذوا منهم، وقـاتلوا، وقتلـوا حـتى نشـروا دين الإسلام في العالم، وحفظوا ما نزل من الكتاب الكريم وعملـوا به، وأخذوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا بها، ولم يكن لهم هم إلا إعلاء كلمــة اللــه وهــذه الصــفات الحميــدة والأعمال المجيدة تهدينا إلى الإيمان بـأنهم من خـير خلـق اللـه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولـو كـان لهم مسـتويات مختلفة.

وإن من اشرفهم الخلفاء الراشدين وأفضلهم هو الخليفـة الأول أبو بكر الصديق رضي اللـه تعـالى عنـه فقـد كـان أول من آمن برسـول اللـه من الرجـال، والوحيـد في ملازمـة الرسـول أيـام المحنة الى الهجرة وبعـدها، وأنـه أول من صـاحبه في الاختفـاء في الغـار والخـروج منـه الى الغربـة في الـديار، والهجـرة الى خـارج الـوطن وأول من صـرف جميـع مالـه في تجهـيز الجيش للجهاد، وأول من لازمه ووافقـه في الليـل والنهـار، وقـد جعلـه الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم محـل ثقتـه وعينـه إمامـا في مسـجده في حياتـه واقتـدى بـه وأمـر بسـد الأبـواب الصـغيرة المفضية إلى المسجد النبوي إلا الباب المختص بأبي بكـر، ومن عينـه إمامـا في حياتـه والإمامـة أفضـل رتبـة في الإسـلام، فلا مجال لأحد

أن يخالفه فمن أنصف علم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد وفاته وقبل دفن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع الصحابة في السقيفة، وبعد كلمات تكلموا بايعه[100] عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتبعه الناس في البيعة، ولم ينكر عليهم أحد من الأصحاب، وسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لم ينكر خلافته ولا عارضه، ولكنه توقف عن البيعة أياما لآلام قلبية وردت عليه من وفاته صلى الله عليه وسلم ومن آلام قلب فاطمة الزهراء رضي الله عنها لمفاجأتها لتلك المصيبة الكبرى، وبعد ذلك بايعه علي أيضا كسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطب في المسلمين خطبة جامعة مانعة، ونبه المسلمين على أن الأنبياء وغيرهم يموتون ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى وان العاقبة للمتقين.

ثم عزم على إرسال جيش أسامة بن زيد بن حارثة الى البلقاء ومؤته من أراضي فلسطين وحدود الشام، وأشار بعض الصحابة بالتريث، فأبى وأرسل جيش أسامة إلى ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم فذهب وجيشه وانتصر على الكفار وقتل قاتل أبيه زيد بن حارثة، ورجع مع الغنيمة، وتقوّى المسلمون بذلك، ولكن كثيرا من العرب والقبائل ارتدوا والعياذ بالله وظهر نفاق المنافقين، واضطربت الأمور، ولكن لم يرتد أحد من قريش، ومن قبيلة ثقيف. أما قريش فثبتهم الله تعالى بخطبة سهيل بن عمرو العامري من أشراف قريش حيث ألقى على أهل مكة خطبة كخطبة أبي بكر رضي الله عنهما في المدينة. وأما ثقيف فثبتهم الله تعالى بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه وكان كامل الإيمان، والعرفان، وثابتاً

[100] في المخطوط بايع به

حازماً، ولما ظهرت الردة وانتشرت واشتهرت، عزم أبو بكر على قتالهم وقد أشار بعض الصحابة بالتريث، ولكنه أبى، وأقسم أنه يقاتلهم ولو كان وحده منفرداً.

وكان كلام المرتدين على أوجه مختلفة فمنهم من يقول: ذهب دور النبوة والإسلام بموت محمد، ومنهم من يقول بقي من الإسلام ما عدا الزكاة. ومنهم من يقول لا سيطرة للإسلام إلا في المدينة فقط فعزم أبو بكر على قتالهم، وأول واقعة كان على بعض المرتدين العازمين على احتلال المدينة ليرجعوا إلى الجاهلية، فتعجل جماعة من قبيلة عبس وذبيان ونزلوا بالأبرق. ونزل آخرون بذي القصة، ومعهم قوم بني أسد وكنانة، فقابلهم أبو بكر وجعل على أنقاب المدينة علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم. فنصر الله جنود الإسلام وهزموا المرتدين. وكان المرتدون كثيرين في سائر الأقطار، ولكن الله دحرهم ونصر الإسلام. وعند ذلك ظهرت دعوى مسيلمة الكذاب للرسالة، واجتمع عنده خلق كثير، فأرسل أبو بكر جيشاً من عداد أربعة آلاف وفيهم خالد بن الوليد، والوحشي، وجمع من أبطال الصحابة رضي الله عنهم فنصر الله الإسلام، وقتل وحشي مسيلمة الكذاب، وانتصر المسلمون وبذلك سكت المنافقون وخافوا خوفاً عظيماً من أبي بكر وعزمه وجزمه وجيشه وثباته وإقداماته. واستشهد في حرب مسيلمة الكذاب، من الأنصار والمهاجرين فوق ألف، وفيهم حفاظ القرآن الكريم، وعلى مخافة استشهاد الذين كان لهم إلمام بحفظه أشار عمر بن الخطاب بالسعي في جمع القرآن الكريم، فوافق[101] سيدنا ابو بكر، وتكلموا مع الكاتب الأمين زيد بن ثابت، فاتفقوا على جمعه بمعونة حضور الحفاظ وكتابته على أوراق من الجلود وفعلوا ذلك، فصار القرآن الكريم مجموعاً غير مفرق الكتابة في كتاب واحد الى جمعه مرة ثانية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

[101] في المخطوط فوافقه

واستمر سيدنا أبو بكر في حرب أهل الردة من الأطراف بسرايا عديدة، لاسيما برئاسة البطل الإسلامي سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنهم كما أرسل أيضا خالداً الى العراق مع آلاف من الصحابة، وأمر مثنى بن حارثة الشيباني أن يعاون خالداً فجاء هو وأربعة آلاف من المسلمين، وسعوا في الاستيلاء على كثير من أطراف العراق.

وكان السادة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وسائر أعيان الصحابة مستشارين له ومتعاونين معه في مهام أمور الخلافة بحيث لا مجال للشبهة في إخلاصهم له في الدين، وبعد سنتين وعشرة أشهر من خلافته جاءه الأجل المحتوم، وكتب في حياته كتاب استخلاف عمر بن الخطاب لما علم منه من الهيبة والمقدرة على تحمل أعباء الخلافة الإسلامية، فقام بعده عمر بما يليق بالدين من تنظيم أمور الجهاد والإرشاد ورد أهل البغي والعناد، وتوسعة رقعة الإسلام، فإنه في عصره فتحت العراق، والشام وفلسطين، ومصر، وبلاد العجم، الى تخوم خراسان. وكانت على يده فتوحات عديدة بعدل، وعزم، وحزم، وثبات على السيرة النبوية حتى أن وافته رتبة الشهادة على أيدي أبي لؤلؤة المجوسي.

ولما لم يكن له طاقة واسعة في الأمة من جرحه جعل أمر الخلافة شورى بين بقية العشرة المبشرة، فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعثمان كهف الحياء والإيمان، سعى سعي عمر وأبي بكر في دفع الأعداء وتوسيع دائرة الإسلام، وإكمال الفتوحات في سائر الأطراف من الشرق والغرب، والجنوب والشمال، ووصل الجيش الإسلامي باب الأبواب (باكو) من حدود روسيا القيصرية، وفي الجيش هناك حذيفة ابن اليمان أمين أسرار حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع اختلاف بين شخصين منهم في قراءة شيء من القرآن، كاد أن يستحيل الخلاف الى ما لا تحمد عواقبه فأسكتوا المتخالفين، ومن ذلك رجع حذيفة إلى المدينة المنورة وأشار

على عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن على قراءة واحدة، وكتابة واحدة حذراً من الاختلافات، فشكل سيدنا عثمان لجنة، وجعل علي بن أبي طالب رئيساً لهم، وجمعوا ما عند الناس من المصاحف كلاً أو بعضاً وكتبوا على لغة قريش سبعة مصاحف، وجعلوا ماعداها على الهامش، وأمر بإحراق غيرها، وتم ذلك بإجماعهم. واستمرت خلافته بأمان وسلام إلى أن جاء القضاء والقدر، وثار بعض المفسدين على سيدنا عثمان بدعوى إرادة خلعه من الخلافة، وكان الأمر بحيث لم يتصور أحد سوء عاقبته، فثبت عثمان على ما كان عليه حتى أن اقتحموا داره، وصار شهيدا على أيديهم، وبعد ذلك بايع المسلمون سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإجماع منهم.

إلا أن معاوية بن أبي سفيان تأخر عن البيعة بحجة أنه يجب توقيف العابثين على عثمان ومحاكمتهم، ولكن اقتضى رأي علي بن أبي طالب على تأجيل ذلك الى وقت خوفاً من توسع الفتنة بين المسلمين، وصارت الفتن كما سمعنا وآل الأمر إلى جرح معاوية وعلي من جهة الخوارج، واستشهد علي ونجا معاوية، وبعد وفاة سيدنا علي بن أبي طالب بايع الناس الحسن المجتبى، وصار خليفة الرسول على المسلمين، وبعد مدة ستة أشهر من خلافته تفاهم معاوية معه على شروط بينهما فتنازل سيدنا الحسن عن الخلافة وسلمها إليه حفظا لدماء المسلمين وإصلاحاً بينهم وتحقيقاً لما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قوله: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين)). وتمت الخلافة لمعاوية رضي الله عنه وقد قال له صلى الله عليه وسلم : ((إذا ملكت فاعدل))وكان[102] أمر الله قدراً مقدوراً.

ويجب علينا أن نكف عن ذكر الصحابة الكرام لأنه مادام كان الخلاف على ما ذكرنا من اختلاف الرأي والطرفان من أهل الاجتهاد فلا مجال لنا إلا الرضاء بقضاء الله تعالى وللمصيب وهو الامام علي رضي الله عنه أجران وللمخطئ أجر واحد، وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ومما يجب أن يعتقده[103] المسلمون أن الخلفاء الراشدين هم أفضل الأمة، وأن الفضل بينهم مرتب على ترتيب خلافتهم؛ لأن الفضل إن كان مبنياً على الأجر عند الله تعالى فلا يعلمه إلا الله، وإن كان مبنياً على الظاهر والمواقف الشريفة فقد كانت معلومة عند

---

[102] في المخطوط هذا وكان

[103] في المخطوط يعتقد

جمهور الصحابة، ومشوا على مقتضي علمهم رضي اللـه عنهم. كما يجب أن يعتقد المسلم أن سـيدنا علي بن أبي طـالب كـان راضـياً بخلافـة أولئـك الخلفـاء السـابقين بـدليل أنـه كـان وافـر العلم، لقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أنـا مدينـة العلم، وعلي بابها. ووافر الدين والشجاعة والغيرة، والشهامة، والأمانــة على الأحكام، فلو ورد نص على خلافته مباشرة بعد الرسول ما كـان يســكت على ذلــك الــترتيب، وبــالأولى لم يكن معينــاً ومعاونــاً للخلفاء بقدر إمكانه، وقـد عـاون أبـا بكـر، وعمـر، وعثمـان في مهمات أمـور الخلافـة، وزوج ابنتـه السـيدة أم كلثـوم عمـر بن الخطاب، وكل ذلك دليل على ارتضـائه بهم وبمناصـبهم ونسـبة التقية[104] مع طول الزمان وأهمية النصوص لا يناســب مقامــه، ولم يثبت عنه في أيـام خلافتـه كلمـة لا تناسـب مقـام الخلفـاء الســابقين فرضــي اللــه تعــالى عنه[105] وعن بــاقي الصــحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

زوجاته وأهل بيته الطاهرات

قال الله تعـالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ وَأَزْوَاجُـهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

لما اختار الله سـبحانه وتعـالى حبيبـه المصـطفى وبعثـه رحمـة للعالمين اختار له أصحابا من خير أصحاب الرسل، وأزواجــاً من خيرة النساء، واللـه يختص برحمتـه من يشـاء، فاختـار لـه قبـل الرسالة كإرهاص بالنسبة إلى مقامه خديجة بنت خويلد الأسدي المعروفة بالعفة والشهامة، والمختصة بالعقل الناضـج والإدراك الثاقب، والثروة الوافرة لتعينه في حياته صلى الله عليه وســلم بالعقــل والعفــة، وصــرف المــال، ومراعــاة الأولاد والأطفــال، وتقــويم مــا يحتــاج إليــه الرجــال. فتزوجهــا وهــو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت أربعين،

[104] في المخطوط التقية إليه

[105] في المخطوط عنهم

والمتفق عليه أن عدد زوجاته كـان إحـدى عشـرة، والسـر في ذلك الكثرة أمور كثيرة:

الاول المهم: نشر تعليمات الإسلام من قبل النساء بين النسـاء حيث لا يمكن عـادة للنسـاء أخـذ أحكـامهن من الرجـال غـير المحارم إلا برعاية أدب كامل في الدين.

الثاني: توسيع دائـرة المصـاهرة المفيـدة للتعـاون بين الأصـهار على ما هو المعتاد بين الأشراف.

الثالث: تشريع جواز الزواج من زوجـة الرجـل المتبـنى، أي من لم يكن إبنا وصار في[106] العادة من الأبناء.

الرابـع: حاجـة بعض الأرامـل الى المؤونـة والنفقـة ممن مـات أزواجهن ولهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم علاقة الرضاع أو الصداقة الزائدة. علاوة على ما ذكرنـا فـالمبيح الـواقعي هـو تشريع الباري سبحانه وتعالى ما يشرعه لعباده من الأحكام كما يعلم كـل من لـه علم بأحكـام الرسـل السـابقين عليـه الصـلاة والسلام من الأحكام المختلفـة، وقـد كـان الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم مختصاً بواجبات عليـه خاصـة كصـلاة التهجـد، وأداء ديون المعسرين قبل دفنهم، ووجـوب المضـي في أمـر الجهـاد بعد لبس لأمة الحرب، فلا مجال لأي خيال أو مقـال في مقابلـة تشريعات الباري المتعال، ومن أنصف عرف أن في وجـود تلـك الأزواج حكماً كثيرةً علاوة على ما قلنا آنفا.

فالأولى منهن: خديجة كما ذكرنا، وقد توفيت قبل ثلاث سـنوات من الهجرة.

الثانية: سودة بنت زمعة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة لرعاية الأطفال، وقد أسلمت قديماً بعـد إسـلام خديجـة رضي الله عنها[107] وبقيت مع الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم الى أن توفيت في المدينة

---

106) في المخطوط على

107) في المخطوط عنهما

المنورة في عام خمس وأربعين من الهجرة، ودفنت في البقيـع رضي الله عنها.

الثالثة: أم المؤمنين عائشـة بنت أبي بكـر الصـديق رضـي اللـه عنهما وتزوجها في شهر شوال بمكة بعد وفاة خديجة ولها ست سنين، وأعرس بها في المدينـة المنـورة في شـوال سـنة ثلاث من الهجرة، وعمرها تسع سنين، وكانت أعلم أزواجه صلى الله عليه وسلم بأحكام الإسـلام واكـثرهن في الروايـة وأحبهن إليـه صلى الله عليه وسلم ومات عنها صـلى اللـه عليـه وسـلم ولهـا ثماني عشـرة سـنة، ولم يـتزوج صـلى اللـه عليـه وسـلم بكـراً غيرها، ومـاتت بالمدينـة لسـبع عشـرة خلت من رمضـان سـنة ثمان وخمسين وعمرها ست وستون سنة ودفنت بالبقيع رضـي الله عنها ولم تلد وتكنى بأم عبـد اللـه على اسـم عبـد اللـه بن الزبير ابن أختها أسماء ذات النطاقين.

الرابعـة: حفصـة بنت عمـر بن الخطـاب تزوجهـا بالمدينـة وهي أرملـة في السـنة الثالثـة من الهجـرة، وكـانت صـوامة قوامـة، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين مـاتت في شـعبان سـنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سـنة، ودفنت بالبقيع رضي الله تعالى عنها

الخامسـة: أم سـلمة بنت أبي أميـة واسـمها هنـد، وكـانت قبـل الرسول صلى الله عليـه وسـلم زوجـة أبي سـلمة عبـد الأسـد، وكانت هي وزوجها أول من هاجرا من مكـة إلى الحبشـة، وهي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، ومات أبو سـلمة سـنة أربـع من الهجرة وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم – وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وعمرها أربع وثمانون سنة.

السادسة: أم المؤمـنين أم حبيبـة بنت أبي سـفيان رضـي اللـه عنهما واسمها رملة، وهاجرت مع زوجهـا الى الحبشـة، وتـوفي عنهـا هنـاك فبعث رسـول اللـه عمـرو بن أميـة إلى النجاشـي ليخطبها عليه فزوجها إياه، وأصـدقها أربعمائـة دينـار من مالـه، فوصلت الى الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم ومـاتت بالمدينـة سنة أربع واربعين.

السابعة: زينب بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة، وكان يدعى ابن محمد، فبقيت عند زيد[108] مدة ثم طلقها، فلما انقضت عدتها منه نزلت الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾، وكان ذلك سنة خمس من الهجرة، وحاصل ذلك أن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزوج زينب من زيد، وبعد تطليقه لها يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم لتشريع حل نكاح زوجة الولد المتبنى، لأنه أجنبي وليس ابنا حقيقة. وقالت عائشة في شأنها: لم تكن واحدة منا خيراً منها في الدين وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به، ويقرب الى الله رواه مسلم. وهي أول من مات من أزواجه بعده صلى الله عليه وسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين ولها ثلاث وخمسون سنة صلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الثامنة: زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها كانت زوجة عبد الله بن جحش، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تلبث[109] الا شهرين او ثلاثاً، وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع رضي الله عنها

التاسعة: ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها فقد كانت قبل عند ابي رهم بن عبد العزى، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان معتمراً سنة سبع بعد غزوة خيبر جعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم، فلما رجع بنى بها بسرف حلالاً، وسرف اسم مكان على عشرة أميال من مكة، ثم توفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله سنة إحدى وخمسين وصلى عليها ابن عباس، ودخل قبرها رضي الله عنها.

---

(108) في المخطوط عنده
(109) في المخطوط تلبث عنده

العاشرة: أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس الأنصاري في غزوة المريسيع (وهي غزوة بني المصطلق) في سنة خمس وقيل ست فكاتبته على نفسها، ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا جويرية وكان من أمري ما لا يخفى عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شماس، وأني كاتبت نفسي فجئت أسألك في كتابتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهل لك الى ما هو خير؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: قد فعلت. فتسامع الناس قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة: فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وكانت ابنة عشرين سنة، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة، سنة خمس وخمسين.

الحادية عشرة: أم المؤمنين صفية بنت حيي، فهي من سبط هارون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق قتل يوم خيبر. قال أنس: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية، فقال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي. فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك. قال: أدعوه بها. فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: خذ جارية غيرها من السبي، وأعتقها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح عليه الصلاة والسلام عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، وبسط نطعا، فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية، ودفنت بالبقيع.

فهؤلاء أزواجه اللائي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر. وهذه الأمهات ست منهن عربيات من قريش وهن خديجة. وعائشة وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة. وأربع منهن عربيات من غير قريش وهن زينب بنت جحش من بني أسد، وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير. وهذه النساء الطاهرات المطهرات اختارهن الله من بين النساء لصحبة الرسول الكريم حبيبه المختار من صفوة الأنام فيجب على المؤمن أن يعتقد أنهن خير نساء العالم وأن الله تعالى كما اختار حبيبه لأعباء الرسالة واختار أمته وانقذهم من الضلالة، واختار من صفوة العباد اصحابه للجهاد في سبيل الله واشترى منهم أموالهم وأنفسهم بثمن رضوانه، ولقائهم له في الجنة، كذلك اختار أزواجه لأن ينورن بيته الكريم بنور الحكمة وآيات القرآن وتعليم الناس أحكام الدين اعتقاداً وعملاً، وقد نصحهن الله تعالى في آيات عديدة، وأعلن أنه تعالى يريد أن يذهب عنهم الرجس اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً، ومن اعتقد غير ذلك فقد خرج من المنهج، وابتغى غير سبيل المؤمنين، وأن من خالف براءة الأمهات لاسيما الحميراء، وانحرف عن اعتقاد آيات الثمانية عشر أول سورة النور، فماله في الإسلام من نور. لأن الانحراف عنها انحراف عن سماع شهادة الله، وسمع قول الزور. واعتقدوا أنهن أمهاتنا في الكرامة، وأن من خدم أهل البيت فقد أشعل المصباح من زيت الحكمة: وأوصل نفسه الى نور الرحمة رضي الله تعالى عنهن وعن باقي الأصحاب من المؤمنين والمؤمنات آمين.

وأن المراد بأهل البيت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾؛ أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، لتصدير الآيات بقوله

تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَـاءِ﴾، والتفكيـك في الإرادة بين صــدر الخطــاب وآخــره لا يناســب بلاغــة القــرآن، والإتيان بضمير جمع الرجـال لوجـود الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم والحسـنين في الـبيت غالبـاً، وعنـد نـزول الآيـة، لا آل الرسول، والدليل على هـذا عنـد المحققين هـو أن آل الرسـول من بضعة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وليس فيهـا رجس حتى يذهبه الله تعالى، وأما الأمهات فلم يكن من تلك البضــعة، فيجوز أن يكون فيهن رجسٌ من سوء الطبيعـة ومـا يقـرب من ذلك وذلك دليل جليل.

وأما جواريه صلى الله عليه وسلم فهن اربع[110]:

الأولى: مارية القبطية أم ابنه إبراهيم ابن النبي صلى الله عليـه وسـلم أهـداها لـه المقـوقس صـاحب الأسـكندرية، ومـاتت في خلافة عمر رضي الله عنهما في سنة ست عشــرة، ودفنت في البقيع.

الثانية: ريحانـة القرظيـة، ومـاتت قبـل وفاتـه صـلى اللـه عليـه وسلم سنة عشر ودفنت في البقيع.

الثالثة: جارية وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عنهما –.

الرابعة: جارية أصابها في بعض السبي.

وممـا يجب أن يعلم أن الجـواري ممـا ملكتهـا الأيمـان لم يكن مختصة بعهد رسالة الرسول. ولا بزمان حياته، بل كـانت دائـرة منذ فجر التاريخ. وقد كان الناس متعودين على أنهم إذا حــارب قوم منهم قوماً واستولوا عليهم. اسـترقوا رجـالهم، ونسـاءهم، وذراريهم، ويعاملونهم معاملة الملاك لأملاكهم، يتصــرفون فيهم كمـا أرادوا، وحـدث مـا حـدث من الأمـور المخالفـة لاحـترام الإنسان، واستمرت تلك العادة، وبقيت في زمن بـني إسـرائيل ومحــاربتهم مــع العمالقــة، كمــا أنــه دارت بين كــل قــوتين متحاربتين[111] إلى عهد الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم، ولمـا جاء عهده وغزواته مع الكفار ما كان سـهلاً على الإسـلام الغـاء أصول الجواري وإخراج ما ملكته الأيمان أي قوة الغلبة

110) في المخطوط اربعة

111) في المخطوط قومين متحاربين

والحرب، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم – شرع في حـق الحربيين إكرام الأناس منهم، فقال: ((إخوانكم، خـولكم جعلهم اللـه تحت أيـديكم أطعمـوهم ممـا تطعمـون، واكسـوهم ممـا تكسون، ولا تكلفوهم مالا يطيقون وإذا كلفتموهم فـأعينوهم)). وقرر القصاص في جروحهم، وقـال: ((من جـدع جـدعناه، ومن قطـع قطعنـاه))، وشـرع زهـاء سـت وثلاثين مـادة لإعتـاقهم، وإطلاق سراحهم بالعتق في كفارة اليمين، وفي وقـاع رمضـان للصـائم، وفي الظهـار، وفي قتـل الخطـأ، وفي وجـوب عتـق نصيب المسلم الموسر إذا عتق شريكه نصـيبه. وفي أم الولـد، وفي التدابر، أي تعليق العتق بمـا بعـد المـوت للمالـك، وشـرع سهما من الصدقات للمكاتبين إلى غير ذلـك ممـا يطـول بيانـه. وقد أفردت بالتأليف، ثم إن مـا ملكتـه اليمين (أي قـوة الدولـة الإسلامية) كان لها مبرر عند الانسان المؤمن بالله ورسوله من جهتين:

الأولى: إن الكفار إذا غلبوا[112] المسلمين فقيدوهم بدون رعاية انصاف، ورعايـة حقـوق الانسـان، فـإذا غلب عليهم المسـلمون أفلا يجوز لهم استملاكهم مع رعاية حقوق الانسان واحترامه.

الجهة الثانية: إن الإنسان مـؤمن[113] بـأن اللـه حـق، والرسـالة حق، والشريعة سائدة وحاكمة على العباد فكيـف لا يجـوز ذلـك الاستملاك حتى يثبت التوحيد، ويظهر الحق في العـالم، ويعمـل به الناس؟ واذا قررنا أن الـدين حـق، والغنـائم مباحـة، كيـف لا يكون حكم الله بالتملك نافذا؟ فهل يكون حكم الله أقـل نفـاذاً من حق انسـان ضـعيف عقلاً وعلمـاً حـتى تجـوز احكـام العبـاد ونهمـل حكم اللـه تعـالى في الغنـائم؟ سـبحان اللـه مـا أجهـل النـاس إذا خرجـوا من[114] حكم اللــه ورفضــوه وقبلــوا حكم الإنسان، ورفضوا ما عداه.

ومما يجب أن يعلم أيضا أن ما ملكت أيماننـا من المشـركات لا يجوز وطؤهن حتى يسلمن. وأما الكتابيات فيجـوز وطـؤهن في ما عدا وقت الحيض والنفاس والحمل. وإذا اختـار مالـك تـزويج جاريتـه من غـيره فهـو كـالولي يحتـاج الى العقـد والإيجـاب والقبول.

---

[112] في المخطوط غلبوا على

[113] في المخطوط المؤمن

[114] في المخطوط عن

أمته خير أمة

وتلك أمته لكن صحابته ... والأهل والآل أولي الخلق

وجاء من بعدهم التابعون ... أهل الهدى والوفا والعلم

من أولياء أولي الأنوار ... وفاضت أنوارهم للناس

ومن أئمة أهل العلم والأدب ... أهل اجتهاد لأخذ الحكم

لأنهم أمة الهادي وفرقته ... وأمةَ الخير، خير الناس في

وانه بحر فيض النور للابد ... يرمي بأمواج انوار الى

من الحضور ومن أنس ... ومن مخافة قهر أو رجا كرم

إن الرسول سراج لامع ابدا ... ليلاً نهاراً يؤدي النور للأمم

وصحبه استمروا في اقتباس ... من منبع للهدى من معدن

والناس ليس[115] سواء في ... لكلَ فردٍ نصيب خط بالقلم

والحظ الأوفى نراه كان ... آثارهم شهدت بالعلم والعلم

والاجتهاد بقى للتابعين ومن ... يلي لهم من أولي الأفكار

[115] في المخطوط ليسوا

وتابعي التابعين أهل منقبة   أئمة سادة خلت عن السقم

أبو حنيفة شيخ التابعين يلي   من بعده مالك بالعلم

فالشافعي يليه أحمد وعلا   كخادم السنة المرصوصة

وفقهم ربهم لجمع مذهبهم   على أصول لهم مقبولة

وبعدهم علماء من أولي   لدين الإسلام كانوا أخدم

في رتبة دون من عاشوا   سعوا وكل له نهج على

من تابعي من مضي في   واَختيار لمن شاؤا بلا نقم

عاشوا وكانوا أشقاء بلا كدر   داموا على نشرهم من

وهكذا قد توالت أمة الرشد   امة خير الورى في العرب

فخذ لك النهج أيا ما تشاء،   يارب زدني من العلم ومن

ولا تكن سامعاَ أقوال منتهج   لهَواً وسوءً مع الأعلام

إن الخلاف في الاستنباط   ووسعة للبرايا من أولي

فإنه قد أتى طبق الأصول   راعوا من اللغة والشرع

وكل ذلك من فضل الرسول   افضال مولاه في الجود

والحمد لله حمداً دائماً ابداً   ثم الصلاة على المختار في

ولاية تبعث من نور ايمانهم   مع التقى ودوام العهد

مع الحضور لرب العالمين   مراتب قد خصت بميزة

آياتها واضحات عند أهل   فاقرأ وقل يا إلهي هب من

وأهل علم علا في النهر آيته   هل يستوي حجة كفت

والله اشهدهم مع الملائكة   شهادة الوحدة لا سائر

وحصر خشيته في العالمين   وراثة الأنبياء لهم بلا نقم

ومنهم الفقه للاحكام قاطبة   ومنهم النشر والتبليغ للأمم

والاجتهاد جهاد في طريق   مداره كدماء الصدر في

فإن أصابوا لهم أجران دون   أو اخطأوا فلهم أجر على

اجماعهم حجة في الدين   ورفضه الكفر او من بدعة

وطوع افرادهم آداب مذهبنا   حجتها فاسألوا من دون ما

نص الكتاب ونص سنة ثبتت   أمر أولي الأمر حسب

اليوم اكملت فيه حجة لمعت   للعالمين كأنوار على علم

وما سواها تكون بدعة وهوى   ومن مشى بالهوى مشى

وكل ذلك من فضل الإله   محمد سيد للعرب والعجم

صلى عليه الإله دائما أبداً   كذا على الآل والأصحاب،

وسره أن دين الله للأبد   مستوجب اجتهادا جاء

والدين مع اجتهادٍ ثم مشورة   صافَ عن الخطأ الآتي من

وكان ذلك في عهد الرسول   عهد الصحابة والاتباع

والناس كانوا على نورين في   نور لروح ونور العلم

من صبحه[116] زمرة نالت   من كل باب بقدر جاء في

<277>

---

116) في المخطوط صحبه

وزمرة نال بالعلم الغزير ... قوة الادراك والإيمان

اي منهم العارف الراعي ... حق الحضور بربط القلب

والفكر والذكر والجهد الكثير ... ما ناسب العبد حسب الحال

ومنهم العالم الراعي لرغبته ... في العلم بالنص والتبليغ

فجاء سلسلتان من ذوي ... قد أدتا واجب الانسان في

بدون أي عداء بين ذاك وذا ... بل بالوفاق والاستمرار في

وجاء دور التابعين في ... وفي مصابرة في الحكم

وهذه فوائد للامة المعاصرة

الأولى ان للرسول صلى الله عليه وسلم مقامـاً وجاهـاً عظيمـاً عند الله تعالى أفدتها بالنداء الآتي:

يا صاحب الجاه جاه ولا ... يا خير كل الأنام العرب

بعثت مرحمة للعالمين لمن ... نشأ على ثقة الإيمان

تفسير آية بعث قد أتيت به ... إني أنا الرحمة المهداة

الجاه وجه وعز، ... أي احترامك عند الله ذي

(عسى) بنسبة رمى[117] مثل   تفيد تحقيق ما يأتي من

فالله يبعثكم يوم القيام على   مقام محمودكم بالعز

أنت الذي حينما قد كنت   ماعذب الله قوما كان ذا

أنت الرسول بحق شاهدا   خير ورشدٍ بقوا في منهج

أننت البشير لأهل الخير في   أنت النذير لأهل الكفر

بشرح صدر ورفع الذكر،   وبالعطا والرضا منكم على

نجاة أهل الكتاب باتباعك إذ   أنت الذي قد ختمت البعث

الثانية: أنه يصح التوسل بالرسول إلى الله

إن الوسيلة قرب الواصلين   بأي أمر سليم جاء بالقيم

أنت الذي كنت في موج من   وصاحب القرب أهل القدر

إن الوسيلة معناها على   القرب من أي أمر كان في

وتلك في الآية قرب العباد   قد من بالخلق والإحسان

117) في المخطوط ربي

وذاك شيء له الأسباب دون   من كل شيء سليم جاء في
من مثل الإيمان بالله   والعمل الصالح والجود
كذاك حب الرسول صاحب   أو الصلاة عليه من أولي
كذا رجاء الدعاء أو شفاعته   يوم الأسى والجفا والحادث
وربط ذلك بالجاه العظيم له   جاه جلا ظاهراَ لعقل مفتهم
كأن تقول بحق المصطفى   أهل الهدى والندى في الحل
كما دعا جمع اصحاب الرقيم   اعمالهم عندما ساؤا من
قال الرسول بحقي والذين   دعا لفاطمة بالعفو والكرم
ونحن نرجو من الله الكريم   عفوا ومغفرة عن موجب
نرجو النجاة من الهلكات اذ   نرجو النجاة من الأمراض
بحقه وبحق الأنبياء ومن   أطاع ربه بالإخلاص والعزم
وكل ذلك اسباب لمقربة   منِ ربنا منبع الإحسان

ومن نهى دون نهي جاء عنه ... مشى مشية العشواء في
كذاك نرجو لنا التوفيق ... حتى نقوم بخير خدمة الأمم
وصحة القلب مع صون ... ومنحة الحس في اوقات
أنت الشفيع بنص سنة ثبتت ... أقول يا سيدي أشفع علي
من الذنوب ومما قد عصيت ... من كل ذنب كبير أو من
أرشدت الأعمى إلى أن ... بحقك المرتجي من وافر
دعوت ربك غفرانا لأم علي ... بحقكم وحقوق الرسل في
ما دام أنت الرسول عين ... وإنك الرحمة المهداة للأمم
نرجو شفاعتكم يوم القيامة ... يحتاج كل الأنام الدفع للألم
يا صاحب الجاه يا مولى ... شفيع يوم الجزا لكافة الأمم
من كان صاحبكم بنور ... نال العلا والحلا بالقدر
ونحن نحنو إليكم في الغياب ... لنا مجال سوى التوجيه

الثالثة: السعي في زيارته صلى الله عليه وسلم –

إن الزيارة عن حب وعن ديارهِ؟؟؟ زيارة الروضة
إن الزيارة مع حب وميمنة لبقعة أنت فيها صاحب
لها جزاء وفاق مع ارادتنا من ضعف أو قوة للعزم
فإن من زاركم قد صار من والجار بالجنب أهل الجود
وأنت رغبتنا على الزيارة في عده الأخبار من مستحسن
فقد أتى نحو عشرين حديثاً يؤيد البعض بعضا في هدى
إذ كلها كان يهدينا إلى منح للزائرين رجال القدر والقيم
من زاركم وجبت له طوبى لمن زاركم بالقلب
طوبى لمن زار حبا روضة حتى ينال الصفا من روضة
أوصلني ربي مقاماً، قد علا على رياض جنان الخلد

الرابعة: الجهد في الصلوات على الرسول

يا إخوتي يا رجال الفضل يا أخواتي نساء القدر

من عاقه عائق عن روضة	بشخصه فليزر بالقلب

وهذه سهلة بالصلوات له	مع السلام بحب القلب

أفاد ذلك بعض العارفين به	مجرب خالص عن كدرة

فالصلوات صفاء القلب عن	فيه كذاك نجاة القلب عن

وأجرها زاد عن حسبان	وأمرها راجع لله ذي الكرم

دليلنا أمر رب العالمين بها	مع السلام بترغيب لمغتنم

وأمره مطلق خال عن العدد	والسر الجهر يكفي ذا

ورغب المصطفى بها[118] بلا	لا سيما الجمعات منبع

وعند ذكر الرسول	أجر مزيد عليها فادر وافتهم

وبعد كل اذان جاء أمر بها	من الرسول مع الدعاء في

وكلها مطلق خال عن العدد	والسر والجهر علو الصوت

نعم اذا ورد النهي عن	في بعض الأحوال نقبله

(118) في المخطوط فيها

لاسيما اجمع الناس عليها   عهد الصلاح بإصلاح لمزدحم

وفي الفتاوى لأهل مصر   كسنة قد علت قدرا لدى

وما تلوت عليكم حق شرعته   صلى عليك بقدر القطر من

الفائدة الخامسة

اجتهدوا أيها الإخوان عن   في فهم تنزيله ذا منبع

تجويده واجب وحفظه سنة   وفهم أحكامه بحر من

من كان حافظه فالله   عن شر دنيا من الأسباب

تعلموا لهجة تفيدكم رجةً   من رحمة الرب ذي

أحسن بلهجة منشاوي فإن   نوراً منيراً يزيد القلب في

كذاك لهجة عبد الباسط فلها   بسط للأرواح في الإلقاء

وعندنا الحافظ الخليل إن له   يداً علينا بصوت رافع الغمم

ان القلوب لها ادواء غفلتها   دواؤها نور قرآن لمغتنم

تلاوة المرء للقرآن كافية ... لدفع كل بلاء جاء بالنقم

مع الصلاة على المختار ... فيها دواء لقلب حار في

دلائل الخير صلاة[119] على ... فيها الصفا والوفا بواجب

صلاحنا أيها الإخوان عودتنا ... لمنهج الدين يا طوبى

الفائدة السادسة

ولازموا منهج التعليم للسلف ... فإنه فرضنا طوبى لملتزم

علم القراءة والتجويد ... صرف ونحو وفقه فرض

عقيدة، سيرة، بلاغة، وجبت ... علم الحديث وتفسير

أصول فقه ودين منطق ثقة ... آداب بحث لأهل العقل

وحكمة مخزن الخير الكثير ... في عمل العامل ونظر

فإنها فرضت لفهم دين النبي ... محمد خاتم الرسل أولي

في درجات ثلاث دون ... كفاية فرضها عين لمحترم

[119] في المخطوط صلوات

علوم دين لنا قد اسست ... للعلم بالدين حق العلم

كتاب ربي أتى به نبي الهدى ... وبلغ الكل من حرف ومن

مبيناً ما أراد الله منه وقد ... بينه المصطفى للصحب

فلم يكن حاجة لذكر مصطلح ... من خاص أو عام أو سواه

بل لم يكونوا على استعداد ... فإنه الفن والتدقيق للعالم

وجاء تأسيس علم النحو من ... خوف اغتلاط لخلط العرب

وجاء تدوين سنة بأمر عمر ... ولد عبد العزيز الأموي

وجاء علم أصول الدين عن ... كذا التصوف فادر الأمر

ودون الفقهاء مذهباً خصهم ... حسب الكتاب وحسب

وجاءنا بأصول فقهه ... رسالة ارتضاها الدين

نعمان فالمالك: والشافعي ... وأحمد بن بلال صاحب

أتباعهم نشروا فقه المذاهب ... انحاء عالمنا بالجود والكرم

وجاء علم العروض والقوافي … خليل الخالص عن كل ما

وظهر المنطق المقرون … في عهد مأمون هارون ابي

وظهر الصرف من أولي … قد فصلوا النحو مثال

ودونوا، علم انحاء القراءات … مضت لهم مائتان هجرة

والأشعري السدي … جاءا بنصرة دين الحق

ورزق أهل العلوم مطلقاً … مدرساً مفتياً في الدين

أو طالباَ أو إماماَ او خطيباَ لنا … سهم المصالح خمس

اذ عالم الدين محتاج لهم … وعيشهم لازم من واجب

من الغنائم أو فيء لنا حاصلا … قسمة لله والرسول فاغتنم

وليس من وقف خاص … وقف لعام فيستولي على

ليسوا على حاجة إلى تبرع … يمن من صاعه كالكيس من

نعم إذا جاءه التوفيق … بلقمة دون عيش السوء

وحسبنا لقمة تقيم صلبا لنا   ان لنا أسوة في السلف

الفائدة السابعة

يا إخوتي لازموا التقوى   من صادقين أولي فضل

فإن مجلسهم نور لخاطركم   وانسهم جالب للفيض

العلم في المدرسة، والعقل   والأنس بالصالح من أفضل

ولا تكونوا مع الغفال في   ولا تموتوا مع الجهال من

إن الرفيق من التوفيق اذ   نعم الرفيق إذا قد كان ذا

لم يلق حظا سوى من   نعم الأمين لنا في الحل

وزورة المصطفى حياة   طوبى لمن زاره مشيا على

يا سيدي سندي يا قوة الكبد   أعني بالمدد والجود والكرم

رداَ على من طغى في نشر   ولعبا بكتاب الله بالنقم

بظاهر النص من كتاب أو   وحكم الإجماع اذ مضى

بحيث لم يبق للمنصف من   في دينه من هوى لصاحبي

وجاء علم البلاغة التي وجبت … لفهم أسرار نص الدين

بحيث يبدو بها الإعجاز في … وأذعن العقل للأسرار

وقد أتى زمرة مختارة … بجمع ما صح من سنته

مثل البخاري ومسلم[120] … أحسن بهم قادة في خدمة

وفسر العالم الممتاز تنزيله … بمورد النص والأحكام

توسع الناس في التأليف … حسب حاجة أهل القطر من

جزاهم الله عنا حسب … بكل ما يستحقون من الكرم

إذ كلها واجب مجرب قاطع … والمنكر المانع في الجهل

وليس في دين الإسلام … ولا تعصب إلا من ذوي النقم

فالأمة واحدة وربنا واحد … رسولنا واحد ذو الجود

محمد الأرض محمود لدى … وشافع الكل يوم الهول

تكفى لنا آية الحجرات … والامتياز على التقوى

(120) في المخطوط والمسلم

فاعتصموا بكتاب الله حجتنا   وسنة السيد المختار في

والتزموا منهج السلف أن   من ربهم ميزة في الحكم

خذوا وصيتنا وهي نصيحتنا   وخدمة للرفاق من أولي

والحمد لله حمداً دائماً أبداً   حمداً يوافي جميع الغيض

ثم الصلاة على الهادي وأمته   من أمة الأمر بالمعروف

والنهي عن منكر بالسيف   أو باللسان أو القلب

واجعل بقانا على التقوى   مع الكرامة والحسن

آله الكرام رضي الله عنهم

آل الشخص لغة: نسله ورهطه الأقربـون وعرفا[121]: من نسـل الجد الثالث. فيعم بهذا المعـنى أولاد هاشـم، ومطلب، ونوفـل، وعبد شمس فإنهم أولاد عبـد المنـاف، ولكنـه صـلى اللـه عليـه وسلم خص آله ببني هاشم وعبد المطلب عند تحريم الصدقات عليهم، وجعل حصتهم من الغنائم حيث قسم سهم ذوي القربى من خمس الخمس بينهم تاركـاً غـيرهم من بـني عمِهم نوفـل. وعبد شمس مع سـؤالهم لـه، رواه البخـاري، وقـال صـلى اللـه عليه وسلم: ((إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد))، رواه مسـلم. وقـال: لا أحـل لكم أهل البيت من هذه الصدقات شيئاً. ولا غسـالة الأيـدي، إن لكم في خمس الخمس مـا يكفيكم أو يغـنيكم، رواه الطـبراني في معجمه الكبير، كما صرح به الجلال في شرح جمع الجوامع.

ويستفاد من الحديث الثاني أنه كما تحـرم الصـدقات على آلـه، تحرم على أهل بيته أيضا، بمـا يشـمله صـلى اللـه عليـه وسـلم وبين الآل، وأهل البيت عمـوم وخصـوص ومـادة[122] اجتماعهمـا سيدنا علي وفاطمة الزهراء وابناهما الحسـن والحسـين رضـي الله عنهم أجمعين.

ومادة افتراق الآل غـيرهم من مؤمـني هاشـم ومطلب، ومـادة افتراق أهـل الـبيت أمهـات المؤمـنين، وللكـل الشـرف بسـبب العلاقة به صلى الله عليـه وسـلم على اختلاف درجـاتهم. وللآل معنىً ثان أعم من الأول وهو: كل أهل التقـوى من أمتـه صـلى الله عليه وسلم.

ومعنى ثالث أعم منهمـا وهـو: جميـع أهـل الإجابـة والإيمـان بـه صلى الله عليه وسلم. ثم أهل البيت كانوا عددا محـددين، وأمـا الآل

[121] في المخطوط الاقربون عرفا
[122] في المخطوط وخصوص مادة

فيمتدون إلى آخر الدنيا، ولكل منهم شرف واحـترام بانتسـابهم إليه صلى الله عليـه وسـلم وإن كـان للصـالحين مزيـد ومرتبـة عالية بحسب احتسـابهم واتبـاعهم لـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وبالخاصة للأولياء الكرام، والأقطاب من أولاد الحسـنين الممتـد سلسلتهم الذهبية الى يـوم القيامـة. فعلى كـل مـؤمن ومؤمنـة بالله ورسوله احـترامهم وتشـريفهم من حيث والانتسـاب، فـإن الذهب ذهب والحديد حديد، ولا منافاة بين ما قلنا وما تقرر في شريعة سيدنا محمد صلى الله عليـه وسـلم في وجـوب العمـل بـالآداب والأركـان، وورود المعاتبـات الدينيـة على من خالفهـا منهم، فإن الشريعة الإسلامية ومراعاتها هامة.

وقـد قـال تعـالى خطابـاً لـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكر المحققون من علمـاء الإسـلام الأشـراف[123] الانتسـاب إلى الرسول صلى الله عليه وسـلم كـان يعم جميـع أولاد بناتـه صلى الله عليه وسلم لكن لم يبق لهن ذريـة بقضـاء اللـه، ولـو كانوا باقين لكان لذرية فاطمة الزهراء امتياز عنهم لاختصاصـها بفضائل عديـدة ومزايـا مهمـة من اختصاصـها بصـحبة الرسـول صلى الله عليه وسلم ومزيد اعتنائـه بهـا، وزواجهـا من علي بن أبي طـالب حبيبـه وخاصـته صـلى اللـه عليـه وسـلم ولـدوام اشتغالها بالطاعات رضي الله عنها وعنهن آمين.

وقد تقرر عندكم مما ذكرنا أن أمة الحبيب سـيدنا محمـد صـلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، وان الصحابة الكـرام، وأهل بيته الطاهرات وآله الموجودين في صـحبته أسـبق طبقـة من الأمة في الخيرية، ويليهم التابعون الذين رأوا أصحابه صـلى اللـه عليـه وسـلم ويليهم تـابعو التـابعين الشـاملين للأئمـة المجتهـدين وسـائر أصـحاب الفضـل منهم، كمـا نص على ذلـك صلى الله عليه وسلم بما روي عنـه ((خـير القـرون قـرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) أو كما قال.

[123] في المخطوط ان شرف

فيجب على كافة أهل الإسلام احترام أهل القرون الثلاثـة، ومن خالف ذلك خرج من عقيدة الجمهور وما لـه من نـور. وكيـف لا وقـد حـاز أمثـال الحسـن البصـري، وأويس القـرني، وأبـو أنس الخولاني أعلى مراتب الشرف في الأمـة حـتى وقـع الكلام في أن الثلاثة أيهم خير من الآخرين، ومن سائر الأمة.

كمـا أنـه يجب عليـه اعتقـاد أن الأئمـة الأربعـة المجتهـدين أبي حنيفة نعمان. بن ثابت الكوفي، ومالك بن أنس، والشافعي[124] محمـد بن إدريس وأحمـد بن حنبـل الشـيباني من أكـابر الأئمـة المجتهدين، ويجب تقليد مذهب واحد منهم.

سائر الأمة وخصوصا الاولياء والعلماء

والكـل داخـل في دائـرة الإسـلام ومن أصـحاب النصـيب في الخيرية بحسب مسـتواه من الأعمـال الصـالحة والإخلاص فيهـا وفي الاعتقاد لاسيما الأولياء الكاملون والعلماء العـاملون، ومن سعى في خدمة الدين وأهلـه بحسـب مسـتواه. وممـا يجب أن يعلم على نصوص القرآن الكريم أن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم بعثه الله رحمـة للعـالمين وجعلـه مظهـراً لأنـوار رحمتـه وتجلياتـه، وأنـه جـاء على جنـاحين بهمـا يطـير في ملكـوت المقامات العالية.

الجناح الأول: حضوره مع الله تعالى، وإخلاصه له، وعدم غفلتـه منـه. طرفـة عين كمـا قـال تعـالى خطابـا لـه: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

الجناح الثاني: التبليـغ للقـرآن الكـريم وللعقائـد والأحكـام حـتى استقرت الشريعة الإسلامية، فليس الرسول رسول الاختصاص بالغيب بدون العلاقة مع الناس، ولا رسول العلاقـة بالنـاس مـع الغفلـة عنـه تعـالى، وهـذا أمـر ظـاهر جلي من ملاحظـة قولـه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ومن

[124] في المخطوط الشافعي الملقب

ملاحظة أن العبادة لا تمكن بدون العلم وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وبدون الاخلاص والخشوع، والإخلاص في الخشوع كي لا يشوبه، هوى النفس وبالترغيب في تزكية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، ولا شبهة في أن ذلك يحتاج إلى مجاهدة وسعي في التزكية والتحلية، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ومن أهم أسباب الوصول الى الغاية القصوى المصاحبة مع المحبة للصادقين. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فإن في صحبتهم محاورة واستفادة من كلماتهم وتنورا من أنوار قلوبهم، وذلك معلوم لكل منصف، ولاسيما مجاورة سيد الصادقين، وهو الرسول الأكرم الذي لقبه ربه بالسراج المنير وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ فليس ما أفاده الرسول جانباً واحداً بل أفاد جانبين:

الأول: النور والحضور مع الله.

الثاني: العمل والإخلاص وتطبيق الأحكام بحق لنفسه ولمن أمكنه تطبيقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((ما رجح أبو بكر عليكم بكثرة صلاته وصيامه وإنما رجح بشيء وقر في صدره)). ومعلوم أن ذلك هو النور، والاطمئنان فأمة الحبيب صلى الله عليه وسلم كلهم في خير، ومن اقتبس من نور صدره فقد عاش سعيداً في عمره، ومن أخذ من تبليغاته للأحكام فقد فاز بحظه في الإسلام فلا ييأس أحد منهم، من أخذ جانباً من الرحمة، ومن اقتبس من النورين فله نور على نور، ولا يخفى أن الصحابة كلهم فازوا بالنورين حسب مستواهم وإن من ممتازيهم في ذلك الخلفاء الراشدون فاقتبسوا من النورين وأفادوا بهما الأمة الإسلامية، ألا ترون أبا بكر، وما أفاده سلمان الفارسي، وما أفاده سلمان قاسم بن محمد، وما أفاده قاسم ابن بنته جعفر الصادق رضي الله عنهم. وكذلك انظروا إلى ما

أفاده علي كـرم اللـه وجهـه لأولاده الحسـنين ولخـواص اتباعـه وبالاخير للحسن البصري وإفادة الحسن لتلاميـذه فجـاءت هـذه السلاسـل ممتـدة في العـالم، وكلهم من رسـول اللـه مقتبس، غرفا من البحر، أو رشفاً من الـديم وقـدامهم الأوليـاء من أهـل تلك السلاسل الذهبية بالأذكار حسب مناسبة طبايعهم وازمنتهم وأمكنتهم، فأفادوا وأجادوا وكل ذلك خير ولاحـد للـذكر والأوراد، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا اذْكُـرُوا اللَّهَ ذِكْـرًا كَثِـيرًا (41) وَسَـبِّحُوهُ بُكْـرَةً وَأَصِـيلًا﴾، ومن عانـدهم فقـد عانـد كتـاب رب العالمين، فقد جاء فيه ما يفيـد أن الولايـة والمحبـة للـه تعـالى على درجات أربع:

الأولى: تحصـل من أصـل الإيمـان باللـه وبرسـوله، وإن كـان مشوباً بنوع من المخالفات، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾، لأن الإيمان أساس الأمـان، وعمـاد الرشاد.

الثانيـة: التقـوى وهي الاتقـاء والابتعـاد عن الكفـر حـتى يصـير الإنسان مسلماً، والابتعاد عن الكبائر حتى يصير عادلاً، والابتعـاد عن الـدنايا حـتى يصـير واصـلا الى درجـة الإنسـان، السـليم، والدليل عليها قولـه تعـالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَـاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُـونَ﴾، وقولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الثالثة: الاستقامة والدوام. فإن الاستقامة خير كرامـة، والـدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْـتَهِي أَنْفُسُـكُمْ وَلَكُمْ فِيهَـا مَـا تَـدَّعُونَ (31) نُـزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾

الرابعة: الحضور ومراقبـة اللـه في كـل وقت بقـدر المسـتطاع وهذه من درجات الرسل الكـرام، وأهـل الكمـال والتكميـل من الأوليـاء رضـي اللـه عنهم أجمعين، ومنهم الحـائزون للـدرجتين وهم الأئمة المجتهدون في الدين،

والعلماء العاملون الربانيون الذين أخلصوا دينهم لله واستنبطوا الأحكـام من الكتـاب والسـنة بحسـب توفيـق اللـه تعـالى لهم، ودونوا مذاهبهم الموافقة للغة الكتاب والسـنة ولعـرف الشـرع فيهما، ومارسوا ودرسوا وكتبوا، وأفادوا، وأجـادوا فـأغنوا الأمـة الإسلامية من بابي الاعتقاد والأعمال.

ومنهم أئمة الاعتقاد الإمامان أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، وأصـحاب الصـحاح من المحـدثين الـذين سـعوا في رعاية السنة النبويـة حـق الرعايـة فجـزاهم اللـه عن المؤمـنين والمؤمنات خيرا. وتبعهم سلاسل نورية قدسية من الأوليــاء من الحسن البصري الى سيد الطائفتين جنيـد البغـدادي ومن بعـده الى سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني وأقرانه من الأوليـاء، ومن بعـدهم الى سـيدنا محمـد الأويسـي البخـاري المعـروف بشـاه نقشبند، والإمام الرباني، ومن بعدهم الى عصـورنا من السـادة المتبعين للسنة السنية، ومن العلماء المخلصين المجاهدين في تربية الطـالبين بكـل اخلاص وايمـان وأمـان فرضـي اللـه عنهم أجمعين

وهنا وصايا مهمة

الأولى: مما يجب علمـه واعتقـاده أن للأنبيـاء والرسـل الكـرام ولسائر العباد الصالحين درجات عند الله تعالى سواء كـانت من المواهب الربانية الصرفة أو من الجـزاء على درجـات جهـودهم في سبيل الله تعالى قال تعـالى: ﴿هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـطِ﴾، وقـال تعـالى في شـئون الرسـل: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

وقولـه تعـالى: ﴿لَا يَسْـتَوِي الْقَاعِـدُونَ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ غَيْـرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ الى غير ذلـك من الأدلـة الواضـحة الدالـة على اعتبار الدرجات بين العباد ولاسيما قوله تعـالى في شـئون الرسل: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْـطَفَيْنَ الْأَخْيَـارِ﴾، وآخـر سـورة الصافات. كما لاشك في أن الرسول سيدنا محمـدا صـلى اللـه عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين

وله درجات عالية واختصاصات جلية من الله تعالى منها عموم دعوته الى كافة الناس، ومنها اختصاصه بمعجزة القرآن، ومنها امتيازه بالخلق العظيم، ومنها حفظ الذكر الذي أنزل عليه ومنها اختصاصه بالسماح عن عقاب المجرمين وعذابهم مادام الرسول حياً باقياً فيهم، ومنها اختصاصه بالشفاعة الكبرى. وفي كل ذلك جاه له صلى الله عليه وسلم أي وجه شرف فإن الجاه مقلوب الوجه، كما تقرر في علم الصرف إن للانسان جاها بأعمال نفسه من الصالحات.

الوصية الثانية: جواز التوسل بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم

وذلك واضح عن جلاء عند كل عالم له بصيرة في الأمور، فبعد ثبوت ذلك الجاه هل يجوز الدعاء والالتجاء إلى الله بها؟ الجواب: نعم.

فقد ورد ولاشك أن أصحاب الرقيم دعوا الله سبحانه وتعالى وطلبوا كشف الضر ورفع البلاء، وفتح باب الغار عليهم بما قدموه من الاعمال الحسنة. كما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لفاطمة بنت أسد (أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه) بقوله المروي: اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أمي، يعني أمه في التربية والحضانة والخدمة المبذولة منها له صلى الله عليه وسلم.

وورد أن الرسول علم الضرير أن يدعو ربه سبحانه وتعالى بحق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لكشف العمى عنه، وقد دعا واستجاب الله دعاءه. كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم أرشد الناس الى أن ينادوا عباد الله الصالحين المأمورين بمعونة المضطرين إذا تاهوا في الطريق المهجورة والصحاري، وبين لهم أن لله تعالى عبادا لتلك الأمور الهامة، ولا عجب في ذلك فإن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة في عقيدة المسلمين، والملائكة مأمورون في الدارين للأعمال المقررة عليهم كما هو معلوم.

إن الله تعالى أمـر بابتغـاء الوسـيلة إلى اللـه والوسـيلة مصـدر بمعنى القرب، والقرب شيء ممكن له أسباب عند الله تعـالى. ومن الأسـباب الإيمــان باللــه والرســول والأعمــال الصــالحة والعقائد الحسنة، وحب الرسـول، والصـلاة عليـه، ونصـرة دينـه الكـريم، وتعزيـره، فثبت أنـه يجـوز للمسـلم أن يقـول: يـارب ارحمـني ببركـة إيمـاني أو أعمـالي الحسـنة أو محبـة الرسـول صلى الله عليه وسلم أو ببركة الرسول صلى الله عليـه وسـلم أو آلـه، أو صـحبه، أو النـاس الصـالحين الآخـرين، ولا فـرق بين التوسل بدعاء الأموات والأحياء لأن المنشـأ هـو الـروح والـروح خالدة أبداً، ومن فرق بينهما فقد ابتعد عن الصـواب. وذلـك لأن الحاصل من الأحياء والأموات الدعاء واللجوء الى الشـفاعة[125] ومن عارض ذلك باستنكار البـاري تعـالى شـفاعة الأصـنام فقـد ضل ضلالاً بعيداً لأن الأصنام اعتبروا شركاء لله معبــودين، وهي جمادات وعبـاد اللـه الصـالحون لهم شـفاعات بنصـوص الآيـات الكريمة.

الوصية الثالثة: الترغيب في زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم

لا شك أن الرسـول هـو المبعـوث رحمـة للعـالمين، وهـو خـاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بلـغ كتـاب اللـه حـق التبليـغ، ولـه على الأمة حقوق لا تحصى، فإنه كان سبباً لإخراج العباد من ظلمات الجهل الى العلم، ومن الكفـر الى الإيمـان، ومن الفوضـى الى النظــام، ومن البســاطة والغبــاوة الى الدقــة وفهم الحقــائق والأسـرار والاسـتعداد لتلقي الأنـوار. فحقوقـه أكـثر من حقـوق الوالدين بمراتب لا تعد ولا تحصى.

وقد قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم:)) من لم يشـكر النـاس لم يشكر الله ((، فثبت بذلك أن شكر الرسول واجب، ومن شكره محبته ونصرة دينه وإعزازه، وخدمة أمته والتعاون معهم، وممــا يعد من هذا الباب زيارته صـلى اللـه عليـه وسـلم وأخـذ النـور، والانشراح من نسمات روضته الشريفة،

[125] في المخطوط واللجوء والشفاعة

ونغمات روحه اللطيفة، وقـرب الأشـباح مـع الأرواح منـه صـلى الله عليه وسلم وقد وردت في الموضوع أحاديث شـريفة يؤيـد بعضها البعض، وعليه فزيارته صلى الله عليه وسلم من مهمات المسلمين أينما كانوا. وقد جربت منافع الزيارة الشـريفة، فكم من مريض القلب شوفي بها؟ وكم من مبتلى عوفي منها؟ وكم من ضعيف الإيمان تقوي بزيارته صلى اللـه عليـه وسـلم رزقنـا الله تعالى بفضله زيارته مرات.

الوصية الرابعة: الترغيب في الصلاةعليه صلى الله عليه وسلم

لاشك أن الصلاة[126] عليه صلى الله عليه وسلم ممـا أمـر اللـه تعالى به بدون حصر وتقييد، كما أن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم رغبنـا في الصـلاة[127] عليـه في روايـات، وتلـك الأوامـر والروايات أحكامها أحكام المطلقات عن الكمية والكيفية، سـراً وجهراً، ليلاً ونهاراً، خلوة وجلـوة إلا في مواضـع معينـة نهى عن تلاوة القرآن والأذكـار والصـلاة فيهـا كوجـود النـائم، والمـريض، والمشـغول بمهمـة تمنعـه العبـادات الجهريـة، فعلى ذلـك فالصلوات عليه صلى الله عليه وسلم صلة بين الرسـول وأمتـه صـلة متينـة قويـة واطلبـوا دوام هـذه الصـلة. ولا تسـمعوا كلام اللغاة ودعوى أنها بدعة. لأنهم لم يفتهموا أن البدعة أمر خـارج من الكتـاب، والسـنة، والاجمـاع واجتهـاد المجتهـدين. ولا سـند عندهم إلا تبعية الفسقة المحرومين عن بركة الصـلاة[128] عليـه صلى الله عليه وسـلم والـدليل على ذلـك أنهم ليس لهم اتبـاع للسنن الثابتة؛ كتلاوة القرآن وفعل الجماعات والرواتب وصـلاة التهجد، وغيرها من الطاعات. فكلام أولئك حشو لا قيمة له.

ومما يجب أن يعلم أن سلسلة الصالحين ليسـت منحصـرة في عدد محدود بل كانت كثيرة وافرة بحسب الهامـات اللـه تعـالى لهم فقد قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، والطرق الى الله كثيرة

[126] في المخطوط الصلوت
[127] في المخطوط الصلوت
[128] في المخطوط الصلوت

بعدد أنفاس الخلائق، ومن نسب أولئك الصالحين وأتبـاعهم الى البـدع والأهـواء فقـد ضـل ضـلالاً بعيـداً. فـإن الكتـاب والسـنة مملوءتان بمدح أهل التقـوى والصـلاح والإرشـاد، وكيـف يكـون العاملون بالأصول خارجين من أهلها؟ وأبعد من ذلك الاسـتدلال بأن تلك الأمور لم تكن في عهد الرسـول والخلفـاء الراشـدين، فـإن ذلـك ناشـئ من عـدم فهم معـنى السـنة والبدعـة حسـب الشـرع، فـإن السـنة هي العمـل بالكتـاب والسـنة على وفـاق دلالاتهما الأربع وبالإجماع والاجتهاد، وما عدا ذلـك يسـمى بدعـة شرعية، وضلالا. وإلا فدين الإسلام دين خالـد وتحتـاج الأمـة في كـل عصـر الى معالجـة أمـور واجبـة من أمـور العلم والتعليم والإرشاد والصحة والاقتصاد، والدفاع عن حوزة الإسلام في مـا هومسـتطاع، وإلا لـزم أن يكـون وجـود محـاريب المسـاجد، والمنـائر، والمـدارس، ودور القضـاء، والافتـاء والترتيبـات العسـكرية... وأمثالهـا ضـلالاً وفسـاداً، والعيـاذ باللـه من هـذه العقيدة الفاسدة.

والضابط في الموضوع النهي في النصـوص فكـل مـا نهى عنـه الرسول فهو حرام، أو مكروه، وغيره إما: واجب، أو مندوب، أو مباح، ولا أقل من ذلك، والرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم نهى عن المحـدثات بصـيغة اسـم المفعـول من بـاب الإفعـال وهي المفتعلات الخارجة عن الدين، وعن[129] الحادثات المندرجة في بـاب الاجتهـاد والاسـتنباط. وقـد قـال تعـالى: ﴿وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ﴾. هـذا ولم تزل الأمـة الإسـلامية من الصـحابة ومن بعـدهم عليهـا الى يوم القيامة[130]. أما الصحابة فقـد أخـذوا الكتـاب من الرسـول وبين لهم مراده تعالى منه عموماً وخصوصـاً، وحقيقـة ومجـازا، بحيث افتهمـوا حقيقتـه المـرادة. ولم يكن وضـع الصـحابة الحاضرين مناسبا لوضع القواعد والمصـطلحات الفنيـة لبعـدهم عنها ولاشتغالهم بأهم منهـا كالجهـاد والإرشـاد، بـل اكتفـوا بمـا تلقوه من الرسول. صلى الله عليه وسلم وكان فيه كفايـة لهم. ألا ترى أن الصحابة بعد عهد

---

[129] في المخطوط لا عن

[130] في المخطوط الدين

الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في أشد الحاجات الى المشاورة لتحصيل العلم ببعض المشاكل الواردة، ولما جاء دور التابعين، ودور اختلاط الناس بعضهم ببعض، وظهرت المشاكل في الأمور.. احتاجوا إلى الاجتهاد والسعي في تقرير الأصول والفروع.. وذكر الخاص والعام، والمطلق والمقيد والحقيقة والمجاز وغيرهما، فحقق المحققون من العلماء معاني الكتاب والسنة بحيث اكتفوا بها ووجه اختلافاتهم الاختلاف في المعاني اللغوية والعرفية وعدم وصول بعض البيانات النبوية اليهم لموت أصحابها واعتماد بعض منهم على رواية[131] بعض الناس لثبوت قادح فيه عنده. والاختلاف في وجوه التخصيص، والتقييد وزمان ورود التنزيل، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك مما ذكر[132] في أسباب اختلاف المجتهدين وإلا فمتى ظهر النص القاطع لم يكن اختلافا قطعياً، كما أنه لم يكن بينهم حزازات وسوء تعبير لأي واحد منهم بالنسبة الى الآخر[133]، وإن كنت في ريب من ذلك فطالع كتب المجتهدين الاجتهاد المطلق هل ترى في كتاب واحد مخاصمة الآخرين ورميهم بشيء من سوء؟ معاذ الله!

ثم كان تدوينهم حسب ما وصل إليه أفكارهم من فهم الكتاب والسنة حسب اللغة العربية والعرف الخاص والعام، والحقائق والمجازات، والمشتركات اللفظية والمعنوية، ومعاني الحروف وغيرها. كما كان اختلافهم في السنة النبوية من جهة الاختلاف في التواتر، والآحاد، والصحيح، والحسن والضعيف، وما له إسناد قوي أو لا، وعلى كل حال فأمورهم كانت مبنية على الاخلاص والخدمة للإسلام والدين والكتاب والسنة وحفظهما ورعايتهما. ألا ترون أن الخلفاء الراشدين وعلى رأسهم الصديق جمعوا القرآن في الصحايف الجلدية خوفاً من ضياع بعض الآيات من موت الحفاظ أو ضياع قطعة مما كتب عليه بعض آيات، وجمع عثمان له كان من خوف اختلافهم في القراءات حتى أمر بجمعه على لغة قريش أفصح اللغات لتوحيد الأمة، وأمر بكتابة باقي القراءات على الهامش لصيانتها.

131) في المخطوط برواية
132) في المخطوط ذكره
133) في المخطوط الآخرين

وهذا العمل مما اشترى به الجنة مرة ثالثة؟ وألا تـرون أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لمـا خـاف من الغلـط في قـراءة القــرآن الكــريم من اختلاط العجم بــالعرب، والعــرب العربــاء بالمستعربة أسس علم النحو لبيان العامل والمعمـول والعمـل، وضبط الشكل حسـب الـنزول؟ والقـدماء لمـا مارسـوا قواعـد النحو على تأسيسـه نظـروا للحاجـة إلى علم الصـرف لمعرفـة مصادر الكلمات ومشتقاتها مجردها ومزيدها، حتى يعلم الفــرق بين فرح وفرح بالتخفيف والتشـديد، وكـرم وأكـرم من المجـرد والمزيد، والأفعال الماضية والمضارعة، والأمر والنهي، والمؤكد وغـير المؤكـد، وأسـماء الفاعـل والمفعـول، والصـفة المشـبهة وأفعل التفضيل والتعجب، وأسـماء الزمـان والمكـان، وأسـامي المصــادر حــتى يكــون النــاظر على بصــيرة في فهم الكتــاب والسنة.

وأمر عمـر بن عبـد العزيـز بتـدوين الأحـاديث الشـريفة حـتى لا تضيع بينات الرسول وإرشـاداته القيمـة، ثم رتبوهـا على أبـواب العبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية والجنايات، والدعاوى والبيانات وما تفرع منها.

وألف الإمام الشافعي رسالته في أصول الفقه لبيـان مـا حـواه الكتاب والسنة من العام والخاص، والمطلق والمقيد والحقـائق والمجازات وغيرها ممـا يطـول ذكـره ويحتـاج إليـه المسـلمون أشد احتياج.

ألا تـرون أن اللـه ألهم جمعـاً من العلمـاء تأسـيس علم البلاغـة لمعرفة أسرار القرآن الكريم، وأسباب إعجـازه لبلغـاء العـالم؟ فإن بمعرفة ذلك يتبين معجزته وتظهر عظمـة الكتـاب والسـنة السـنية على صـاحبها الصـلاة والسـلام، ثم ألفـوا أصـول الـدين لكسب العقائد الإسلامية ورد أهل البدع والأهواء والعند للإسلام ونصرة الحق أينما كان، وبذلك شيدت أركان الإسـلام. ثم ألفـوا وشــرحوا وفصــلوا علم المنطــق لمعرفــة التعــاريف وطرقهــا، والأدلــة القاطعــة ومقــدماتها وترتيبهــا، ورعايتــه لإنتــاج النتــائج القطعية، وإلا لم تبـق ثقـة بـالعلم والعلمـاء، وعـدم الفـرق بين الحق والمبطل، ولذلك قال حجة الإسلام الغزالي: من لا يعرف المنطق لا ثقة بعلمه.

ثم ألفوا علم البحث والمناظرة حتى إذا أرادوا إظهار الحق في باب من الأبـواب وصـلوا إليـه، ويعـرف العـالم من الناقـل ومن المدعي وما هو وضية؟؟؟ وظيفة المقابل في مقابلتهما، وكيف تدور الأسئلة والأجوبة.

ثم أخـذ علمـاء الإسـلام في تـأليف التفاسـير للقـرآن الكـريم، والشروح للأحاديث الشريفة، كمـا أخـذوا في تـأليف الكتب من أي علم لمناسـبة الزمـان وأهلـه حـتى يطمئن المسـلمون من أصول دينهم الشريف.

وبما ذكرنا من هذا النمـوذج تبصـرتم في فهم أسـباب الاجتهـاد وتوسيع دائرة العلوم وتـأليفهم فيهـا، كمـا أنكم وصـلتم إلى أن الإسلام في أجمع حاجة وأشدها لتعلم سائر العلوم الـتي تحتـاج إليهـا أمـة الإسـلام من علـوم الطب والاقتصـاد، والـدفاع، والهندسة، وسائر الرياضيات، وتأسيس مدارس لكـل ذلـك كمـا يحتاجون لبناء المدارس الإسـلامية من كـل بـاب. والضـابط أن كل ما تحتاج إليه الأمة فتعلمه مفروض إما فرض عين أو فرض كفاية، وأن الإسلام لم يتوقـف زمانـاً من الأمـر بـالعلم والتعليم ومباني التقدم الحضاري الشريف بحيث يعود بالمنافع الى الأمة كلها وذلك هو أدب الإسلام والمسلمين.

وممـا يجب علمـه أنـه لا يمكن الوصـول الى معرفـة الكتـاب والسـنة لا بـالعلوم الـتي ذكرناهـا، وإن ترتيبهـا واجب على درجات:

الأولى: الابتدائيات المحتوية على ست سنوات لمعرفـة القـرآن الكـريم وتجويـده وحفظـه كلـه إن أمكن، أو آيـات الأحكـام، والأخلاق، والوعظ العام، ثم معرفة العقيدة الإسـلامية باختصـار على ما يجب، ومعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصـحابه وسيرتهم، وسيرة السلف والأئمة المجتهـدين، وأنهم على هـدى من ربهم، وأنهم قـادة الإسـلام والمسـلمين، ثم معرفـة أحكـام العبادة، ودروس مضبوطة محفوظة فيها ثم معرفـة مجمـل من تاريخ الإسلام والسلف الصالحين.

ثم معرفـة الرسـائل الصـرفية وأهمهـا تصـريف الزنجـاني مـع شرحه للشـيخ ابـراهيم الشـهراني، أو كتـاب اعلال الصـرف، أو كتاب الصرف الواضح الذي ألفتـه للمبتـدئين[134]، وهـذا الكتـاب كترجمة لشرح تصريف الزنجاني.

ثم كتاب العوامل المؤلف على ما قـرره عبـد القـاهر، ورسـالة مفتاح الآداب الذي ألفتـه لهم، والأجروميـة، والقطـر، وشـرحه، وشذور الذهب لابن هشام على أرواحهم رضوان الملـك العلام، وأعتقد أن كتاب شرح الأنموذج للزمخشـري أحسـن كتـاب في درس الابتدائيين.

ثم كتاب الاظهار للبركوي وشرح تصـريف الزنجـاني المعـروف بتصريف الملاعلي لكن بوجـه دقيـق عنـد أسـتاذ فـاهم لطريـق التعليم، ثم كتاب خلاصة البيان في علمي الوضع والبيـان الـذي ألفته لهم، ثم كتاب شرح مولانا نور الدين عبد الرحمن الجـامي فإنه لم يسبق بمثله ضبطا وصحة وإفادة رحمـة اللـه عليـه. ثم كتـاب السـيوطي شـرح ألفيـة ابن مالـك، وإن أمكن فكتـاب الفريـدة لجلال الـدين السـيوطي رحمـة اللـه عليـه، وعليهم أجمعين.

ثم بعد الابتدائيات المذكورة يدخل الطـالب في الدرجـة الثانيـة لعلم المنطق، وآداب البحث وأعتقـد أن أول كتـاب يـدرس في المنطق رسالة المفتاح لي، ثم رسالة الورقات، وبعـدهما يقـرا كتاب المقـالات في المقـولات، ثم رسـالة العزيـزة، ثم رسـالة الوجيهـة، وهي تـآليف لي[135]، وألفتهـا بوجـه مـرتب مضـبوط مجرد عن الأشياء الصعبة، ثم كتاب تهذيب المنطق مـع حاشـية عبد الله اليزدي، ثم كتاب البرهان في المنطق وهذا أنفع كتـاب في المنطـق وأفيـده، ثم يشـتغلون برسـالة الآداب للكلبنـوي، وبـــذلك يتعـــاملون في المنطـــق وآداب البحث على الوجـــه المرضي المعتاد.

الدرجـة الثالثـة: معرفـة البلاغـة في ضـمن التلخيص، ومختصـر المطول، ودرس المطول بطول[136] شـرح فوائـده، فهـو كتـاب مسـتوعب لعلم البلاغــة، وتفسـير الآيــات الحكيمــة الدقيقــة، وكشف الأسرار مقتضيات الأصول، وفهم لدقائق

---

[134] في المخطوط للابتدائيين

[135] في المخطوط من تأليفاتي

[136] في المخطوط يطول

العربية بحيث يصل الإنسان بمعرفته ومعرفة حواشيه من السيد والسعد، وعبد الحكيم إلى ذروة العلوم العربية وعلى معرفة أمثال تلك الكتب ترقي من ترقى، ووصل الى الغاية القصوى من الدقائق والأسرار.

وفي ثاني هذه الدرجة دراسة شرح العقائد للسعد التفتازاني نور الله روحه مع ملاحظة حواشي الخيالي وتعليقات عبدالحكيم، فإنها أزالت حجب الغفلة والجهالة عن القلوب، ووصلت الى ما يمكن الوصول إليه عادة من فهم دقائق العقائد.

وفي ثالث درجاته: دراسة أصول الفقه من كتاب جمع الجوامع. أو المستصفي لحجة الإسلام أو مختصر المنتهى، ودراسة كتاب تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، وإن ساعدكم التوفيق فباشروا بالسعي في درس نظم الفضيلة، لمولانا عبد الرحيم المولوي مع شرحي عليه بعنوان الوسيلة فإنه شرح أخذته من تحقيق عبد الحكيم السيالكوتي علي الخيالي، وشرح المواقف، وهو كتاب نافع جداً، وإذا درسته استأنست به. والله الموفق.

وفي أثناء كل تلك الدرجات عليكم بدرس الفقه الشريف مما عليه مذهبكم مذهب الإمام الشافعي المطلبي مع ملاحظة سائر المذاهب رضي الله عن أصحابها اجمعين وعليكم بدرس اصول الحديث الشريف كألفية العراقي وشرحها للقاضي زكريا الأنصاري، ودرس كتاب من كتب التفاسير كالمدارك، وأنوار التنزيل للبيضاوي رحمهما الله تعالى.

وإذا ساعدكم التوفيق فادرسوا الرياضيات من أمثال تشريح الأفلاك وحواشيه، وشرح ترشيح الإدراك للعلامة الملا حسين البشدري رحمه الله ورسالة الحساب للعاملي مع شرح الجواد، ورسالة في الهندسة، وعليكم بمعرفة جغرافيا العالم، ولاسيما جغرافيا الوطن الإسلامي وتاريخ الإسلام من الأول إلى عصرنا، ولاسيما تأريخ العلماء كأمثال ابن خلكان وكتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين.

وإياكم أن تسمعوا كلام الجهال المتسترين بكسوة العلماء المتعللين بأنواع العلل المروقة صورة والمغلوطة حقيقة، فإن علماء الدين ورثة الأنبياء والمرسلين وشئونهم أعلى من ملاحظة حطام الدنيا الدنية فإنها فانية والآخرة خير وأبقى، واعلموا أن رزقكم من سهم المصالح من خمس الفيء، وخمس خمس الغنائم، وإن كنتم في ضيق المعيشة فتذكروا قوله صلى الله عليه وسلم حيث يحمل الأحجار لبناء مسجده الشريف:

((أللهم إن العيش عيش الآ[illegible] فارحم الأنصار والمهاجرة)).

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾. وعليكم بمراقبة الله تعالى، وشمول علمه بأنفسنا، وأعمالنا، وأحوالنا وقدرته علينا، وبالاستعداد لقبول تجليات رحمته، فإن لله تجليات على عباده ولا تكونوا من الغافلين. وعليكم بدوام الذكر وأهمه الاشتغال بالعلم إفادة واستفادة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وعليكم باجتناب أهل الغفلة إلا بمقدار الضرورة فإن الضرورات يبحن المحظورات، وعليكم بالتقوى وصحبة الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. هذا ونختتم سطورنا وننور صدورنا بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

فرغت بحمده الله تعالى عن كتابة هذا الشرح ضحوة يوم الثلاثاء الثلاثين من شوال سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشرة هجرية. المصادفة يوم الحادي والعشرين من الشهر الرابع من سنة ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين ميلاديا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وأنا المؤلف الخادم للدين عبد الكريم محمد المدرس في مدرسة حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد. <306>

هذاك تنبيه لأصحاب الشرف   من فرقة السلف أو من

اليوم أكملت لكم دليل   إن الكتاب للورى كفيل

إذ ديننا إما اعتقاد أو عمل   أو ابتعاد النفس عن سوء

أو حكم الاجتهاد من أهل   من فرد أو جماعة أولي مدد

واستشارة مع التعاون   واعتصام جل عن تباين

وكل ذا يوجد في القرآن   فالدين قد اكمل للإحسان

يأمر بالإطاعة لله   وبإطاعة رسول الله

و بإطاعة أولي الأمر بما   يشمل الاجتهاد عند العلماء

هذه الأربعة تكفينا   وعن بلاء جهلنا يشفينا

وما عداها ليس من دين   طوبى لمن بما حمل قد

بعد انتقال السيد الـمٌعلى   الى لقاء ذاته تعالى[137]

قد الهم الفاروق بالتوفيق   بالبيعة للصادق الصديق

تتابع الناس عليه جهرا   تخلف العلي لغم الزهرا

ثم أتوا بالبيعة لحضرته   ولازمو مدته في محنته

لازمه العلي في حرب   من اهل ردةٍ وسوء للادب

وكتب الصديق في حياته   خلافة الفاروق من ثباته

وبعد استشهاده كما ترى   فوض امره الى جمع يرى

بعد اختيارهم على عثمان   شهيد بيته على القران

انتقل الامر الى العلي   بدون أي فارق جلي

وتم امره على شرافة   وبعد ذاك تمت الخلافة

سوى زمان قل للمولى   به انتهت خلافة يال الحسن

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[137] هذا البيت والذي بعده قام حضرة الشيخ رحمه الله باضافته للكتاب بعد طباعته، وثبتت هنا بالاعتماد على تسجيل صوتي بصوت حضرة الشيخ رحمه الله تعالى ورزقه الفردوس الأعلى.

فهرس الكتاب